

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية

رقم التصنيف

رقم التسجيل

١٧٨٨٨

عكاظ المعرفة

معلقة كتب ثقافية شهيرة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت

المؤرخ شحاتة إبراهيم السيد

د. محمد زكريا عناني

٣١ - شعبان / رمضان ١٤٠٠ هـ - يوليه (تموز) ١٩٨٠ م

المشرف العام
أحمد مساري العدواني

الأمين العام للمهدين

نائب الشرف العام
خليفة الرقيان

هيئة التحكيم :

- د. فؤاد زكريا "التشار"
زهير الكرمي
د. سليمان الشطي
د. شاكر مصطفى
صندقت حطاب
د. عبد الرزاق العدواني
د. علي الراعي
د. فاروق العمر
د. محمد الرميحي

المراسلات :

توجيه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب. ٢٣٩٩٦ الكويت

الموشحات الأندلسية

● ● المواد المنشورة في هذه السلسلة تغير من رأي كاتبها ، ولا تغير بالضرورة من رأي المجلس

تمهيد

لاسم الأندلس في النفوس إيقاع شجي عميق آسر، يحمل في طياته أصداء قرون من التوهج، ويعيد للخاطر أجماد مدن لا تنسى: قرطبة، غرناطة، أشبيلية وذكرى أعلام خلدوا على مر الزمان، وصفحات مفعمة بالشجن لرايات تطوى، وحضارة تنطفئ وتغيب في ضباب الأيام.

انتهت الأندلس كأسطورة من الأساطير، لكن أطيافها لا تزال تهوم بين الحين والحين، وصدى لحن قديم يسري فتهتز له النفوس، وأسماء ومعالم لا تزال ما بقي الدهر: الحمراء، مائلة كزنبقة لا ينطفئ منها العبير أبداً، أزجال ابن قزمان بكل ما تنبض به حيوية وعذوبة، والموشحات: نهر جياش. يتدفق بالشذى والرؤى.

وقد شغلت الموشحات أجيالاً من العلماء في الشرق والغرب، ولا تزال تغري بالبحث، وتتكشف من حين لآخر جوانب وضاعة من هذا الفن الذي اجتمعت له عناصر الأصالة والجددة، وتمثلت فيه عبقرية الشاعر الأندلسي، بكل ما فيها من غنائية وأخيلة وإحساس بالحياة.

وقد بدأنا — في القسم الأول من هذا الكتاب — بالحديث عن مصادر دراسة الموشحات، ثم سعيينا إلى تحديد ملامح نشأتها وتطورها وأقسامها، ونظام الأوزان والقوافي التي سارت عليها.

أما القسم الثاني فيدور حول الموضوعات التي تناولها أدباء

التوشيح ، وهي - في واقع الأمر - عين الأغراض التي شاعت في الشعر العربي «الكلاسيكي» ، وإن كان الوشاحون قد استطاعوا إضافة لون من الجودة في النسيج الفني للموشحة ، ومرد هذا إلى اللمسة الشعبية التي تمثلت هنا وهناك ، وإلى تركيز العناية حول الوصف والغزل وما إلى ذلك من أغراض ، ومن البديهي - والأمر كذلك - أن تزخر الموشحات بالصور النابضة عن البيئة الأندلسية ، وأن تأتي - في مجموعها - بعيدة عن الكلف «تشق على سماعها مصونات الجيوب ، بل القلوب» ، على حد تعبير ابن بسام صاحب الذخيرة .

ونصل للقسم الثالث ، ويمجد القارئ فيه لمحات عن أكثر من مائة وشاح أندلسي - لا نظن أنهم ذكروا جميعاً من قبل في كتاب واحد - وقد تعلقنا أخبارهم من مصادر شتى ، منها - على سبيل المثال - كتاب الذخيرة و«المغرب في حلي المغرب» و«المقتطف من أزهار الطرف» و«دار الطراز في عمل الموشحات» و«توشيح التوشيح» و«الوافي بالوفيات» و«فوات الوفيات» و«عنوان الدراية» و«الكتيبة الكامنة» و«نفع الطيب» و«أزهار الرياض» ، وعدد جم من الكتب المطبوعة والمخطوطة .

وأضفنا - في نهاية المطاف - ملحقاتاً يضم منتخبات تمثل الموشحات في عصورها وألوانها المختلفة ، كما قدمنا عدداً من النصوص الهامة حول الموشحات ، انتخبناها من المصادر المعتمدة ، وعلقنا عليها بما يناسب المقام .

وغني عن القول أن هناك زوايا عديدة لم نشأ أن نتطرق إليها هنا (منها على سبيل المثال ، علاقة الموشحات بأغاني التروبادور) ، وجوانب عاجلناها في إيجاز شديد ، وقد تعمدنا أن يكون الحديث كله مركزاً حول الموشحات الأندلسية ، وحدانا إلى هذا أن معظم ما هنالك من كتب عن

الموشحات يفرق في الاستطرادات أو يركز على زوايا الموسيقى والغناء والأوزان، حتى لا يكاد يجد القارئ فيها ما يروي الغلة عن الموشحات نفسها.

وحرصنا كذلك على أن يكون الكتاب ميسوراً للقارئ العام، ومن ثم نحينا جانباً القضايا الدقيقة التي لا تعني إلا المتخصصين، واكتفينا برسم الخطوط العامة للموضوع، تاركين التفاصيل لدراسات أكثر رحابة.

وننبه هنا إلى أننا لم نعرض في هذا الكتاب للوشاحين المشاركة (وسبق أن قدمنا عنهم وعن النصوص المشرقية دراسة — بالفرنسية — في زهاء ألف صفحة) على أمل أن نقدم عنهم كتاباً مستقلاً في أمد قريب بإذن الله.

وأرجو — في الختام — أن يجد القارئ الكريم في هذه الصفحات ما يفريه بالمزيد من القراءة في الأدب العربي، وأن تدفعه للعودة إلى كنوز التراث الإسلامي في كافة مجالاته ومختلف عضوره، وهو تراث غني — والحمد لله — بكل ما يضيء الأذهان، ويمتع النفوس.

د. محمد زكريا عناني
مكة المكرمة — يناير ١٩٧٩ م

القسم الأول
النشأة والتطور

نشأة الموشحات الأندلسية ، تطورها وأقسامها ولغتها

١ - مصادر دراسة الموشحات :

ويمكن تقسيم هذه المصادر الى مجموعتين : مغربية ومشرقية ، أما المصادر المغربية (وتتضمن الأندلسية بطبيعة الحال) فإنها تمدنا أساساً بقدر وفير من النصوص ، ولكنها لا تتضمن إلا معلومات ضئيلة عن البناء الفني للموشحات ، ولنسجل في الوقت ذاته أن عدداً من المؤلفات الأدبية التاريخية الأندلسية تجاهل هذا الفن تماماً ، أو اكتفى بتقديم إشارة عابرة عنه .

ويعجب الإنسان أشد العجب حين يتبين أن كتاب العقد الفريد على ضخامة حجمه ، لا يشير البتة للموشحات ، في الوقت الذي تزعم فيه بعض المصادر أن مؤلفه ابن عبد ربه كان من أوائل الذين وضعوا الموشحات .

وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (١) لا يذكر عن هذا الفن إلا عبارات متناثرة ، وقد نص مؤلفه ابن بسام على أنه لن يتعرض لها

• للمزيد من التوسع في هذه النقطة يرجع الى كتاب ومقالة

Das Muwassah : Hartmann

(موشح) في دائرة المعارف الاسلامية (بقلم بن شنب) والفصل الاول من كتاب

Stern: Hispano-Arabic Strophic poetry

و «مصادر الدراسة الادبية» لداغر ص ٢٣٩ - ٢٤٤ ، ومقالنا عن ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز في «الثقافة» القاهرية أغسطس ١٩٧٨ .

(١) هذا الكتاب واحد من أهم مصادر الأدب الأندلسي ، وانظر عنه فصلا

جيدا في كتاب د. الطاهر مكي «دراسة في مصادر الادب» ج ٢ ص ٣٠١

- ٣٦٥ ، ودراسة في مجلة كلية الاداب بغداد العدد ١٤ (١٩٧٠ - ٧١)

وفي كتاب د. الشكعة: «مناهج دراسة الادب العربي» ومقال لحازم عبدالله

خضر في «أدب الرافدين» العدد ٥ (١٩٧٤) ونشرنا في ملحق التراث

بمريدة «المدينة» سلسلة من المقالات بعنوان «ابن بسام وكتابه الذخيرة»

اعتباراً من ٤ جادى الاخرى ١٣٩٦هـ .

في كتابه لأن «أوزانها خارجة عن غرض الديوان، إذ أكثرها على غير أعاريض شعر العرب» ولا يشير الفتح ابن خاقان، صاحب قلائد العقيان في محاسن الأعيان ومطمح الأنفس للموشحات بالمرّة، وأما عبدالواحد المراكشي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب فإنه يعتذر عن عدم ذكر الموشحات لأن «العادة لم تجر بإيرادها في الكتب المخلدة».

ومن الذين ذكروا الموشحات من مؤرخي الأندلس والمغرب ابن دحية صاحب المطرب من أشعار أهل المغرب ولكن هذا الفن لا يحتل إلا منزلة ثانوية في كتابه. (٢)

وأما ابن سعيد المغربي، وعلى الرغم من أنه اهتم بالموشحات في المغرب في حلي المغرب، كما تعرض لها في كتاب آخر له (لم يطبع بعد) هو المقتطف من أزهار الطرف (٣) فإنه لم يتناول الجوانب الفنية، أو يسعى لإبراز صورة جليلة عن الموشحات.

والمقري في كتابه: نفح الطيب و أزهار الرياض يكتفي بتقديم طائفة من النصوص المختارة من موشحات أهل الأندلس والمغرب ومن نسج على منوالهم من الشعراء المشاركة.

وأما كتاب جيش التوشيح للسان الدين بن الخطيب فلا يضم سوى مختارات من الموشحات، واكتفى مؤلفه بأن وضع له مقدمة في صفحة واحدة.

(٢) يتضمن كتاب «المطرب» (ومنه ثلاث طبعات: الأولى بتحقيق الإيباري وحامد عبدالنجيد وأحمد بدوي، والثانية بتحقيق د. السيد مصطفى غازي، والثالثة بتحقيق د. مصطفى عوض الكريم) معلومات هامة عن عدد كبير من الوشاحين مثل الرمادي وابن الزقاق وابن اللبانة وابن بقر، ولكنه لا يذكر شيئا من موشحاتهم، ولم يتضمن إلا موشحين لأبي بكر بن زهر (شيخ ابن دحية).

(٣) نشر د. عبدالعزيز الاهواني فصلة من هذا الكتاب، طبعت ضمن أعمال «مهرجان ابن خلدون» المنعقد بالقاهرة ١٩٦٢ من ٤٧٣ - ٤٨٧.

وهناك أيضاً لابن بشرى الفرناطي كتاب عنوانه عدة المجلس ومؤانسة الوزير والرئيس (٤) اشتمل على أكثر من ثلاثمائة موشحة، ولكنه لم يتضمن مقدمة ذات شأن عن هذا الفن.

ولا يفوتنا أن نشير إلى كتاب ابن سعد الخير البلسي عنوانه «نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس» لكن هذا الأثر مفقود في الوقت الحاضر.

وينطبق هذا القول على عبدالعزیز القشتالي مدد الجيش، وهو ذيل على كتاب جيش التوشيح لابن الخطيب (٥)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصفحات القليلة التي يجدها القارئ عن الموشحات في مقدمة ابن خلدون نقلت بنصها من كتاب «المقتطف» لابن سعيد، ولم يصف ابن خلدون إليها إلا أشياء ثانوية.

هذا عن المصادر المغربية (٦)، أما المصادر المشرقية فأهمها كتاب دار الطراز — وسنعود إليه بعد قليل — ، وهناك ملحوظات عن هذا الفن

(٤) كانت من هذا الكتاب مخطوطة وحيدة في حوزة المستشرق الفرنسي جورج كولان، اعتمد عليها عدد من العلماء في بحوثهم عن الخرجات، منهم جومث والاهواني وشترن. وقد أخبرنا كولان منذ سنين انه كان أعار الكتاب الى شترن، ثم توفي هذا، ولم يتمكن من استرداد المخطوطة، ولا يعرف مصيرها الآن. (٥) اعتمد المقرئ في «النفح» على «مدد الجيش» في أكثر من موضع، ويذكر د. الجراري في «موشحات مغربية» ص ٢٤١ أن بالمكتبة الناصرية بسلا أوراقا يظن انها من «مدد الجيش».

(٦) هناك أعمال اخرى متفرقة تجدها مذكورة في قائمة مصادر ومراجع كتاب د. عباس الجراري «موشحات مغربية» ص ٢٣٥ — ٢٥٠ وفي كتاب شترن المذكور آنفا ص ٦٧ ومابعدها ومن أهم هذه الأعمال كتاب لمحمد بن زاكور «الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض» — مخطوطة بالرباط —

في العاطل الحالي والمرخص الغالي للصفى الحلي وفي المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيبي وسفينة ابن مباركشاه و الدر المكنون في السبع فنون لابن إياس، وفي «خلاصة الأثر» للمحبي.. الخ، وما نجده في كتب التراجم مثل معجم الأدباء لياقوت الحموي و الوافي بالوفيات للصفدي و فوات الوفيات لابن شاكر، و المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردى... الخ، والملاحظ - مع ذلك - أن ابن خلكان - في كتابه الضخم وفيات الأعيان - لم يذكر حرفاً واحداً عن الموشحات، وقد أرخ لابن بقی فاكتفى بأن قال عنه: «صاحب الموشحات البديعة» ولم يشر للموشحات البتة وهو يتحدث عن غير ابن بقی من شعراء الأندلس، والأكثر من ذلك ترجم لابن عبدربه - الذي جاء في بعض الكتب عنه أنه كان من أوائل الذين نظموا الموشحات - إلا أن ابن خلكان صمت تماماً عن تناول هذه القضية.

لكن هناك - على كل حال - كتاباً للصفدي عنوانه توسيع التوشيح يتضمن عدداً من موشحات المغاربة وأهل الأندلس، وموشحات شعراء مشاركة، وفيه قدر وفير من موشحات الصفدي نفسه. ولهذا الكتاب مقدمة ضافية، لكن جل ماجاء فيها مستمد من مقدمة كتاب دار الطراز (٧) وهناك كتاب مفقود في الوقت الحاضر، لصدر الدين بن الوكيل

ومجموعات عديدة تتضمن موشحات وأزجالاً مما كان (وربما لا يزال) يتغنى به، ومن أشهر هذه المجموعات مجموعة الحايك (انظر عنها كتاب شترن الذي ذكرناه ص ٦٩) ومجموعة أخرى ليافيل، طبعت بعنوان «مجموع الاغاني والالحان من كلام الاندلس» وانظر كذلك مجموعة «الأغاني التونسية» للرزقي، ومجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول بلس وامقران.

(٧) ذكر الصفدي في «الوافي بالوفيات» ج ٤ ص ٢٧٨ أن لابن الوكيل «ديوان موشحات» وجاءت العبارة نفسها في «المنهل الصافي» لابن تغري بردى - مخطوطة باريس ج ٥ ورقة ١٩٠ بينا يورد حاجي خليفة في كشف الظنون أن لابن الوكيل كتاباً عنوانه طراز الدار.

عنوانه طراز الدار وهو عنوان قد ينم عن أن مؤلفه سار فيه على نهج ابن سناء في دار الطراز.

ومن الكتب التي لا تزال مخطوطة كتاب عقود اللآلئ في الموشحات والأزجال (٨) لشمس الدين النواجي وكتاب سجع الورق المنتجة في جمع الموشحات المنتجة .

ونشير في ختام المطاف الى مجموعة تحمل عنوان العذارى في الأزجال والموشحات (٩) ، وطبعت في أوائل هذا القرن ، وهذه المجموعة اختارها أديب لبناني (فيليب قعدان الخازن) من مخطوطة عثر عليها في بعض مكاتب إيطاليا .

هذه إلمامة بأهم مصادر دراسة الموشحات في المغرب والمشرق (١٠) ، وأما دار الطراز – الذي نوهنا من قبل بأهميته – فكتاب صغير طبع منذ حين في نحو مائة وخمسين صفحة ، ويضم أربعاً وثلاثين موشحة أندلسية ومغربية أرفدها ابن سناء الملك بخمس وثلاثين موشحة من (٨) يراجع مانشرناه في ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة تحت عنوان «النواجي وكتابة عقود اللآلئ في الموشحات والأزجال» (بالعدد رقم ٣٩٤٩ ، ٣٩٥٦ (١٣٩٧هـ))

(٩) تتضمن هذه المجموعة أكثر من ستين نصاً معظمها من الموشحات وفيها كثير من الموشحات المشرقية مما جعلنا نرجح أن جامعها مشرقياً ، أما شتيرن في دراسته التي ذكرناها قبلاً (ص ٦٩) فذكرها ضمن ما كتب عن الموشحات في شمال إفريقيا .

(١٠) هناك مصادر أخرى يمكن الرجوع إليها ، منها – على سبيل المثال – مخطوطة بعنوان «الكواكب السبع السيارة» (محافظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ولدينا منها ميكروفيلم) تتضمن موشحان لابن سهل وابن الخطيب .. الخ وانظر كذلك المجموعة التي نشرها بطرس كرامة بعنوان: «الدراري السبع، أي الموشحات الأندلسية» وتكسى في مجموعها على المخطوطة المذكورة .

نظمه هو (وأضاف إليها المحقق موشحتين أخريين عثر عليها في مخطوطة فصوص الفصول وعقود العقول لابن سناء الملك)، أما أهم ما جاء في الكتاب فهو المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لمجموعته تلك، وتقع - في النسخة المطبوعة - في نحو عشرين صفحة، تحدث فيها عن الموشحات وأقسامها وأوزانها الخ.. وسنعود مرات عديدة لهذه المقدمة حين نتناول أقسام الموشحة وأوزانها.

٢ - نشأة الموشحات بين المشرق والمغرب :

علينا بادىء ذي بدء - أن نحدد موقفنا بإزاء تلك المشكلة التي طالما تناولتها - ولا تزال تتناولها - الأقلام. كلما عرضوا لبدء ظهور الموشحات، ويثور الجدل في الغالب حول النص الشهير:

أيها السَّاقِي اليك المشتكى قد دَعَوْتَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ
فهذه الموشحة نسبت في بعض الأحيان لعبدالله بن المعتز (توفي سنة ٢٩٥ هـ) وهو - كما نعرف جميعاً - شاعر عباسي مشرقي، لا علاقة له بالأندلس لا من قريب ولا من بعيد.

لكن هذا النص نفسه (الذي يجيء في بعض المراجع: أيها الشاكي) ينسب في العديد من المصادر للوشاح الأندلسي أبي بكر بن زهر، المعروف بالحفيد (توفي سنة ٥٩٥ هـ) (١)، وقد ذكر كامل كيلاني في كتابه نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي:

(١) ديوان ابن المعتز (ط. بيروت ١٩٣١)، وفي كل من «العذارى المائسات» ص ٥ «وروض الادب» للحجازي (واعتمدنا هنا على ما ذكره د. الكرم في «فن التوشيح» ص ٩٦ ويرجع الى مخطوطة المتحف البريطاني) وفي هذين المرجعين يجيء النص مذذب النسبة بين كل من ابن زهر (الاندلسي) وابن المعتز.

ويراجع في ذلك المقال طه الراوي: «وهم شائع: موشحة ابن زهر لا موشحة ابن المعتز» في مجلة الرسالة» (١٩٤٢) ص ٤٦٤، وكتاب بطرس البستاني «أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث» ط ٦ ص ٦٥، ودراستنا عن نشأة فن التوشيح بالمشرق «مجلة كلية الشريعة جامعة الملك عبدالعزيز ص ٣٢٥ وما بعدها وكتاب د. عباس الجراري «موشحات مغربية» ص ٤٣ وما بعدها.

« لو لم يخترع الأندلسيون الفن المسمى بالموشحات لاخترعه
الشرقيون فقد كان حتماً أن يؤدي الغناء ومجالسه في الشرق الى نفس
هذه النتيجة التي انتهى اليها في الأندلس. »
وفي موشحة ابن المعتز الرائعة .. أكبر دليل على صحة
مانقول، فقد أنشأ ابن المعتز تلك الموشحة الفذة في القرن الثالث،
أي في نفس القرن الذي اخترع فيه مقدم بن معافر موشحاته في
الأندلس وأضاف:

« ولعل أغرب ما نذكره بهذه المناسبة إغفال مؤرخي الأدب
جميعاً ذكر هذه الموشحة التي قالها ابن المعتز، كأن هذا الحدث الجلل
الذي ترك أوضح الأثر في البلاغة العربية أقل خطراً نت اهتمام ابن المعتز
بالمحسنات البديعية (٢).

والحقيقة التي لم يتنبه لها كامل كيلاني ومن تابعه في رأيه هذا أن
كل الاعتبارات تقود إلى رفض نسبة هذه الموشحة لابن المعتز، والى القول
بأنها أندلسية التأليف، على النحو الذي تؤكد مصادره عديدة مثل: دار
الطراز (٣) و المغرب في حلي المغرب (٤) و معجم الأدباء (٥)
والوافي بالوفيات (٦) و عقود اللآل في الموشحات والأزجال (٧)
وأهم من هذا كله المطرب (٨) لابن دحية تلميذ ابن زهر.
وهناك نص نسبة الدميري لأبي نواس أوله:

ماروؤض ربحانِكُم الزاهِرِ وما شَدَى نَشِرِكُم العَاطِرِ

-
- (٢) « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي » ط القاهرة ١٩٢٤ ص ٢٢٧.
(٣) ص ٧٣، وابن سناء الملك لم ينسب الموشحة لقائل بعينه، ولكنه ذكرها
ضمن ما اختار من موشحات أهل الأندلس.
(٤) ج ١ ص ٢٦٧ (قسم الأندلس).
(٥) ج ٧ ص ٢٢ (ط. سنة ١٩٢٣).
(٦) ج ٤٠ ص ٤٠.
(٧) مخطوطة الاسكوريال، ورقة ٥ ظ (ولدينا مصورة منها).
(٨) ص ٢٠٤ وما بعدها (ط. الأبياري وزملائه).

وتتحدث بعض المراجع عنه على اعتبار أنه من الموشحات، وواقع الأمر أن هذه القطعة مخمسة لا موشحة، وهي — كما مر بنا في التمهيد — «مكذوبة النسبة»، وقد عرضنا كذلك للنص الذي نسب إلى ديك الجن الحمصي، وما يداخلنا بإزائه من الشكوك.

وعلى كلٍّ، فإن هذين النصين الأخيرين لا يثيران جدلاً يستحق الذكر، أما النص الذي نسب إلى ابن المعتز، فلا يزال يغري فريقاً من الدارسين، فيدفعهم إلى الجزم بأن الموشحات إنما ولدت بالمشرق وعلى يد ابن المعتز، ومن هؤلاء د. صفاء خلوصي الذي يذكر في كتابه: فن التقطيع الشعري والقافية:

«ونحن ممن يعتقدون بأنه (أي الموشح) فن نشأ في المشرق، ولكنه تطور في المغرب، وبلغ ذروته في القرنين السابع والثامن للهجرة (كذا) وباعتقادنا أنه ظهر أول ما ظهر في العراق، وأن أول موشحة في تاريخ الأدب العربي هي موشحة «أيها الساقى...» وفيها — كما يرى الفاحص المدقق — نفس أمير وإبداع رجل متفنن...» (٩).

وفي هذا الرأي رفض — بلا دليل بيّن — لما ذكرته المصادر المعتمدة في تاريخ الموشحات، وليس صحيحاً أن هذا الفن بلغ ذروته في القرنين السابع والثامن وبחסبنا أن نذكر هنا ما قاله لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة ٧١١ هـ أي أنه عاش في النصف الثاني من القرن السابع وأوائل القرن الثامن):

«ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها...» (١٠).

هذا رأي يقول إن بدء ظهور الموشحات كان بالعراق، يصدر عن باحث عراقي، وهناك رأي آخر لباحث يمني، يزعم فيه أن الموشحات ظهرت أول ما ظهرت باليمن، ففي كتاب أحمد حسين شرف الدين: الطرائف المختارة من شعر الحفنجي والقارة:

(٩) ط بيروت ١٩٧٤ ص ٣٠٢.

(١٠) «نفح الطيب» ج ٤ ص ٢٢٥.

«لا يوجد بين ظهرانينا أي مصدر يثبت لنا الزمن الذي نشأ فيه الموشح في اليمن، إلا أننا نستطيع أن نحدد القرن الثالث الهجري تاريخاً له بدليل ظهوره بعد ذلك في القرن الرابع بالتحديد في الأندلس، على يد رجل ضرير يدعى محمد حمود أو محمود القيري، نسبة إلى قبرة.. والذي أراه أن القبري كان تصحيفاً من القيري. وآل القيري مشهورون بخولات الطيال، شرقي صنعاء».

ويمضي المؤلف مفترضاً بعد ذلك - استناداً إلى هذا الضرب من الاستنتاجات - أن الموشح «اليمني» تطور شيئاً فشيئاً على يد زرياب وغيره من الموسيقيين، ويفضل ابن القزاز وابن ماء السماء وغيرهما من شعراء الأندلس، ثم يضيف أن الموشح «انتقل في غضون القرن السابع الهجري إلى رحاب ابن سناء الملك المصري»

ومما لا ريب فيه أن مثل هذه «الاستنتاجات لا تصمد أمام أقوال الثقات من المؤرخين، ممن اتفقوا على أن الموشحات «مما ترك الأول للآخر، وسبق بها المتأخر المتقدم، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق» (١١) وهناك غير ما رأينا ما هو أمعن في الغرابة، يأتي في كتاب محمد عبدالمنعم خفاجي بعنوان: البناء الفني للقصيد العربية (١٢) وفيه أنه ورد في كتاب عن الموشحات، لعلاّم خليل (مخطوط بكلية اللغات) نقلاً عن كتاب بعنوان: القصيدة الدرويشية في تحرير السبع فنون الأدبية (١٣) ما يقال من أن أول التواشيح غنى به أولاد النجار

(١١) «دار الطراز» ص ٢٣ وانظر ابن سعيد في «المقتطف» ص ٤٧٧ ومقدمة ابن خلدون ٣/٣٩٠ (ط. كارمين) والمطرب ٢٠٤ (ط. الأبياري) والمقري: ازهار ١٢٣/٢ والمحي في «خلاصة» ١٠٨/١ ... الخ. (١٢) ص ١١٨ (١٣) الكتاب من تأليف أحد المشتغلين بالموسيقى والغناء واسمه أحمد الدرويش، واطلعنا عن نسخة مخطوطة منه محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الملك عبدالعزيز (مكة المكرمة) وتحمل عنوان «العقيدة الدرويشية» وهو أفضل من «القصيدة الدرويشية» لأنه ليس قصيدة بل مجموعة من الملحوظات (في ١٤٨ صفحة) كتبت بلغة ركيكة للغاية. والنص المشار إليه يجيء في ص ٢٦.

عند هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة، إذ استقبلوه
والجوارى ينشدون:

أشرقَت أنوارُ محمد واختفت منه البـدورُ
يا محمدُ يا محمد أنتَ نورٌ فوق نورِ
وليس في النص ولا في المرجع الذي يذكره ما يحمل على
الاعتداد به، لكن الأعجب من هذا أن د. مصطفى الشكعة في كتاب له
عن: الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه يأخذ به ويجور فيه ويضيف
إليه؛ فهو يقول، في معرض الحديث عن الخرجات في الموشحات:
«ولا زالت ترن في أسماعنا في مطلع كل عام هجري الأنشودة
الطريفة التي استقبل بها أهل المدينة محمداً صلى الله عليه وسلم:

طَلَعَ البدرُ علينا مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ
وجبَّ الشُّكْرُ علينا ما دعا. لله داغ
أبْهَمَ المبعوثُ فينا جثت بالأمرِ المُطَاعِ
وفيها يعن أهل يثرب في إبداء ابتهاجهم بالرسول اسماً وصفة في
قولهم:

أشرقَت أنوارُ أحمد واختفت منها البـدورُ
يا محمدُ يا محمد أنتَ نورٌ فوق نورِ
وجدت إذن في بواكير الشعر العربي أنماط من الأوزان تتساقق
فيها القوافي في كل مصراع لكي تساعد المنشد أو المغني — محترفاً كان أو
هاوياً — على أن يجد إيقاعاً يعتمد عليه... (١٤).

و د. الشكعة لم يذكر أن هذا النص (وهو في حقيقة الأمر نصان
لا علاقة للشاني منها بالأول) من الموشحات، وإن كان ذكره في ثنايا

الحديث عنها، والصلة بينه وبين ما جاء في كتاب خفاجي الذي ذكرناه لا تخفى.

٣ - ظهور الموشحات الأندلسية :

اشتقت كلمة الموشح، على أرجح الظن، من المعنى العام للتزيين، سواء كان ذلك وشاحاً أم قلادة مرصعة، أم غير ذلك (١). واستعملت الكلمة في أحيان كثيرة للتعبير عن بعض المعاني البلاغية (٢)... لكن الذي يعيننا هنا منها دلالتها على قالب من قوالب الشعر العربي، عرف على مدى الأيام باسم الموشحات أو التوشيح أو الموشح، وعرف الناظم فيه باسم الوشاح، وإن لم يؤثر عن واحد ممن برعوا في الموشحات أنه اقتصر على النظم فيها وحدها، بل المعروف أن شعراء الأندلس كانوا يقرضون الشعر وينظمون الموشحات، وإذا كانت شهرة عدد منهم قد تمثلت في هذا الفن، فليس معنى هذا أنهم اقتصروا عليه. وفي كتاب: الذخيرة أن «أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفئنا واخترع طريقها - فيما بلغني - محمد بن محمود القبري الضريير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهمة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو العجمي - ويسميه المركز -، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان» (٣).

(١) في «لسان العرب» مادة «وشح»: «الوشاح: كله حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر» ولعلمهم استلوا المعنى من الموشحة من الأطباء والشاة والطيخ التي لها طرتان من جانبيها». (٢) اطلقت كلمة التوشيح عند البلاغيين على طائفة من الدلالات المختلفة، منها أن يكون «مبدأ الكلام بنبيء عن مقطعه وأوله يخبر بآخره، وصدوره يشهد عجزه» انظر العسكري في «الصناعتين» ٣٨٢/١ (ط. ١٩٥٢) وابن أبي الإصبع «بديع القرآن» ص ٩٠ (تحقيق د. حفني شرف) وابن حجة في الخزانة ١٢٧/١ (ط. بولاق) وقد يعني التوشيح «أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة، وإن كانت أطول منه» انظر أسامة بن منقذ: «البديع في نقد الشعر» تحقيق: د. أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد (القاهرة ١٩٦٠) ص ٨٩.

(٣) ٢/١ : ١

وفي مقدمة ابن خلدون :

«وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم ، وتهدبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح .. وكان المخترع (له) مقدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبدالله بن محمد المرواني ، وأخذ ذلك عنه أبو عبدالله احمد بن عبدربه صاحب كتاب العقد» (٤) .

ويتناول ابن شاکر الکتبي مؤلف فوات الوفيات الموضوع بدوره فيقول : «وقيل إن ابن عبدربه صاحب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي ، ثم نشأ عبادة بن عبدالله ، وهو ابن ماء السماء فأحدث التصغير (لعلها : التضمين ، الذي جاء ذكره في «الذخيرة» وإن يظل المعنى غامضاً) ، وذلك أنه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز (٥) .

والآراء حول النشأة الأندلسية للموشحات أكثر من أن تحصى ، ولكن ليس معنى هذا أن الموشحات ظاهرة مستقلة لا علاقة لها بالشعر العربي ، فؤلّفوا الموشحات هم أولاً وأخيراً شعراء عرب ، وهذه حقيقة لم ينكرها حتى المستشرقون المنادون بأن في الموشحات عناصر إسبانية محلية . وقد تطرق كثيرون لهذه القضية في الماضي وفي الحاضر ، وهناك نص هام حولها أورده الصلاح الصفدي ، نقلاً عن أبي الحسن علي بن سعد الخير :

(٤) المقدمة ط . كاترمير ٣/٣٩١ ، وهو يتكفيء هنا على ابن سعيد في «المقتطف» ص ٤٧٧ وبتردد اسم «مقدم بن معافر الفريري» على هذا النحو المغلوط في مراجع عدة ، وصواب الاسم : «مقدم بن معافي القبري» نسبة إلى قرية قبلة بالأندلس .

وللمزيد من التفصيلات انظر د . الركابي «في الأدب الأندلسي» ط ٤ (١٩٧٥) ص ٢٨٧ .

(٥) «فوات الوفيات» ط . محي الدين (١٩٥١) ج ١ ص ٤٢٥ ، وانظر «الفوات» (ط . احسان عباس) ج ٢ ص ١٤٩ (بيروت ١٩٧٤) وفيها : «فأحدث التصغير» ولا معنى لها .

«ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الديلمي، وأبي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استنبطوا من تلك الأعاريض أقساماً مؤلفة على فقر مختلفة وقواف مؤلفة. قلت (أي الصفدي): يعني بذلك أشعار العرب في أبحر العَرُوض — قال (أي أبي سعد الخير): سموها ملاعب وهي قصيدة قائمة على قواف رباعية أو غير رباعية واستنبط منها أيضاً أهل الأندلس ضرباً قسموه على أوزان مؤلفة وألحان مختلفة، وسموها موشحات وجعلوا ترصيع الكلام، وتنميق الأقسام، وتوشيحاً وكانوا أول من سن هذا الطريق ونهجه، وأوضح رسمه ومنهجه» (٦).

أما المستشرق الإسباني «إيميليو جارتيا جومث» فإنه يرى أن الموشحات تضمنت عناصر عربية أصيلة، وفي بنائها الفني تشابه كبير مع بناء المسطحات والخمسات ولكنه يعتقد أن في الموشحات عناصر محلية إسبانية، تتمثل في الجزء الأخير من الموشحة أي في «الخرجات» وسنوضح ذلك بعد قليل (٧).

٤ — تركيب الموشحة :

ونحن نتحدث عن الموشحات سنمر بعدد من المصطلحات، ومن الأفضل أن نتبين معالم هذه المصطلحات من خلال التطبيق على واحد من النصوص الشهيرة، وليكن هذا النص موشحة للأعمى التطيلي (١):

سَافِرٌ عَن بَازِرٍ	ضَاحِكٌ عَن جُمَانٍ
وَحَوَاهُ صَدْرِي	ضَاقَ عَنهُ الزَّمَانُ

(٦) «توشيع التوشيع» ص ٢٠

(٧) انظر الحديث عن الخرجات.

(١) هذا النص من أجل ما وصل إلينا من موشحات أهل الأندلس، ويرد في أكثر من مصدر، منها — على سبيل المثال: دار الطراز ص ٤٣ (وهو أول الموشحات المذكورة في الكتاب، وجعله مثالا للموشح التام، أي الذي يتضمن

شَقَّنِي مَا أَجِدُ
بِاطِشٍ مُتَّيِّدُ
قَالَ لِي أَيْنَ قَدُ
ذَا مِهْرٌ نَضِرِ
لِلصَّبَا وَالْقَطِرِ

خَذَ فَوَّادِي عَنِ يَدِ
غَيْرِ أَنِّي أَجْهَدُ
وَاشْتِيَاقِي يَشْهَدُ

وَلِذَلِكَ الشَّفَرِ
مِنْ حُمَيَّا الْخَمْرِ
لَيْتَ جَهْدِي وَفُقَّةُ
فَفَوَّادِي أَفْقَةُ
لَا يُبْدَاوِي عَشْقَةُ

آه مِمَّا أَجِدُ
قَامَ بِي وَقَعَدُ
كَلَّمَا قَلْتُ قَدُ
وَأَنْشَى خُوْطَ بَانَ
عَابَثَتْهُ يَبْدَانَ

لَيْسَ لِي مِنْكَ بُدُ
لَمْ تَدْعُ لِي جَلْدُ
مَكْرَعٌ مِنْ شُهُدُ

مَالِ بِنْتِ الدَّنَانِ
أَيْنَ مَحْيَا الزَّمَانِ
بِي هَوَى مُضْمَرُ
كُلَّمَا يَظْهَرُ
ذَلِكَ الْمَنْظَرُ

= القفل الأول، أو المطلع) كما يجيء في « جيش التوشيح » ص ١٦ و« المغرب »
٤٥٣/٢.

وفي « المقتطف » ص ٤٧٨: « سمعت غير واحد من أشياخ هذا الشأن (شأن
الموشحات) بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس
باشبيلية فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها، فقدموا الأعمى
للإنشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحك عن جان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

خرق ابن بقی موشحته وتبعه الباقون. والخبر في مقدمة ابن خلدون ٣/٣٩٢
(ط. كاترمير)

فَلِكَيْ دُرِّي
عُذْرُهُ وَعُذْرِي
أَوْ إِلَى أَنْ أَبْأَسَا
عَبْرَةً أَوْ نَفْسًا
سَاءَ ظَنِّي بِعَاسِي

وَأَنَا اسْتَشْرِي
جَزَعِي وَصَبْرِي

لَو تَنَاهَى عَنِّي
دِينُهُ التَّجَنِّي
وَهُوَ بِي يَغْنِي

لَيْسَ عَلَيْكَ سَاتِدْرِي
وَسَتَنْسَى ذِكْرِي

وإذا طبقنا المصطلحات التي استعملها ابن سناء الملك في مقدمة دار الطراز (٢) قلنا إن هذه الموشحة مما يطلق عليه اسم «الموشح التام» ونص قوله: «الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات، ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدء بالأفعال والأقرع ما ابتدء فيه بالأبيات.»

ووفقاً لهذا الحكم يكون مطلع الموشحة:

سَافِرٌ عَنِ بَدْرِ
وَحَنَوَاهُ صَدْرِي

ضَاحِكٌ عَنِ جُحْمَانٍ
ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ

(٢) لم نشأ أن نحيل هنا على صفحات مقدمة «دار الطراز» في كل موضع ذكرناها فيه حتى لا نزحم الهوامش بغير فائدة.

وهذا المطلع هو القفل الأول من أقفال الموشحة .

القفل :

وقد عرف ابن سناء الملك الأقفال بأنها «أجزاء مؤلفة ، يلزم أن يكون كل قفل منها متفقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها» .. والقفل ، كما تقدم ، يتردد في الموشح ست مرات في التام ، وخمس مرات في الأقرع وأضاف :

«وأقل ما يتركب القفل من جزأين فصاعداً ، إلى ثمانية أجزاء ، وقد يكون في النادر ما قفله تسعة أجزاء وعشرة أجزاء (٣)» والجزء من القفل لا يكون إلا مفرداً» والقفل في موشحة الأعمى التطيلي السابقة يتركب من أربعة أجزاء ، بنيت على قافيتين «أ ، ب ، أ ، ب» ، وذكر من أمثلة الأقفال المركبة من جزأين :

شمس قارنت بدرأ راح ونديم (٤)

ومن أمثلة ماركب من ثلاثة أجزاء :

حلت يد الأمطار أزرة النواز فيأخذني

ومن أمثلة ما ركب من خمسة أبيات :

يامن أجود ويبخل على شخي وافتقاري

أهواك وعندي زيادة منها شوقي وادكاري

الى آخر ما يمكن أن يكون عليه القفل من أجزاء .

(٣) لم يقدم ابن سناء أمثلة من الموشحات التي يحتوي فيها القفل على أكثر من ثمانية أجزاء وان كان قد ألف هو موشحة في مدح القاضي الفاضل يتركب فيها القفل من عشرة اجزاء. انظر دار الطراز ص ١١٨ .

(٤) لا ينسب ابن سناء الملك الموشحات المغربية لأصحابها. وهذا النص يجيء في كل من «الوافي بالوفيات» ٤٠/٤ و«عيون الأنباء» ص ٥٢٦ (تحقيق د. نزار رضا) منسوبا لابن زهر. وانظر في امر نسبة النصوص الواردة في «دار الطراز» لاصحابها بحث د. شوقي ضيف في «الثقافة» (يناير - فبراير ١٩٥٠) ودراسة ايميليو جارتيا جومث في «الاندلس» المجلد ١٧ (١٩٦٢) .

البيت :

وسعنى البيت في الموشحة غير معناه في القصيدة التي يأتي فيها
البيت مكوناً من شطرتين :

والبيت الأول، في موشحة الأعمى التطيلي :

آهٍ مِمَّا أَجَدُ شَقْنِي مَا أَجَدُ
قَامَ بِي وَقَعَدُ بَاطِشٌ مَتَّيْدُ
كُلَّمَا قَلْتُ قَدُ قَالَ لِي أَيْنَ قَدُ

وعرف ابن سناء الملك الأبيات بقوله أنها «أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة، يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقاً مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزائها، لا في قوافيها بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر.

والبيت السابق يتركب من ثلاثة أجزاء مركبة، أي أن كل جزء يضم فقرتين .

ومن الأبيات ما قد تأتي مفردة. كما في المثال التالي :

أرى لك مُهَيِّدُ أحاط به الإثمدُ فجزد ما جزدُ

وهناك أمثلة عديدة للأبيات ذات الأجزاء المفردة أو المركبة، ونضيف إلى ما ذكرناه المثال التالي، الذي يتضمن خمسة أجزاء، كل جزء منها تتركب من فقرتين :

هُنَّ الظباءُ الشُّمْسُ قَنِضُهُنَّ الضَّيْفَمُ
ما إن لها من كُنْسُ إلاَّ القُلُوبُ الهَيِّمُ
القَرْبُ منها عُزْسُ وألبعدُ عنها مائِمُ
تلك الشفاءُ اللُّعْسُ يَخيا بهنَّ المُغْرَمُ
ها لحاظاً نُفْسُ ترنو الى مَنْ يَسْقَمُ

وقد لا يبدأ الموشح في بعض الأحيان بالقفل بل بالبيت مباشرة، وفي هذه الحالة يطلق على الموشح اسم الأقرع .

الخرجة :

وهي القفل الأخير في الموشحة ، وسنعود إليها لنتناولها في شيء من التفصيل بعد قليل .

هذه أهم المصطلحات التي نجدتها في مقدمة «دار الطراز» وهي التي ينبغي الاعتماد عليها أساساً حين يتحدث الإنسان عن الموشحات ومصطلحاتها (٦) .

إلاً أن هناك بعض مصطلحات ترددت في بعض المصادر الأخرى الهامة ، مثلما رأينا فيما قدمنا من مقتطفات عن الموشحات ، نقلاً عن ابن بسام في «الذخيرة» وابن خلدون في «المقدمة» ، ومن هذه المصطلحات «المركز» و «الأغصان» و «التضمين» في عبارة ابن بسام و«الأسماط» و«الأغصان» التي «يكثروالشاحون منها ومن أعار يضها» .

والنقاش قد يمتد بنا طويلاً إذا ما سعينا إلى تقليب الدلالات والاحتمالات ، ونكتفي هنا بأن نرجح أن المقصود بالمركز هو القفل ، أما الأسماط ، فليس ببعيد أن يكون المراد منها أجزاء الأقفال وأما الأغصان فيرجح - في ظل هذا التفسير - أن تؤدي معنى أجزاء الأبيات ، وتبقى كلمة «التضمين» غامضة لا نعرف ما الذي أرادوه بها ، وقد رأينا في «فوات الوفيات» كلمة أخرى هي «التضفير» وليس ببعيد أن تكون هذه اللفظة الأخيرة هي بعينها «التضمين» . بعد أن أصابها شيء من التحوير .

(٥) ترد هذه الموشحة كذلك في «عدة الجليس» لابن بشري دون ذكر اسم مؤلفها انظر دراسة جومث عن دار الطراز ود. «الاهواني» الزجل في الأندلس ص ٨ (هامش).

(٦) انظر عن مصطلحات التوشيح د. مصطفى عوض الكرم: «فن التوشيح» ص ١٧-٣٨ ومقال الدكتور عبدالصير حسين «رأي في القاب الموشحة ونشأة فن التوشيح» بمجلة كلية الشريعة بمكة المكرمة، العدد الاول (١٣٩٣-١٣٩٤هـ) ص ٢٨٥ - ٢٩٧ ودراستنا عن ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز وقد نشر القسم الأول في الثقافة اغسطس ١٩٧٨ . وانظر كتاب شترن المذكور آنفاً وكتاب د. عباس الجراري: «موشحات مغربية» ص ١٩-٣١ .

ويرى القارىء في بعض المصادر الأخرى مثل «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي مصطلحاً آخر هو «الدور» ويأتي في مقابل «البيت» وقد انتشر استعمال لفظة «الأدوار» في العصور المتأخرة، في كثير من الأغاني والأزجال، بمعنى أن «الدور» أصبح وحدة فنية قائمة بذاتها. (٧)

والدارسون المحدثون يختلفون فيما بينهم فيما يتصل بتلك التسميات فالدكتور مصطفى عوض الكرم، مؤلف كتاب هام عنونه «فن التوشيح» يطلق (٨) على القفل الأول اسم «المطلع» أو «المذهب» ويستخدم كلمة «الدور» للدلالة على ما أسماه ابن سناء الملك بـ «البيت».

أما البيت فقال إنه «الدور مع القفل الذي يليه» وأطلق لفظة الغصن على «القسم الواحد من المطلع أو القفلة أو الخرجة» و «الغصن» عنده مساو لـ «الجزء» عند ابن سناء الملك، كذلك استعمل كلمة «الأسماط»، جمع سمط، حين تحدث عن أجزاء البيت (بحسب اصطلاح ابن سناء الملك أو الدور بحسب اصطلاحه هو)، وعلق على هذا الاستعمال قائلاً:

وجدير بنا أن نذكر أن هذا التعريف للغصن والسمط هو الذي ارتضيناه بعد طول النظر في أجزاء الموشحات، فإننا لم نجد أحداً من سبقنا له تعريف واضح محدد لهما، وقد يستعمل أحدهما أو كلاهما في معنى الدور أو القفل. ولم يرد اللفظان في كتاب دار الطراز، ويستعمل ابن سناء الملك بدلاً منها معاً لفظة «جزء»، وقد وردت لفظة الأغصان في كلمة لابن بسام يصف فيها اختراع الموشحات وتطورها، ومعناها غير واضح ولا محدد ويخيل لي أنه يقصد بها الأدوار والقفلات، ما عدا الخرجة، التي يشير إليها إشارة واضحة بلفظة

(٧) يذكر شترن في دراسته التي ذكرناها آنفاً (ص ١٤) أن هناك عدداً آخر من المصطلحات مثل مصطلح «راس» الذي يجيء في ديوان ابن عربي (ص ١٩٤ من ط. بولاق): «وقال أيضاً في نظم التوشيح وله رأس» - ص ٢١٢ ومواضع أخرى. كذلك يرد عند أبي عربي: «وقال أيضاً في نظم التوشيح ذي النقال» ص ٨٤. (٨) انظر ص ٢١ وما بعدها.

المركز: (٩)

أما د. جودت الركابي في كتابه في الأدب الأندلسي فيلتزم بمعظم المصطلحات التي جاءت في «دار الطراز»، ولكنه يضيف أن وشاحي الأندلس حاولوا أن يفتنوا في الأقفال والأبيات وعدد أجزائها، والتزام قوافيها، ليصلوا من ذلك إلى أنواع جديدة تحمل أسماء جديدة، فن ذلك أن يسموا القفل لازمة اذا كان القفل بيتين صدرهما قافية واحدة، وعجزهما كذلك، ثم يأتي بعد ذلك البيت ثلاثة أجزاء، وكل جزء فقرتان، متفقة صدرهما في القافية، ثم يأتي القفل، وبعده بيت، وهكذا الى النهاية... وأضاف بعد ذلك:

«وكل قفل مع البيت الذي يليه يسمى السمط، ونرى أن الموشحة تتألف من عدة أسماط متشابهة في أقفالها، مختلفة في أبياتها، وهذا ما يكون نوعاً من الترصيع يقربه من وشاح المرأة الذي شبهت به الموشحات» (١٠).

اختلف الناس فيما بينهم إذن، وحاول الدارسون على مدى العصور أن يجلبوا ما يحيط بالمصطلحات القديمة من غموض، ولكنهم، قدماء ومحدثين، اتفقوا في التسمية الخاصة بآخر أجزاء الموشح، وهي الخرجة.

الخرجة:

ويعود بنا الحديث عن الخرجات الى دار الطراز وما فيه عن هذا القسم الهام من أقسام الموشحة:

«الخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح. والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن، حارة محرقة،

(٩) ص ٣٣

(١٠) ص ٢٩٨ وانظر د. أحمد هيكل ص ١٤٣ من «الأدب الأندلسي» ط ٦ وعنده ان القسم الذي يقع بين القفلين يسمى غصنا، وهذا ما يجيء كذلك في كتاب د. إحسان عباس: «تاريخ الأدب الأندلسي» ج ٢ ط ٢ ص ٢٣٥، ويقول ان «اجتماع القفل والغصن التالي له يسمى دورا وبعضهم يسميه بيتا».

حاددة منضججة، من ألفاظ العامة ولغات الخاصة، فإن كانت معربة الألفاظ، منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقوال، خرج الموشح من أن يكون موشحاً، اللهم إن كان موشح مدح وذكر اسم الممدوح في الخرجة، فإنه يحسن أن تكون الخرجة معربة كقول ابن بقي :

إنما يحيى : سليل الكرام : واحد الدنيا : ومعنى الأنام (١١)

وقد تكون الخرجة معربة وإن لم يكن فيها اسم الممدوح، ولكن بشرط أن تكون ألفاظها غزلة حادة، هزازة سحارة خلابة، بينها وبين الصبابة قرابة، وهذا معجز معوز..

والمشروع بل المفروض في الخرجة أن يجعل الخروج إليها وثباً واستطراداً وقولاً مستعاراً على بعض الألسنة، إما السنة الناطق أو الصامت .. وأكثر ما تجعل على السنة الصبيان والنسوان، والسكرى والسكران، ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من : قال أو قلت أو قالت أو غنى أو غنيت أو غنت .

ونحن مضطرون إلى متابعة بقية حديث ابن سناء الملك عن الخرجات لأنه بمثابة حجر الزاوية في هذا الموضوع :

« .. وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ، بشرط أن يكون لفظها أيضاً في العجمي سفساً نفطياً، (١٢)، ورمادياً زطياً. والخرجة هي أبراز الموشح

(١١) مطلع الموشحة: أعجب الاشيا رعيي لذمام من ابي الرعيا وشاء حامي ص٦٦ هي لابن بقي، كما نص ابن سناء الملك نفسه ص٣١ (من المقدمة). وهناك عن الخرجات دراسات عديدة من أهمها:

— Stern; Les vers finaux (kharjas) en espagnole, Oxford, 1964.

— Stern: Les (hanson Mozarabes)

— Levi Provençal: Quelques du dechiffrement des harjas Mosarabes ARABICA, 1954.

وأهم ما بالعربية حول الموضوع:

د. الأهواني: الزجل في الاندلس ص٦-٥١

(١٢) لم نجد تفسيراً مقنعاً لكلمة «نفطياً» وقد ترجها شترن وغيره بمعنى النفط أو البترول، ويراودنا الظن بأن المقصود بها: «نفطة» مدينة بالمغرب الأقصى من أعمال الزاب الكبير، وذكر ياقوت في «معجم البلدان» ط. بيروت ١٩٥٧ ج٥ ص٢٩٦ أن «أهلها شراة اباضية، ووهبية متمردون» وهذا يناسب ما =

وملحه وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها. ويعملها من ينظم الموشح في الأول، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية... فكيف ماجاء اللفظ والوزن خفيفاً على القلب أنيقاً عند السمع، مطبوعاً عند النفس حلواً عند الذوق تناوله وتنوله.. وبني عليه الموشح، لأنه وجد الأساس وأمسك الذنب، ونصب عليه الرأس».

ويضيف ابن سناء الملك بعد ذلك أن من المتأخرين من يجد مشقة في تأليف خرجة تجتمع لها كل هذه الصفات، ومن ثم يبني موشحته على خرجة غيره، وهو يرى أن هذا الصنيع من متأخري الوشاحين أفضل من الوقوع في الشغل أو التكلّف الذي قد يتعرضون له، لو أنهم سعوا الى تأليف خرجات من عندهم.

ولعل هذا النص في حاجة الى شيء من الإيضاح، فما المراد بقوله إن الخرجة ينبغي أن تكون «حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن»؟ إن اللفظة الأولى تشير إلى شاعر بغدادى هو ابن الحجاج (توفى سنة ٣٩١ هـ) وفي شعره مجون وإحماض يربو على صنيع أي شاعر عربى آخر (والسخف الذي يشير اليه ابن سناء الملك يعنى الميل للهزل ولا يدل على الشغل، كما قد يتوهم فريق من القراء) وفي لفظة «قزمانية» إشارة إلى ابن قزمان (توفى سنة ٥٥٥ هـ) الزجال الأندلسى المشهور فكان الشرط في الخرجة - وفقاً لما قرر ابن سناء الملك - أن تكون معبرة عن المجون، وأن تكتب باللهجة العامية، بل أن تأتي أقرب ما تكون إلى لغة الأفاقين واللصوص «الداصة» والرعاع.

ولكن ابن سناء الملك يلاحظ في الوقت نفسه أن هناك خرجات جاءت بالفصحى (١٣). وذلك حين تكون الموشحة موشحة مديح وذكر

= جاء من أن الشرط في ألفاظ الخرجة أن تكون «من ألفاظ العامة، ولغات الداصة».

(١٣) من أمثلة ذلك ما جاء في «دار الطراز»: .
موشح ص ٤٥: فزت بالأمانى ما جاد بإحسان صاحب المدينة أعلى الله تمكينه.
ص ٥٦: بنى عباد بكم نحن في أعياد: وفي أعراس: لا عدتمو للناس.

اسم الممدوح في الخرجة وقد لا تكون كذلك، ولكن روعي فيها أن تكون نظمت في ألفاظ غاية في الرقة، مشحونة بالموسيقى والمعاني الآسرة والصور الموحية.

ويلاحظ كذلك أن «البيت» الذي قبل الخرجة يتضمن كلمة «وقال» أو «قلت» أو «غنت»... الخ، أي يتضمن لفظة تدل على أن الخرجة هي الجملة التي تردت على لسان إنسان ما «العاشق أو العاشقة» أو على لسان الطير أو الشجر الخ...

والخرجة - في موشحة الأعمى التطلبي التي ذكرناها - جاءت على لسان المحبوب، ونصها، مع البيت الذي جاء قبلها:

ما عملى من يلموم لو تَنَاهَى عَنِّي
هل سوى حُبِّ ريم دِيئُهُ التَّجَنِّي
أنا فيه أهيم وهو بي يُفَنِّي
قد رأيتك عياناً ؛ ليس عليك سادري ؛ سايطون الزمان ؛ وستتسى ذكري

وهي خرجة عامية، ولكنها لا تمثل، مع ذلك، ما قرره ابن سناء الملك من شروط المجون، وأداء المعنى في لهجة الرعاع. ومن الموشحات التي جاءت في «دار الطراز» وفيها قدر وفير من الاخماض الموشحة التي أولها:

مَنْ أودَعَ الأَجْفَانِ صَوَارِمَ الهِنْدِ
وفي آخرها أن المحبوبة الفاتنة «باتت وهي تشدو»:

ص ٦٤: أما ترى أحمد في مجده العالي: لا يلحق.

أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق.

ص ٦٧: إنما يحيى سليل الكرام واحد الدنيا ومعنى الأنام.

ص ٦٩: قل هل علم أو هل عهد أو كان كالمعتصم والمعتضد ملكان.

حسبي اعزّم وقمّ واهجمّ وقبّل فمّ واجسي وانضمّ
إلى صدري وقمّ بخلخالي إلى اقراطي قد اشتغل زوجي
وتضم مجموعة « جيش التوشيح » للسان الدين بن الخطيب موشحات كثيرة
لها خرجات عامية فيها قدر من الفحش والتعبير عن الرغبات الحسية .
وذكر ابن سناء الملك عدداً من الموشحات التي جاءت الخرجات فيها
بالفصحى ، ولم تكن موشحات مديح ولكن لغة الخرجة بلغت الذروة في السهولة
والشاعرية ، فن ذلك موشحة ابن بقي التي أولها :

مالي شَمُونُ إلا شُجُونُ مزاجُها في الكاسِ دمعُ هتونُ

والخرجة هي :

ليلٌ طويلٌ ولا مُعِينُ ياقلبَ بعضِ الناسِ أما تَلِينُ ؟

ومن الموشحات الأخرى التي من هذا الطراز الموشحة التي أولها :

يا شقيقَ الروحِ من جسدي أهوى بي منك أم لأمّ

وهي تنتهي بالبيت والخرجة الآتيتين :

هل بشوقي رذغٌ كُملّ صبا
تَجْتَلِيها آيةٌ عَجبا
حين أشدوها بكم طربا

يا نسيمَ الروحِ من بلدي خبرَ الأحبابِ كيف همّ ؟

ومن هذا الطراز نفسه موشحة ابن زهر (التي نسبت خطأ لابن المعتز) :

أيها الساقى اليك المُشْتكى قد دعونا لك وإن لم تسمع
والخرجة فيها، مع البيت الذي يأتي قبلها :

كَبِيدُ حَرَّى ودمعُ يَكِيفُ
يَعْرِفُ الذنْبَ ولا يَعْتَرِفُ
أيها المَعْرِضُ عَمَّا أَصَفُ

قد نما حُبُّكَ عندي وزكا لا تُقَلُّ في الحَبِّ إني مُدَّعي
وقد يلجأ الوشاح إلى الاتكاء في الخرجة على بيت لشاعر غيره، كما
فعل ابن بقر في موشحته :
لستُ مِنْ أسْرِهِوَاكُ مُخَلًّا إن يَكُنْ ذا ما طلبتُ سَراحا
والبيت الأخير فيها مع الخرجة :

لستُ أشكو غيرَ هجرِ مواصِلِ
قد منعتُ القلبَ عن عَدْلِي عاذِلِ
وتغنيتُ لهم قولَ قائلٍ :

عَلِّمُونِي كَيْفَ اسْأَلُوا وَإِلَّا فَاحْجَبُوا عَن مَقَلَّتِي الملاحا

فهذه الخرجة لا تعدو أن تكون بيتا من قصيدة لابن المعتز أولها :
عَرَفَ الدارَ فحِيًّا وناحا بعدما كانَ صَحًّا واستراحا
ظَلَّ يَلحاه العذوُّ وَيأبى في عِنانِ العَدْلِ إِلا جاحا
عَلِّمُونِي كَيْفَ اسْأَلُوا... الخ (١٤)
الخرجة «الأعجمية» :

الخرجة «الأعجمية» أو «العجمية» جانب من أكثر جوانب
الموشحات تعقيداً وإثارة للجدل منذ زمن بعيد .
ومن جوانب الصعوبة أن المصادر القديمة لم تذكر بصدها إلا عبارات
غامضة وجملاً مقتضبة .

(١٤) ديوان ابن المعتزط. القاهرة ١٨٧١ ص ١١٠

فابن بسام اكتفى بأن قال إن الوشاح القديم كان «يأخذ اللفظ العامي أو العجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة»

وابن سناء الملك نفسه، في كتاب آخر له عنوانه **فصوص الفصول وعقود العقول** (١٥)، ولا يزال مخطوطاً. يقول في معرض حديثه عن موشحة له: «وكنت لما أولعت بعمل الموشحات قد نكبت عما يعمله المصريون من استعاراتهم لخرجات موشحاتهم لخرجات موشحات المغاربة، فكنت إذا عملت موشحاً لا أستعير خرجة غيري، بل ابتكرها واخترتها، ولا أرضى باستعارتها، وقد كنت نحوت فيها نحو المغاربة، وقصدت ما قصده، واخترعت أوزاناً ما وقعوا عليها، ولم يبق شيء عملوه: إلا عملته، إلا الخرجات الأعجمية فإنها كانت بربرية (١٦)، فلما اتفق لي أن تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح (١٧) وغيره، وجعلت خرجته فارسية بدلاً من الخرجة البربرية».

وقد احتدم النقاش على أثر اكتشاف عد من الموشحات العبرية الأندلسية (١٨)، ثم العثور على كتاب ابن بشرى الغرناطي «عدة الجليس» وبه نحو ثلاثمائة موشحة، وعلى مجموعة «جيش التوشيح»

(١٥) من الكتاب عدة مخطوطات بدار الكتب والأزهر وباريس والاسكوريال. ولدينا من هذه المخطوطة نسخة نقلتها د. سعيدة رمضان عن مخطوطة دار الكتب وقابلتها على كل من نسختي الأزهر وباريس وعنها نقل هنا. (١٦) من الجلي أن الأمر التيس هنا على ابن سناء الملك، فالخرجات «الأعجمية» لم تكن بربرية بل كانت بلغة الرومانت.

(١٧) يعني هنا موشحته: «في خديك من صير اللاذ» وترد في «فصوص الفصول» كاملة وألحقها محقق «دار الطراز» بالكتاب انظر ص ١٣٥ وفي «توشيح التوشيح» للصفدي موشحة ثانية لابن سناء الملك ذات خرجة فارسية.

(١٨) انظر عنها: Stern, Hispano-Arabic Srophic Poetry والقسم الرابع منه «دراسات عن ابن قزمان» يتضمن تفصيلاً عن أعمال الشعراء اليهود الأسبان التي كتب محاكاة للموشحات والأزجال العربية. وفي مجلة «الشعر» القاهرية بحث بعنوان «الموشحات العبرية» د. محمد بجر عبدالمجيد (يناير ١٩٧٧).

للسان الدين ابن الخطيب، وفي هذين الكتابين نصوص عديدة من الموشحات لها خرجات بهذه اللغة التي دعيت حيناً بـ «العجمية» وحيناً آخر بـ «البربرية» .

ومن هذه الموشحات واحدة ألفها محمد بن عبادة القزاز والبيت الأخير فيها:

يا وَيَخَ مَنْ يَتَّصِلُ بجبلي مَنْ لا يَسِيفُ
لما رَأَتْهُ بِطَلُ وهي غراما تَكَلَّفُ
غَتَّتْ وما لِلأَمَلِ إلا إِلَيْهِ المَضَرَفُ
ثم تحييء بعد ذلك الخرجة:

ميو سيدي ابراهيم يانوا من دلج
فانت ميب، دي نخت
ان نون شنون كارش، بيرم تيب
غرمي اوب، لقرت

ومعنى الخرجة:

يا سيدي ابراهيم، يا صاحب الاسم العذب، أقبل إليّ، في المساء
فإن لم ترد، جئت إليك، ولكن أين أجذك؟ (١٩).

وتميل جمهرة المستشرقين إلى الاعتقاد بأن هذه الخرجات تتركز على أغان إسبانية قديمة كتبت بلغة «الرومانت»، التي عرفنا أنها في جوهرها لهجة انبثقت من اللغة اللاتينية، وأنها كانت شائعة على أرض الأندلس لفترة طويلة من الزمن.

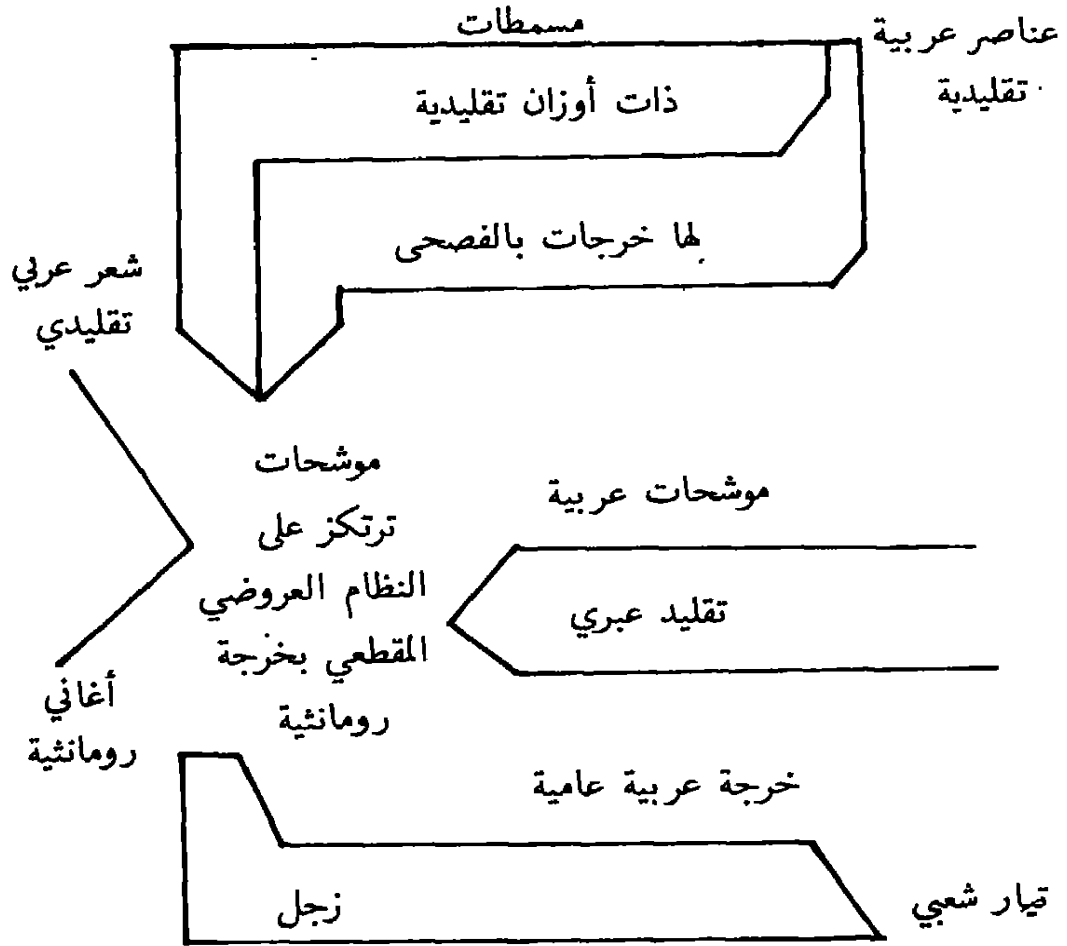
وهم يستمدون فكرتهم أو نظريتهم هذه مما وجدوه من ارتباط شديد بين الموشح والموسيقى، وقالوا إن هذه الخرجات أغان شعبية إسبانية. اهتز لها فريق من الشعراء العرب، وأرادوا النسخ على منوالها وإبداع شعر قابل

(١٩) د. عبدالعزيز الأهواني «الزجل في الأندلس» ص ٤٨
والنص (مع اختلاف يسير) في كتاب د. إحسان عباس: «تاريخ الأدب
الأندلسي» ٢/٢٣٩ مع نصوص خرجات أخرى، استقاها مما نشر جومث في مجلة
«الأندلس» العدد ١٩ (١٩٥٤) ص ٣٧٥.

للتغني بنفس أوزانها وألحانها، وأدت هذه المحاكاة إلى إحداث تركيب معقد في بناء هذا النوع من الشعر، ليتوافق وما في هذه الأغاني من إيقاع.. ويقول جوثالث بالثيا في هذا الصدد:

«ولم نوفق إلى الآن في التعرف على المصدر الذي استوحاه مقدم عندما ابتكر فن التوشيح، فيذهب البعض إلى أن أصل الموشح أندلسي محلي ويذهب البعض الآخر إلى أنه جليقي، ويذهب البعض إلى أنه أصله البعيد روماني» (٢٠) ويقول جومث:

«إن وجود نفس الخرجة في موشحة عربية وأخرى عبرية في قصيدتين مختلفتين لشاعرين مختلفين، يؤيد أن هذه الخرجات عبارة عن أغان قصيرة باللهجة الرومانشية كانت معروفة من قبل، وأنه على هذه الأغاني بنيت الموشحات» (٢١) ويلخص تطور الموشحات وفقاً للشكل الآتي:



(٢٠) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٥٤ نقلا عن «فن التوشيح» ص ١٠٨

(٢١) La Lirica hispano - arabe, AL-ANDALUS, Vol. (1956) pp. 303-338.

وهناك فريق آخر من الدارسين العرب لا يؤمن بأن هذه الخرجات الرومانشية أغان شعبية قديمة أو نحو ذلك، بل يظن أنها من تأليف الوشاحين الأندلسيين أنفسهم .

والموضوع — في واقع الأمر — أعمق من أن يتناول من زاوية ضيقة، أو تقدم فيه آراء لا تتكفي على العلم والموضوعية .

وما يضير الأدب العربي في شيء أن تكون الموشحات قد تأثرت في الخرجات ببعض الأغاني المحلية الاسبانية، كما لا يضيره أن يكون الدوبيت — أو غيره — يتضمن عناصر أجنبية، فالبحث في ميادين الثقافة الانسانية يقود إلى التسليم بأن هذه الثقافة ليست إلا ثمرة التزاوج بين حضارات شتى، على مدى الدهور .

وإذا كانت هناك نظرية تشير إلى وجود بعض خرجات رومانشية مستعارة من الغناء الاسباني القديم، فانا نجد — في مقابلها — نظرية أقوى تأثيراً وأجل أهمية، تنادي بأن الموشحات والأزجال أثرت تأثيراً جوهرياً في نشأة الشعر الأوروبي كله، وتقول بأن أغاني «التروبادور» ليست إلا «الصورة الأوروبية» لهذين الفنانين العربيين اللذين ظهرا على أرض الأندلس . وهذه النظرية مؤيدون عديدون منهم — على سبيل المثال — ريبيرا، ومننديث بيدال، وجونثال بلنثيا، وجومث، وليني بروفتسال، وشارل بلا، وهنري بيريس، وجب، ونيكل، وجرومباوم... الخ .

٥ — أوزان الموشحات :

قسم ابن سناء الملك في كتابه «دار الطراز» الموشحات إلى قسمين :

الأول : مابنى على أشعار العرب .

الثاني : مالا علاقة له بهذه الأوزان .

وأوضح أن «مابنى على أشعار العرب من الموشحات ينقسم بدوره إلى قسمين :

الأول : وليس فيه من حيث الوزن أي اختلاف عن الشعر العادي .

وقد هاجم ابن سناء الملك هذا النوع من الموشحات هجوماً شديداً، وقال

إنه «بالخمسات أشبه منه بالموشحات ، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء» ، ولكنه استثنى من الذم ما كانت قوافي القفل فيه مختلفة مثل موشحة :

يا شقيقَ الرُّوحِ من جسدي أهوىُّ بي منك أم لَمَمُ
فالجزء الأول من هذا القفل على قافية الدال ، أما الثاني فعلى قافية الميم ، والجزءان معاً من بحر المديد ، بدون أي تغيير .
وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع ، فن ذلك موشحة :

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع
وقد جاءت على بحر الرمل (١)
ومثل موشحة ابن بقی :

لستُ مِنْ أسرِ هواك مُخَلَّاً إن يكن ذا ما طلبتُ السَّماحا
وهي بدورها على بحر المديد ، وخرجتها بيت لابن المعتز .

هذا عن القسم الأول من أقسام الموشحات التي تتكيء على أوزان الخليل بن أحمد ، أما القسم الثاني من هذا النوع فهو «ماتخلت أقاله

(١) نشر هنا الى ما يقوله د. ابراهيم أنيس في «موسيقى الشعر» ص ٢٢١ : «أما أوزان الموشحات فنما ما نظم على الأبحر القديمة ، كالرمل في غالب الأحيان ، والرجز والمديد ، والخفيف ، والهزج ، والسريع ، والمتقارب ، والبسيط ، بل يظهر أن الموشحات قد نظمت أول ما نظمت على الأبحر القديمة ، ثم تطورت أوزانها فيما بعد .. » والى ما يقوله د. عبدالله الطيب في «المرشد» ١٣/١ : «إذا تتبعنا تاريخ الموشحات وجدتها بدأت بطراز من بحر الرمل وبنوع من التسميط رشيق ، كما في منظومة ابن الخطيب : جادك الغيث ، ومنظومة ابن المعتز «أيها الساقى» ثم جعلت أنواع الموشحات تكثر وزخارفها تزيد .. »

وغنى عن الذكران مثل هذه الآراء لا تتكيء على مصادر يعول عليها ، وقد بنيت استناداً الى استنتاج قائم على أن موشحات «جادك الغيث» و«أيها الساقى» ومعارضاتها من بحر الرمل .

وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة، كسرة كانت أم ضمة أو فتحة، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقريضاً محضاً. وضرب ابن سناء الملك مثلاً لذلك قول ابن بقي:

صبرتُ والصبرُ شيمهُ العاني
ولم أقل للمطيلِ هجراني مُعذّبي كفاني

فلولا الزيادة التي تتمثل في كلمتي «معذبي كفاني» لكنا أمام نص من بحر المنسرح.

وقد يحدث التغيير عن طريق إدخال قافية أخرى مثل:

يا ويح صبُّ إلى البرق له نَظَرُ
وفي البكاء مع السُورق له وَظَرُ
فهذه الفقرة يمكن أن تعطينا بيتاً عادياً كما في الشعر التقليدي لو أنها جعلت:

يا ويح صبُّ إلى البرق له نَظَرُ
وفي البكاء مع السُورق له وَظَرُ
وبذا تصبح من بحر البسيط.

وننتقل الآن للموشحات التي لم تجيء على أوزان أشعار العرب، وأمرها—ولا شك—أكثر تعقيداً، فضلاً عن أننا لا نجد عنها شيئاً ذا بال، باستثناء مافي «دار الطراز»، ويمكن أن يذكر في هذا الصدد كذلك قول ابن بسام إن «أوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان، (يقصد كتابه الذخيرة) إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب» (٢). وابن سناء الملك يذكر أن هذا النوع يمثل الكثرة الغالبة، ويحدثنا أنه حاول أن يستخلص عروضاً لهذا النمط من الموشحات، ولكن محاولته لم يقدر لها النجاح، لأنه وجد أنها كثيرة العدد من ناحية، وراى—من ناحية أخرى أنه لا يمكن ضبطها إلا بالتلحين: «وأكثرها مبنى على تأليف الأرعن، والغناء بها على غير الأرعن مستعار، وعلى سواه مجاز».

(٢) «الذخيرة» القسم الأول، المجلد الثاني ص ١

ويشير كذلك إلى لونين من الايقاع، الأول واضح المعالم تدركه الأذن، كما تدرك الأوزان التي تبني عليها القصائد، والثاني خافت النغم، لا يكاد يبين له وزن مستقيم، ويورد مثلاً لذلك:

أنت اقتراحي لا قرب الله اللّواحي

من شاء أن يقوّنَ فإنّي لستُ أسمع
خضعتُ في هواك وما كنتُ لأخضع
حي على رضاك شفيع لي مُشفع

نشوانٌ صاحي بين ارتباع وارتياح

وعلق على هذا النص قائلاً:

«فها أنت ترى نبو الذوق عن وزن هذا الكلام وما له عند الطبع الضعيف نظام، ولا يعقله إلا العالمون من أهل هذا الفن... وما كان من هذا النمط فما يعلم صالحه من فاسده، وساله من مكسوره، إلا بميزان التلحين».

ومما يتصل بمسألة الصعوبة في الأوزان حديث صاحب «دار الطراز» عن تلك الموشحات التي لا تراعي فيها وحدة الوزن، بل تحييء الأبيات فيها على وزن مخالف للوزن الذي يبتدى في الأفعال. والتغيير في الايقاع، كما يقرر ابن سناء الملك يتطلب حذقاً بالغاً، لا يقوى على عمله إلا من تمرس على صناعة الموشحات وكان على علم بمتطلبات اللحن والغناء.

وتجدر الإشارة هنا إلى محاولة قديمة قام بها المستشرق ارتمان (في كتابه Das Muwassah) لضبط أوزان الموشحات قادته إلى استخراج ١٤٦ شكل يتوافق والعروض العربي، كما ذكر ثلاثة أنواع لا تتوافق وهذا العروض.

وقد حاول أحد الباحثين المعاصرين — وهو الدكتور سامي النشار — أن يحلل أوزان موشحات وأزجال أبي الحسن الششتري، وانتهى إلى نتائج هامة، منها أن موشحات الششتري التي كتبت في المغرب تنشأ على نحو

مغاير لما ألفه في المشرق وإلا اضطرب الوزن والموسيقى المصاحبة للانشاد(٣). ويمكن في ضوء ما مر بنا — القول بأن الموشحات تنقسم من حيث الوزن إلى مايلي :

— موشحات تأتي فيها الأفعال في صورة البيت الشعري ، وتأتي أبيات الموشحة على نسق الأقطار، وبمعنى آخر إن الموشحة التي من هذا النوع لا تتضمن خروجاً على الأوزان التقليدية المعروفة .

— وهناك موشحات تأتي فيها الأوزان أقرب ما تكون للايقاعات التي وضعها الخليل ، لكن الوشاح يقسم القفل (والبيت) إلى عدة أقسام ، وبمعنى آخر أن صورة الوزن العروضي الخليلي يطرأ عليها تغيير حزي .

— وقسم ثالث لا يخضع بمجموعه لوزن ثابت لأن المعول فيه يكون على أسلوب الأداء (intonation) وابن سناء الملك يقول إن هذا القسم منها هو الكثير، والجمل الغفير» .

٦ — الموشحات ونظام التقفية :

نظر كثير من الدارسين إلى الموشحات فلم يروا فيها — في نهاية الأمر — إلا لوناً من الشعر يعتمد أساساً على التنويع في القوافي ، شأنه في ذلك شأن الخمسات والمسمطات وما شاكلها مما عرف في المشرق ، وانظر على سبيل المثال ما يقوله د. شوقي ضيف في كتابه «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» من أنه : «لا يبقى للأندلسيين في موشحاتهم سوى التجديد في القافية ، وهو ضرب من الحرية في صناعة المقطوعة ، أوجدهت ظروف

(٣) أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجاج وأثره في العالم الإسلامي في «مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية» العدد ١ (السنة الأولى ١٩٥٣) ص ١٢٩ وما بعدها.

أنشاد المغنين مع الجوقات للشعر، ونحن لا يمكن أن نعتد بهذا الجانب كمذهب جد يد في الشعر، إلا إذا كنا ممن يؤمنون بالشكليات، ويتخذونها أصولاً للمذاهب الفنية» (١).

ويقول د. ابراهيم أنيس في كتابه «موسيقى الشعر»: «وليست الموشحات قبل تلحينها إلا نوعاً من الشعر المسمط، ففيها تتكرر قوافي الأقفال حتى نهاية الموشح» (٢).

وفي ظننا أن هذه الأحكام أطلقت بتأثير من أنماط موشحات مثل موشحة ابن زهر:

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وأن لم تسمع
وموشحة لسان الدين بن الخطيب:

جارك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصل بالأندلس
فهذا النوع من الموشحات يشبه من بعض الوجوه أشكال الخمسات والمسمطات التي عرفنا عنها لمحة في التمهد.

وموشحة ابن زهر مما يطلق عليه ابن سناء الملك تسمية «الموشح الشعري» الذي يأتي الوزن فيه مطابقاً لأوزان الشعر التقليدي «ولا يتخلل أقفاله وأبياته كلمة تخرج به تلك الفقرة عن الوزن الشعري، وما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذول المخذول، وهو بالخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يقعله إلا الضعفاء من الشعراء... اللهم إلا إن كانت قوافي قفله مختلفة، فانه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن الخمسات..»

وابن سناء الملك يسوق في ذلك مطلع موشحة «أيها الساقى» والمطلع التالي:

يا شقيق الروح من جسدي أهوى بي منك أم لمم
وكأن الموشح الشعري يشبه الخمسات في قوافيه، وإن كان يختلف عنها في أن قافية الجزء الأول تأتي مغايرة لقافية الجزء الثاني.

(١) الفن ومذاهبه ٤٥١ (ط ٤ القاهرة ١٩٦٠).

(٢) ص ٢٨٦

والأشكال الأخرى — أي ما كان غير (الموشح الشعري) تأتي أكثر تعقيداً من حيث القافية ، تبعاً لتعدد أجزاء كل من القفل والبيت فيها .
وقد لاحظ ابن سناء الملك أن الموشح «يتألف في الأكثر من ستة أفعال ومحسة أبيات» وهناك عدد من النصوص خرج على هذه القاعدة ، ومن أشهر النماذج التي تذكر في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب .
جارك الغيث إذا الغيث هـي يا زمان الوصل بالأندلس
وتضم أحد عشر قفلاً (من ضمنها القفل الأول «المطلع» والقفل الأخير الذي يسمى بـ«الخرجة») .
٧ — لغة الموشحات :

رأينا في الصفحات السابقة ، وفي ما أوردناه من نصوص كيف أن لغة الموشح تعد في مجموعها لغة صحيحة تتفق وقواعد اللغة العربية ، ولاشك في أن القارئ قد لاحظ ما تنسم به الموشحات من رقة وعدوبة وصفاء ، حتى يمكن قراءة مجموعة كاملة منها دون أن يصادف فيها لفظة تستعصي عليه ، أو تركيباً فيه لون من ألوان التعقيد .

وغني عن القول أن صنيع الوشاحين الأندلسيين يأتي امتداداً لما سار عليه الشعراء المحدثون ، من أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وابن المعتز وإذا كان من الشعراء العباسيين من حرص في مدائحه على الديباجة القديمة والجزالة العربية ، فإن الموشحات بحكم قالبها الجديد وموضوعاتها ، وغنائيتها كانت في غنى عن الديباجة الفاخرة ، والأساليب التي تتسم بطابع البداوة . ونستطيع أن نقول إن الموشحات الأندلسية جاءت بصورة عامة — بعيدة عن الامعان في المحسنات البديعية والألعايب اللفظية .

ونحن لا نتعرض هنا بطبيعة الحال للخرجات وما فيها من استعمال للعامية أو للغة الرومانث ، فقد سبق أن مررنا على هذ القضية ، ولكن ما نريد أن نوضحه الآن هو أن دارسي الأدب متفقون على عدم جواز استعمال العامية في ثنايا الموشحة .

وقد أشار ابن سناء الملك إلى «الموشح المعروف بالعروس ، وهو موشح

ملحون واللحن لا يجوز استعماله في شيء من ألفاظ الموشح، إلا في الخرجة خاصة، فإن جاء اللحن في الموشحة اعتبرت «مزمنة».

وهناك وجهات نظر متضاربة حول لغة الموشحات، فباحث مثل د. جودت الركابي يحمل على الموشحات حملة شعواء في كتابه «في الأدب الأندلسي» ولا يرى في موشحة ذائعة الصيت مثل موشحة ابن سهل:

هل درى ظبي الجحى أن قد حى قلب صبّ حله عن مكنس

إلا المعاني التافهة، والمبالغة في الزينة، مع قدر من العذوبة في نغماتها وقوافيها، وينتهي إلى القطع بأن «لغة الموشحات يغلب عليها الضعف والركاكة، وهي في لينها وحررتها وأتلافيها مع روح العامية قادت اللغة الشعرية إلى الركاكة وأساءت من هذ الناحية إلى اللغة العربية. (١).

وفي مواجهة هذا الرأي نجد د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» يعيب على عبادة بن ماء السماء وغيره أنهم في موشحاتهم مالوا لأن يثبتوا «براعتهم واقتدارهم وثروتهم اللغوية، ثم استوحوا الشعر القديم، واقتبسوا منه، وأخذوا أنفسهم بسننه ومعانيه وبأوزانه أحياناً...» (٢).

وليس في الموشحات — فيما نظن — لا ضعف ولا ركاكة في اللغة بل إننا لنذهب إلى القول بأن لغة الموشحات — في شفافيتها وتدققها وأسرها — ساعدت على تدعيم مكانة الفصحى، لأنها أشاعت هذه اللغة الجميلة بين الناس، ومن ثم حالت دون سيطرة العامية، وجعلت للزجل مكانة ثانوية في الأدب، على الرغم من أن بيئة الأندلس كانت تغري باضعاف مكانة الفصحى، لأنها تتركب — إلى جانب الجنس العربي — من عناصر بشرية أيبيرية وبربرية ويهودية... إلخ.

والذين يطلقون أحكاماً قاسية على لغة الموشحات، إنما ينظرون إلى أعمال المتأخرين، وفي أيامهم كان الضعف اللغوي قاسماً مشتركاً، فلم نحمل على الموشحات وحدها، ونضع على كاهلها أخطاء عصر بأسره؟

(١) ص ٣٠٦

(٢) ص ٤٩

القسم الثاني
الاعراض

أغراض الموشحات الأندلسية

إن أقدم الموشحات المعروفة لنا تعود إلى القرن الخامس الهجري وإذن فهناك فترة طويلة ضاعت معالمها، ومن ثم فإن الآراء التي يمكن أن تقال عن أغراض الموشحات في فترة النشأة لا تعدو أن تكون ترجيحية، ومع ذلك فإن هناك شبه اتفاق على أن الموشحات ارتبطت منذ أطوارها الأولى بالموسيقى والغناء، ومن الطبيعي - والأمر كذلك - أن تكون الموضوعات الذائعة ذات صلة بالوصف والحنين والغزل والخمریات، ويبدأ الشعراء في طور لاحق في معالجة الفنون الأخرى التقليدية من مديح وهجاء ورثاء وشعر ديني، إلخ...

ولا نجد في «دار الطراز» عن أغراض الموشحات شيئاً ذا بال، فقد اكتفى ابن سناء الملك هنا بجملته قال فيها:

«والموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجر والمجون والزهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفر، والرسم في المكفر خاصة أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف وقوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدل على أنه مكفره، ومستقيل ربه عن شاعره ومستغفره».

١ - الغزل:

ليس هناك شك في أن الغزل يحتل محل الصدارة في الموشحات الأندلسية وإذا صدقت رواية ابن شاعر الكتبي صاحب «فوات الوفيات»، فإن الموشحة التي مطلعها:

مَنْ وَلِيَّ فِي أُمَّةٍ أَمْرًا وَلَمْ يَنْعَدِ
يُغْفَرْ لِي إِلَّا لِحَاظِ الرِّشَا الْأَكْحَلِ
تكون من أقدم النصوص التي وصلت إلينا، إذ أنه نسبها لعبادة بن

ماء السماء، (المتوفى نحو سنة ٤١٩هـ) (١) وموشحة «من ولي» كلها في الغزل، وكذلك موشحة أخرى نسبت له كذلك في «الفوات» أولها:

حَبُّ الْمَهَا عِبَادَةٌ مِنْ كُلِّ بَسَامِ السَّوَارِي
وَمِنْ أَجْلِ الْمَوْشِحَاتِ الْغَزَلِيَّةِ:

ضَاحِكٌ عَنِ جُمَانٍ سَافِرٌ عَنِ بَدْرِ
لِلْأَعْمَى التَّطِيلِي، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا بِتَمَامِهَا.
وموشحة لأبي بكر بن زهر، يقول فيها:

حَيَّ الْوَجُوهَ الْمِيْلَاحَا وَحَيَّ نُجْلَ الْعِيُونِ

هَلْ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحٍ
أَوْ فِي نَيْدِيمٍ وَرَاحٍ
رَامَ التَّنْصِيحُ صِلَاحِي

وَكَيْفَ أَرْجُو صِلَاحاً بَيْنَ الْهَوَى وَالْمَجُونِ

أَبْكِي الْعِيُونَ الْبَوَاكِي
تَذْكَارَ أُخْتِ السَّمَاكِ
حَتَّى حَمَامُ الْأَرَاكِ

بَكِي شَجُونِي وَنَاحَا عَلَى فُرُوعِ التُّنْصُونِ (٢)

(١) فوات، ص ١٧٣، والنص نفسه في «الوافي بالوفيات» للصفدي ١٨٩/٢ منسوب لمحمد ابن عبادة القزاز، شاعر المعتصم بن صمادح.
(٢) النص في «جيش التوشيح» ص ٢٠٠ ويرد في كل من «توشيح التوشيح» وفي المغرب ٢٧٨/١ الخ..

ومن هذا الطراز «الموشح الشعري» الذي أورده ابن سناء الملك في
«دار الطراز»:

يا شقيقَ الرُّوحِ أهوى بي منك أم لَمَمٌ

ضعت بين العَدَلِ والعَدَلِ
وأنا وحدي على خَبَلِ
ما أرى قلبي بمختبلِ

ما يريد البينُ من خَلدي وهو لا خَصْمٌ ولا حَكْمٌ
وموشحة الأعمى التطيلي:

دمعُ سفوحٍ وضلوعِ حِرازِ

ما اجتمعا إلا لأمر كِبارِ (٣)

ماءٌ ونازٌ

ويمكن أن نجمل ملحوظاتنا عن الموشحات الغزلية فيما يلي:

— تحتل الموشحات الغزلية المكانة الأولى من حيث الكثرة العددية.

— هناك في الوقت نفسه، موشحات عديدة يختلط فيها الغزل بموضوعات
أخرى وصفية أو خمرية أو مدحية.

— الجانب الأعظم من هذه الموشحات الغزلية لا يعكس لنا صدقاً
عاطفياً، ولا نحس فيه بلوعة الشاعر وعمق الأحاسيس، ولكن الوشاحين
استطاعوا، في أحيان كثيرة، التغلب على هذا الضعف عن طريق اصطناع
الألفاظ الرقيقة، والصور الشعرية الآسرة، والموسيقى المتدفقة الموحية.

— وتتناول الموشحات الغزلية موضوع الحب من زوايا مختلفة، وهناك

(٣) ديوان الأعمى التطيلي ص ٢٦١.

تيار عذري قوي في هذه الموشحات ، كما في موشحة «ميتات الدمن» ،
وهي من الموشحات التي ترد في «دار الطراز» وفيها :

يا رسم الذي أتاح خيبي
ظمئت فذي دموع عيني
تهمي فاغتيذ منها بعين
بل يا من ظعن عليك ذني فقد آن لي أن
أقضي نجي فويلتاه وآة
يا زبع الهوى هل أنت مُودي
فذاك الجوى إلى مزبيد
أنتك النوى إثر الصدود

فيا ممتحن بكل خطب كم تأسى وتخزن
وتنشق بحب سأل هواه لاه

غذالي لا أروم سألوه
أنا المبتلي برميم ذروة
ذكراه على حشائ حلوة.. الخ (٤)
وتتردد إلى جانب عبارات الشوق واللوعة - إشارات عن الواشي
والعاذل والرقيب

ويكثر في الموشحات - في الوقت ذاته - التغني بجمال المحبوبة أو
المحبوب «وصيغة التذكير لاتعني بالضرورة أن الشاعر يتغزل بالذكر» مثلما
نرى في موشحة ابن سهل «هل درى ظبي الحمى...»:

غالب لي غالب بالتؤده
ما رأينا مثل ثغر نضده
بأبي أفديه من جاف رقيق
أحواناً عصرت منه رقيق
وأخذت عيناه منه العزبة
وفواد سكره ما إن يفيق

(٤) «دار الطراز» ص ٤٩ ولم نستدل على اسم مؤلفها.

فاجِم الجُمَّةَ معسُوكَ اللَّمنى
أَكحلُّ اللَّحظَ شَهِيَّ اللَّقسِ
وجَهَّه يَتَلَو الضحى مَبتسِما
وهو في إعراضه في عَبَسِ (٥)

وقاد هذا الوصف لجمالها المحبوبة الى الغزل الصريح المكشوف في بعض
الاحايين، كما أن الخرجات، وخاصة ما كان منها باللهجة العامية —
احتوت على جانب كبير من الاحماض.

وهناك موشحات تضمنت غزلا في المذكر، كما في خرقة موشحة «من
ولى» التي تنسب في العادة لعبادة بن ماء السماء (أو ابن عباد القزاز):

يا عَليُّ سَلَطتْ جفنيكَ عَلى مقَتي
فابقِ لِي قَلي وجُدْ بِالفَظيلِ يا موثلي
وكما في موشحة للأعمى التطيلي، أولها «حث الكؤوس روية» وفيها:

عَبَدَ المَليكَ أَحَبُّكَ ولا سَبيلَ اليكَ
مولاي حَسبي وحسبكَ قد ذبْتُ وجَدًا عَليكَ

(٥) ديوان ابن سهل ص ٨٥، وهذا الموشح من أجل ما خلف أهل الأندلس من
أعمال، وقد أُلِفَ حوله الشروح (انظر في مخطوطات العلامة التونسي حسن
حسني عبد الوهاب شرح موشح ابن سهل (هل درى..)) رقم ١٨٠٣١ و١٨٦٧٧
وأُلِفَت على غراره موشحات كثيرة (أحصينا منها أكثر من خمسين موشحة، نعتزم
— بإذن الله — نشر دراسة خاصة عنها) أشهرها موشحة لسان الدين بن الخطيب
«جادك الغيث» التي فاقت موشحة ابن سهل في الذبوع وانظر كذلك مجموعة
«الدراري السبع» و«الكواكب السبع السيارة» — من مخطوطات المكتبة الظاهرية
بدمشق — وجميع النصوص الواردة فيها على نسق موشحة ابن سهل — وانظر
ايضا مجموعة بطرس كرامة «الدراري السبع» وفي «إيضاح المكنون» ج ٢ ص ٣
ذكر لمجموعة تحمل اسم «السبع السيارة» جمعها الصفوري الشاعر الوشاح
الدمشقي المتوفي ١٠٢٤هـ.

وبرؤه في يديك (٦)

حتى ما تُضني محببك

وموشحة أخرى له مطلعها:

فكن مُجيب

قد دعوتك بالأشجان

والبيت الثاني منها جاء فيه:

أعدنَّ عندك

سهامُ البينِ يا عمَرُ

والقلبُ عندك

فقل لي كيف اصطبرُ

ما ساق بعدك (٧)

أما لو ساق القدرُ

٢- الخمريات:

وهي كثيرة الشيوخ في الموشحات، وبخاصة ما دار منها حول موضوعات الحب والوصف، وبعبارة أخرى إن الخمر لا تشغل في العادة الموشحة كلها، بل تأتي كعنصر مساعد، باستثناء نماذج قليلة بنيت أساساً على وصف الخمر ومجلسها، مثل موشحة أبي بق:

يُثسى بها الوجدُ
كما اقتضى الودُّ (١)

أدِر لنا أكواب
واستحضر الجلاس

وهذا النص استهل بوصف الخمر وختم بها، وإن تخلله مقطع في المديح. ولابن زهرموشحة استهلها بالحديث عن الخمر، ثم ما لبث أن عرج فيها على الوصف والغزل وأول النص:

(٦) ترد في «جيش التوشيح» ص ٢٠ وديوان الأعمى التطيلي ص ٢٥٨.

(٧) ديوان الأعمى التطيلي ص ٢٧٧.

(١) دار الطراز ص ٤٧ و«جيش التوشيح» ص ٢٩.

شَمْسٌ قَارِنَتْ بِدِرَا رَاحٌ وَنَدِيدِيْمٌ
أَدْرُ كُوُوسِ الخَمْرِ عَنبَرِيَّةَ النَّشْرِ إِنَّ الرُّوْحَ ذُو بَشْرِ
وَقَدْ دَرَجَ النُّهْرَا هَبِوْبُ النَّسِيْمِ

ومن هذا النمط ايضا موشحة جاءت في «دار الطراز» (٢) أولها:

بَاكِرٌ اِلَى الخَمْرِ وَاسْتَنَشَقَ الزَّهْرَا
فَالْمَمْرُ فِي خُسْرِ مَا لَمْ يَكُنْ سُكْرَا
فَقَلَّ مَا أَسْلُو عَنِ مَرَشَفِ الْأَكْوَا وَسَامِرِ الظَّرْفِ مَسَاعِدِ الْجُلَاسِ
فَسَقِيْنِي .. بِنْتِ الزَّرَاجِيْنِ

فَهَايَهَا صَرْفَا يَا ذَا الرِّشَا الْأَحْوَرَا
رَاحٌ حَكَّتْ وَضَفَا مِنْ خَلْدِكَ الْأَقْرَا
رِشَا هُوَ النَّبْلُ وَالْعَدْلُ بَيْنَ النَّاسِ وَالْمِسْكُ فِي الْعُرْفِ مِنْ نَفِيحَةِ الْأَنْفَاسِ
وَقَدْ يَمِزُجُ الْوَشَاحَ بَيْنَ مَوْضُوعَاتِ الخَمْرِ وَالغَزْلِ، لِيَنْتَهِيَ بَعْدَ ذَلِكَ
لِلْمَدِيحِ، كَمَا فِي النَّصِّ التَّالِي: (٣)

رُحٌ لِلرَّاحِ وَبَاكِرٌ بِالْمُعَلِّمِ الْمَشُوفِ غَبُوقًا وَصَبُوحًا عَلَى الْوَتْرِ الْفَصِيحِ

لَيْسَ اسْمُ الخَمْرِ عِنْدِي مَا أَخُوْدَا فَاَعْلَمُ
إِلَّا مِنْ خِئَاءِ الخَلْدِ وَمَيْمِ الْمُبْسَمِ
وَرَاءَ رِيْقِ الشَّهْدِ الْعِطَاطِرِ الْفَقْمِ
فَكُنْ لِلْهَمِّ هَاجِرٌ وَصَلْ هَذِي الْحُرُوفِ كَيْ تَغْدُو وَتَرْوِحَ بِجِسْمِ لَه رُوحِ
بِاللَّهِ سَقْنِيهَا فِي وُدِّ الْوَائِقِ
فَإِنَّ مِنْهُ فِيهَا شَبَهَ الْخَلَّائِقِ... الخ

(٢) «دار الطراز» ص ٤٥ ويرد في «الوافي بالوفيات» ٤١/٤ / منسوباً لابن زهر. (٣) ص ٦٢.

٣ - الوصف:

ويشكل الوصف، بصورة عامة، عنصراً أساسياً من عناصر الموشحة الأندلسية، والوصف يأتي في العادة ممتزجاً بالغزل والحديث عن الخمر، ولكن هناك في الوقت نفسه عدداً من الموشحات بنيت على الوصف، مثل موشحة أبي عبدالله البطليموس المعروف بالكيت (١).

لأح للروضِ على غرِّ البِطَاحِ
وثنا جيداً فينعم الأقاخ
زارني منه على وجه الصِّباحِ
زَهْرٌ زَاهِرٌ
نَوْرُهُ النَّضِيرُ
أرَجَّ عَاطِرُ

نثر الظِّل عليها حين فاح
حبَّذ البشر لي عند افتتاح
يُضجِكُ الروضُ مسايلَ السحابِ
ومشت فيه لآلىءُ الحَبَابِ
فتراه كيف يكشف الثَّقَابِ
أَيُّهَا عَقْدُ
وَجَنَّةُ الْوَرْدِ
مِلءَ أَجْفَانِي
فوق عُذْرَانِي
عند تَهْتَانِي

ينتهي طولُ تنأوح الرياحِ
وترى البرقَ كصارمٍ مُشَاخِ
رَقِصَتْ وَسَطَ رِيَاضِهَا الْفُصُونُ
وأرتنا من لطائفِ المَجُونُ
فَنَسِينَا عِنْدَ وَشِيهِ الْمَصُونُ
وسَطَ السَّرْعِدِ
سُلِّ مِنْ غَمْدِ
رَقِصَ نَشْوَانِ
كَلِّ إِحْسَانِ
وَشَى صَنَعَانِ

فاغتنيمُ ما قد صفا من الزمانِ
واشربِ الرَّاحِ على سمعِ القِيَانِ
واغتنبِ قَها مِن سِلافةِ دِنَانِ
واخلعِ المُذرا
مَزَّةً صَفْرَا
عُتِّقَتْ دَهْرَا

(١) جيش التوشيح ص ٩٤

كأُشها مَبسَمُ طفلةٍ رَدَاخُ ناعِمَ القَدِّ
تمزجُ الراحَ بريقها القُراخُ شيبَ بالشَّهدِ.. الخ
ومن أجمل الموشحات في وصف الطبيعة موشحة أبي جعفر بن
سعيد وأولها :

ذَهَبَتْ شمسُ الأصيلِ فضةَ النَّهرِ
أَيُّ نَهرٍ كالمَدَامَةِ
صَيَّرَ الظِّلَّ قَدَامَةَ
نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لآمَةَ
وَتَنَّتْ لِلغُضَنِ لآمَةَ

فهو كالعضبِ الصقيل حُفَّ بالشَّفرِ (٢) .. الخ
ولابن بقي من موشحة وردت في «جيش التوشيح» ويحتل
الوصف فيها مكان الصدارة :

سَاعِدُونَا مَصْبِحِينَا نَرْتَشِفُهَا قَد ظَمِينَا (٣)
كُنُضَارٍ فِي لُجِينِ نَعْمَ أَجْرَ العَامِلِينَا

وهو يمزج فيها الوصف بالحديث عن الخمر والتغزل في الساقى ، كما
يتضح من هذا المقطع :

يَوْمُنَا يَوْمٌ أَنِيقُ يَوْمٌ شُرْبُ وَالْيَذَاذِ
طَرَزْتُ فِيهِ البَرُوقُ لَابِسًا أَثْوَابَ لآذِ
وَسَقَى النِّعِيمُ الرِّيقُ مَاءَ وَرْدٍ بِرِذَاذِ

أَظْهَرَ السَّحَرَ المَبِينَا حِينَ رَشَّ اليَاسِمِينَا
وَبَكَى مِنْ دُونَ عَيْنِ فَضَجِكُنَا فَكِيهِينَا

(٢) المغرب ١٠٣/٢

(٣) ص ١٣ وفيها: «قد ضمينا».

أيها السَّاقِي المُوَحِّيَا برياحينِ التَّمْثِي
سحر عَيْنِيكَ الحُمِّيَا فاصْرِفِ الصَّهْبَاءَ عَنِّي
لا تَسَلِّطْهَا عَلَيَّا فَالهُوَى قَدْ نَالَ مَنِّي

وهي من الموشحات التي صفت عباراتها، وبلغت الذروة في حيوية الأداء، ودقة الصور. وخرجة هذه الموشحة بالعامية، وقد مهد لها في البيت الذي سبقها قائلاً إنه سيقول، لمجرد إدخال الكمد على الحسود:

قد بُلِينَا وَابْتَلِينَا وَاش يَقُولُ النَّاسُ فِينَا
قَم بِنَا يَانُورِ عَيْنِي نَجْعَلُ الشُّكَّ يَقِينَا!

وهناك موشحات كثيرة بدىء فيها بالوصف كتمهيد لمقطع المديح،

منا - على سبيل المثال - الموشحة التي تستهل بـ:

جيشُ الظلامِ بالصَّبحِ مهزومٌ فقم يانديمُ (٤)

وهي موشحة للأعمى التطيلي، وموشحة:

روضَةٌ وَسِيمَةٌ الأَقْحَوَانِ تُجَنِّئُنِي بالأَمَانِي (٥)

لأبي بكر محمد بن الأبيض، وكذلك موشحة «روضه زبرجدية» (٦)

وموشحة «شق النسيم كمامه» لأبي بكر يحيى الصيرفي (٧) وموشحة

«كم بالكتيب من غصن نضر (٨) لابن لبون، والموشحة التي مطلعها:

حُثَّ كَأْسَ الطَّلَا عَلَى الزُّهْرِ (٩)

وأدرها الأَنْجَمُ الزُّهْرِي

لأبي بكر بن مالك السرقسطي..، وهذه الموشحات جميعاً مما ورد في

مجموعة «جيش التوشيح» للسان الدين بن الخطيب.

(٤) جيش التوشيح ص ٢٨

(٥) جيش التوشيح ص ٥١

(٦) نفسه ص ١٢٤

(٧) نفسه ص ١٣٢

(٨) نفسه ص ١٧٣

(٩) نفسه ص ٢١٣

٤ - المديح :

عرفنا فيما مر بنا من ملاحظات أن الموشحة تحتوي في العادة، على أكثر من فن، وإن كانت معظم الموشحات جاءت في أغراض الغزل والوصف والخمریات، وهو ما يتناسب وما سارت عليه الموشحات من طابع غنائي.

وقلنا - في اللوحة السالفة عن فن الوصف - إن هذا الغرض الوصفي جاء في أحيان كثيرة بمثابة التمهيد لغرض آخر، مثله في ذلك مثل المقاطع الغزلية.

وكثير من الدارسين الثقات يميل إلى الاعتقاد بأن الموشحات في ظهورها الأول لم تكن تعالج الموضوعات التقليدية من مديح ورتاء وهجاء، ويقول د. مصطفى عوض الكرم في هذا الصدد:

« كانت الموشحات في أول الأمر وفقاً على الغناء، فكانت تعالج موضوعات الغزل والخمریات ووصف الطبيعة.

وما لبثت أن صارت مطية ذلولاً للأمداح، حينما استغلها المشاحون للوصول الى عطايا الملوك والأمراء وهباتهم... » (١٠). ويقول د. عبدالعزيز الأهواني إن الوشاح الأول:

« كان قريب العهد بالأصل المشترك - الأغنية الشعبية - فكان منه قريب الشبه بها، ولعله في أول الأمر لم يكن حريصاً على أن ينقي إنتاجه من اللغة العامية في جميع مقطوعاته.. كما كانت البساطة طابعاً مميزاً لهذا الطور.

ثم انتقل الأمر على يد عبادة بن ماء السماء وغيره من المثقفين، أصحاب الشعر، وناظمي القصائد، ومداحي الأمراء، ومرتادي القصور، إلى مرحلة جديدة، التزموا فيها اللغة الفصحى التزاماً صارماً، ولم يسمحوا للعامية أن تتجاوز حدود الخرجة، عربية أو أعجمية، وشغفوا بالتعقيد،

(١٠) فن التوشح ص ٣٣

والإكثار من القوافي ..» (١١) الخ ، وهذا الرأي يقود بدوره الى الاعتقاد بأن الموشحات القديمة كانت بعيدة عن طابع المديح وغيره من الموضوعات التقليدية .

ونستطيع هنا الاطمئنان إلى صحة الرأي القائل بأن « أكثر الموشحات التي قيلت في المديح إن لم تكن جميعها قد مزجت بين الطبيعة والغزل (والخمر) قبل أن تدلف إلى صميم المديح » (١٢) ولكن هناك موشحة واحدة على الأقل جاءت كلها في موضوع المديح ، وهي للوزير أبي عامر بن ينق ، وذكرها لسان الدين بن الخطيب في « جيش التوشيح » وأولها :

سِرَاجٌ عَدْلِكَ يُزْهِرُ قَدِ عَمَّ كَلَّ الْعِبَادِ
وَنُورٌ وَجْهِكَ يَبْهَرُ سَنَاءٌ لِلخَلْقِ بَادٍ (١٣)
ويستمر المديح بعد هذا المطلع (أو القفل الأول) في بقية أجزاء الموشحة :

أَنْتِ الْعَمَزِيُّرُ الْأَبِيُّ وَالْمَمْلُكُ مَمْلُكُ الْأَنْامِ
أَنْتِ السِّرَاجُ الْوَضِيُّ وَالْبَدْرُ بَدْرُ التَّمَامِ
لَيْثٌ إِذَا مَا الْكَمِيُّ قَدْ هَابَ رَوْعَ الْجِمَامِ
والخرجة في هذه الموشحة باللغة الفصحى ، ونصها :

يا حَبَّبًا مِنْهُ مَنْظَرُ بِالنُّورِ بَادٍ وَهَادِي
كَأَنَّهُ الصَّبْحُ أَسْفَرُ عَلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ
وليحيى بن الصيرفي الغرناطي المؤرخ المتوفي سنة ٥٥٧ هـ (١١٧٩ م) - وتنسب كذلك لابن باجة المتوفي ٥٣٣ هـ (١١٣٩ م) - موشحة مدحية شهيرة مطلعها :

(١١) « الزجل في الأندلس ص ٤٩ »
(١٢) د. مصطفى الشكعة « الأدب الأندلسي - موضوعاته وفنونه » ط ٢ (ص ٤٢٨)
(١٣) ص ١٩٣

جَرِّرِ الذَّيْلَ أَيَّمَا جَرِّرٍ وصلِ السُّكَّرَ مِنْكَ بِالسُّكَّرِ
ويشغل المقطع الخمري هنا حيزاً كبيراً من الموشحة، ثم يفضي بنا
هذا المقطع الى المديح الذي يستغرق بقية النص كله :

ذاك ضوءُ الصَّبَاحِ قد لاحا ونسيمُ الرِّياضِ قد فاحا
لا تَقِدُ في الظَّلامِ مصباحا نَحَلَّ عَنْهُ وشَعَّشِعَ الرَّاحا

حين تَنْهَلُ أَدْمُعَ القَطْرِ
وترى الرُّوضِ بِأَيْمِ الزَّهْرِ

نَظَمْتُ جَوْهَرَ العُلا سِلْكا كَفُّ مَلِكٍ يَزِيئُ المُلْكا
ما برا اللُّهُ مثله مَلْكا لاح بَدْرًا وفاح لي مَسْكا

كالحيا كالأمانِي كالدَّهْرِ
كعَلِيٍّ في الحربِ أو عَمْرِو

أَيُّ بَحْرِ وَأَيُّ ضِرْغامِ أَيُّ رَمَجٍ وَأَيُّ صَنْصامِ
طاعينُ في الصِّدرِ ضاربُ المِمامِ بين كَرٍّ وبين إقْدامِ

مُخْلِيفُ البِيضِ بِالحُلِيِّ الحُمْرِ
وَمُرَوِّي القَنَاةِ في النُّحْرِ

حينما لاح وهو مبتسّمُ كهلال تحفه السَّيْمُ
خافقاً فوق رأسه عَلَمُ غنّت العُرْبُ فيه والعَجَمُ
عقد الله رايةَ النَّصْرِ

لأمير العلى أبي بكر (١)

(١) «جيش التوشيح» ص ١٢٣ منسوبة لأبي بكر الصيرفي. =

وهناك في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب الشهيرة :
جارك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصل بالأندلسي
وتعد بدورها من موشحات المديح ، وإن كان الناس لا يذكرون -
في العادة - إلا قسمها الأول الذي يدور حول الغزل ووصف الطبيعة .

٥ - الرثاء :

لم يؤثر عن الوشاحين الأندلسيين أنهم كرسوا للمراثي عناية تستحق الذكر، ولم تشتمل المجموعات المعروفة مثل «دار الطراز» و «جيش التوشيح» و «توشيح التوشيح» و «عقود اللآل في الموشحات والأزجال» و «العذارى المائسات في الأزجال والموشحات»... الخ على موشحات ما في موضوع الرثاء. ولكن كتاب «المغرب في حلى المغرب» يمدنا بموشحة لابن حزمون ذكر ابن سعيد أنه قالها «في رثاء أبي الحملات قائد الأعنة ببلنسية وقد قتله النصارى» .

والنص الذي نتحدث عنه في بابه ، فيه حيوية وحرارة وصدق ، وهذا كله يتمثل للقارئ منذ الكلمات الأولى ، وحتى الخرجة ، وبمعنى آخر إن الموشحة كلها ليس فيها إلا موضوع واحد هو الرثاء .

ياعينُ بگي السّراج الأزهر النّيّرا اللامعُ

= اما في «المقتطف» لابن سعيد ص ٤٧٨ - وعنه نقل ابن خلدون في المقدمة ج ٣ ص ٣٩٣ فيأتي الخبر التالي: «وكان في عصره (أي في عصر ابن بقي) من الوشاحين المطبوعين الأبيض وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة، صاحب التلاحين المشهورة ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى عليه قينات ابن تفلويت موشحة فيها:

جرر النذيل أيما جر وصل السكر منك بالسكر
طرب المدوح. ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين:

عقد الله راية النصر لأمير العلي أبي بكر
صاح واطرباه، وشق ثيابه وقال: ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلف بالأيمان المغلظة أن لا يمشي الى داره الا على الذهب، فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهبا في نعله ومشى عليه.

وكان نِعَمَ الرِّثَاجِ فَكَّيرًا كسي تُنَشِّرًا مَدَامِعَ

من آلِ سَفِيدِ أَغْرُزٍ مثلُ الشَّهابِ المتقَدِّمِ
بكي جَمِيعُ البَشَرِ عليه لما أنْ فُقِدَ
والمشرفيُّ الدَّكْرُ والسَّمْهَرِيُّ المَطْرِدُ
شق الصَّفوفِ وَكَرَّ على العدو متيِّدُ

والبيت الأخير والخرجة:

ماءُ المَدَامِيعِ صابٌ عليكِ أُولَى أنْ يَجُودَ
سَقَى البَرِّيَّةَ صابٌ رِزءُ أَحْلِكَ التُّحُودَ
فكلُّ خَلْقٍ أَصَابَ إلا النصارى واليهودَ
ناديتُ قلباً مِصابٌ يُجْزَى على المَيتِ العُهودَ

يا قلببي المَهْتَاجِ تصبِّرا زان الثرى مُدافِعِ
ابن أبي الحجاجِ فهل تَرى لِمَا جرى مُدافِعِ

ولابن جبير خمس موشحات في رثاء زوجته، ضمن «نتيجة وجد الجوانح في تأيين القرين الصالح»، وهو مجموعة شعرية كلها في رثاء رفيقة حياته (٢)، ولكن لم يصل إلينا شيء من هذه الموشحات.

الموشحات الدينية والصوفية:

لا نعرف متى بدأ التظم في هذا اللون من ألوان الموشحات وأقدم ما هنالك منها ينسب لابن عربي (توفي سنة ٦٣٨ هـ) وسنعود الى موشحاته الصوفية، أما في غير ذلك من الأغراض، فهنالک، على سبيل المثال، ما أطلق عليه ابن سناء الملك اسم «المكفر» ونص عبارته: «والرسم في المكفر خاصة ألا يعمل إلا على وزن موشح معروف،

(٢) انظر د. احسان عباس «تاريخ الادب الاندلسي» ج ٢ ص ٢١٨

وقوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدل على أنه مكفرة (٣)»،
ولكنه لم يورد أمثلة من المكفرات الأندلسية والمغربية، واكتفى بأن قدم
نموذجاً من موشحاته هو (٤)، ولكن هذه القاعدة — قاعدة أن يأتي المكفر
ملتزماً بصورة الموشحة الأخرى الماجنة، منتهياً بنفس خرجتها — قد اهتزت
خرجتها، بعد أن «تداوله العامة ومن لا أنس له بالقواعد، ومن عجز عن
الإعراب، حتى صاروا ينظمونه ملحوناً وما لأحد منهم في وزنه وقافيته ما
يستغفر منه، بل على طريق العبث وذلك خطأ» (وفقاً لتعليق الصفي
الخلي).

وهناك وشاح يدعى ابن الصباغ الجذامي خلف عددا من الموشحات
مما يمكن اعتباره من نوع المكفر، وإن كانت الخرجات فيها ليست مما ألف
هو، بل مما نظم غيره، مثال ذلك موشحته:

أه من فرط الوجيبِ أورتت قلبي خبلا
فخرجتها مستلة من زجل زجال يدعى اليعبع:
يا لنبي إن ريت حبيبي افتل اذنو بالرسيلا
لأنه أخذ عنق الغزيل وسرق فتم الحجيلا (٦)
ومن غرر موشحات ابن الصباغ في المديح النبوي:
لأحمد بهجة كالقمر الزاهر في أبرج السعيد
علاؤها يسبى بنوره الباهر كل سنا مجد
(٧)

(٣) «دار الطراز» ص ٣٨

(٤) ص ١٣١ والخرجة لا ترد هنا في صورتها الصحيحة التي تجيء في الموشح المكفر عنه
(ص ٨٩ من دار الطراز وترد الخرجة سليمة في «العاطل الحالي» ص ١٢.

(٥) «العاطل الحالي» ص ١٢.

(٦) «المقتطف لابن سعيد ص ٤٨٦، والنص نفسه في مقدمة ابن خلدون ٤٠٩/٣ ويرد
فيه اسم الزجال محرفاً «اليعبع» وانظر كذلك نفع الطيب (ط. محي الدين) ج ٩ ص ٢٢٠
وما بعدها، وفيها ان اسم الزجال: اليعبع.

(٧) أزهار الرياض ٢٣٠/٢

وموشحة زهدية أخرى مطلعها:

نأت بي الأوطان عن حضرة الاحسان ولا معين
فن لذي إحسان لطيبة قد كان له حنين (٨)

والمقري في «النفح» يقول، وقد وصل الى الأراضي المقدسة:
«وكان حظي في هذه الحالة تذكر قول بعض الوشاحين من
الأندلسيين، الذين كان لهم ارتحال الى تلك المعاهد الطاهرة، والمشاهد
الزاهرة، والتي تشد اليها الرحال:

يا من لعبد به افتقاز
فضلك مُدِنٍ لخير مُدِنٍ
لم يهث قلبي لِحُبِّ ليلي
لاقى شجوناً ونالَ وَيلا
بَلْ مال مني الفؤادُ ميلا
الى أباد له جسام
حلَّ بها سيدُ الأنام
ولا سعادٍ ولا الرِّباب
مَنْ هام في ذلك الجَناب
لِمَنْ له الحُبُّ لا يعاب

ومن مقاطعها الجميلة:

يا طيبة حزت كلَّ طيب
نداءٍ مُستضعفٍ غريب
وهو من السامع المُجيب
مستمسك منك حسن ظني
بسيدٍ فيك ذي حُلون
في عُمرٍ أمداجِه يقون
لمدحه يسألُ القُبُون:
بِعُرْوَةٍ ما لها انفصام (٩)

ومن الطراز العالي قول ابن زمرك:
لو ترجعُ الأيامُ بعدَ الذهاب
وكل من نام بليلِ الشَّباب

لم تقدح الأيامُ ذكرى حبيب
بوقظة الدهرُ بصبح المَشيب

(٨) المرجع السابق ٢/٢٣٨

(٩) نفح الطيب (ط. احسان عباس) ١/٤٢

وفيها يتحدث عن ضعف الإنسان واغتراره بالدنيا، وهو لا يعلم أن «العيش نوم والردى يقظة» ويتعامى عن رؤية الحقائق، منخدعاً بلع السراب، وهو يذكر الانسان بألا ملاذ له سوى العلي القدير، ولا مناص من الأوبة إليه، مها طال بنا المسرى في ركب الحياة، وينهي الموشحة بقوله:

يا مصطفى والخلقُ رهنُ العَدَمِ والكون لم يفتق كِمامَ الوجودِ
 قَزِيَّةٌ أعطيتها بِالْقَدَمِ بها عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ تَسودُ
 مولدُكَ المرقوبُ لَمَّا نَجَمُ أنجز للأمةِ وَعَدَّ السُّعودِ
 ناديتُ لو يسمع لي بالجوابِ شهرُ ربيع: يا ربيعَ القلوبِ
 أطلعتُ للهُدى بغيرِ احتجابِ شمساً ولكن ماها مِن عُرُوبِ (١٠)

وأما ابن عربي فإن ديوانه الأكبر يتضمن عدداً كبيراً من الموشحات والأزجال والمزجمات، وكلها تسبح في جو الرموز الصوفية من قبيل الموشحة التي تبدأ بـ:

تذرعُ لاهُوتِي بناسُوتِي وحصلَ موسى اليَمَّ تابُوتِي (١١)
 ومن هذه الموشحات واحدة جاءت على نسق موشحة ابن زهر «أياها الساقى» أولها:

عندما لاحَ لعيني المُتكا ذبتُ شوقاً للذي كانَ معي

أيا البيتُ العتيقُ المُشرفُ
 جاءك العبدُ الضعيفُ المسرفُ
 عينهُ بالدمعِ شوقاً تذرفُ

غربةٌ منه وسُكْرٌ فالبُكا ليس محموداً إذا لم ينفع

(١٠) «نفع الطبيب» (ط. احسان عباس) ٢٨٠/٧ و «أزهار الرياض» ٢٠٥/٢ وفي «أزهار الرياض» كذلك موشحة لابن ابي جعة التلايسي تتضمن مدحاً نبويًا. انظر ج ١/٢٤٧.

(١١) ص ٢٠١ ط. بومباي (حج).

وتنتهي الموشحة بـ :

أيها الساقى اسقني لا تأتل
فلقد أتعبَ فكري عُذلي
ولقد أنشدُه ما قيل لي:

أيها السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي ضَاعَتْ الشُّكْوَى إِذَا لَمْ تَنْفَعِ (١٢)
أما ديوان الششتري فإن الأزجال تطفئ فيه على الموشحات، هذا
بالإضافة إلى قدر كبير مما تختلط فيه الفصحى بالعامية (المزجمات)، أو التي
تبنى على غير الأنماط التقليدية للموشحة. ومن الموشحات التقليدية قوله:

صاح هذه الأسرار قد أشعلت في الحشامني الناز

مد لاح لي سر قن نهواه
لم أستطع كنم ما ألقاه
من شجو قلبي ومن شكواه

ويح قلبي قد طاز في ذا الهوى ساجماً ذا استهزاز (١٣)

وكذلك موشحة أخرى لاحظ د. النشار - محقق الديوان - أن

الششتري متأثر فيها بفكرة الكهف الأفلاطونية:

عَدَّ عَنِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ	وَاسْتَعْمَلَ الْفِكْرَ وَالنَّظْرَ
مَا النَّاسُ إِلَّا كَمَا الْخَيَالِ	فَانظُرْ إِلَى مَا سِكَ الصُّورَ
مَنْ يَعْتَبِرُ يَجِدُ اعْتِبَارَ	وَيَشْهَدُ الْحَقَّ فِي الشُّهُورِ
مَثَلٌ - هُدَيْتَ - الْوَجُودَ سِتَارَ	وَانظُرْ لِمَنْ أَطْلَعَ الْوُجُودَ
بَدَا لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدَارَ	وَأَوَّلَ السَّعْدِ فِي الصُّعُودِ

(١٢) الديوان الأكبر ص ٢٠٢ وانظر تحليلاً لموشحات ابن عربي في دراسة شترن المشار إليها

سابقاً ص ٨١ - ٩١

(١٣) ديوان أبي الحسن الششتري ص ١٣٣.

مَنْ يَرْقَ مِنْ سَافِلِ لِعَالِ يُعَايِنِ الْعَيْنَ فِي الْأَثَرِ
 مَا النَّاسُ إِلَّا كَمَا الْخِيَالِ فَانظُرْ إِلَى مَا سَكِ الصُّورِ (١٤)
 وهذه اللازمة الأخيرة تتردد في الأقفال جميعاً، وهذا مما استحدثه
 المتأخرون، أما الموشحات الأندلسية كما وصلت إلينا من مؤلفات مثل «دار
 الطراز» و «جيش التوشيح» و «توشيح التوشيح» و «المغرب» و «عقود
 اللآل» ونحوها فلا تتضمن شيئاً من هذه الأجزاء المتكررة، وربما كانت
 هذه الظاهرة من سمات الانشاد الجماعي بمعنى أن المنشد يترنم بالمقاطع
 الأخرى حتى إذا ما وصل إلى هذا الجزء صاحبه المجموعة.

وكان لانتقال متصوفة المغرب — من أمثال ابن عربي والششتري
 — إلى المشرق أثره البعيد في انتشار هذا اللون من الموشحات الصوفية في
 كل أنحاء العالم الإسلامي، وإلى تغلغله في أوساط الشعب، حتى أصبحت
 كلمة «التوشيح» مرتبطة في الأذهان بالأناشيد الدينية والصوفية.

وتتضمن مجموعة «الموشحات المغربية» للدكتور الجري ومجموعة
 «الأغاني التونسية» للصادق الرزقي العديد من هذه المنظومات، التي
 تقترب حيناً من بنية الموشحة التقليدية، وتبتعد حيناً آخر عن ذلك، نتيجة
 لإقدام غير العارفين بصناعة التوشيح على التأليف في هذا المضمار.

* * *

لقد تعددت موضوعات الموشحات — كما مر بنا — وعالج الشعراء
 في إطار هذا الفن الجديد مختلف الأغراض (١٥) التي عولجت في إطار

(١٤) ديوان أبي الحسن الششتري ص ١٤٢.
 (١٥) هناك موضوعات أخرى أقل قيمة لم نشأ أن نشغل القارئ بها، منها ما يسوقه المقرئ
 في «نفح الطيب» و «أزهار الرياض» من موشحات لابن زمرك في التهاندي — وهي فرع من
 فروع المديح على كل حال — لكن الشاعر يركز فيها على مناسبة اجتماعية تمس الممدوح أو
 بعض ذويه — وفي الطرد (أورحلات الصيد) ووصف القصور... بل إن وشاحاً مثل ابن
 حزمون (صاحب المرثية في أبي الحملات، وقد ذكرناها عند الحديث عن الرثاء) كتب
 موشحات في الهجاء أوردها له ابن سعيد في «المغرب» وبما هجا به القاضي القسطلي:

تخونك العيوان يا أيها القاضي فتظلم

القصييدة التقليدية لكن الشيء الثابت أن الموشحات تبقى – أولاً وأخيراً
– قالباً شديد الصلة بالموسيقى والانشاد ومن ثم كانت أهم موضوعات
الموشح ما اتصلت بالغزل والخمریات والوصف، يضاف إليها – في فترة
لاحقة – الموشحات الصوفية.

لا تعرف الاشهاد ولا الذي يسطر ويرسم

واكتفى محقق المغرب د. شوقي ضيف بالاشارة لهذه الهجائيات وأسقط نصوصها
لما فيها من فحش وعرض للسوءات .

القسم الثالث

وشاحوا الاندلس والمغرب

وشاحوا الأندلس

لا نسعى في هذا الفصل لأكثر من محاولة أولى تهدف الى جمع أطراف الحديث — المتناثر هنا وهناك — عن وشاحي الأندلس والمغرب، ورصد لأعمالهم في هذا المضمار، تاركين التفاصيل لدراسات أكثر رحابة، وإمكانيات أكبر مما هو متاح لنا في الوقت الحاضر.

ولا نريد أن نخضع هذه المحاولة للترتيب التاريخي الصارم، فلا شك أن هذا الترتيب يعترضه الاضطراب، خاصة حين يتم فحص ما هنالك من مجموعات خطية، ومؤلفات أندلسية لم يزح النقاب عنها بعد — كذلك لن نلتزم بما التزم به مؤرخون مثل ابن بسام صاحب «الذخيرة» وابن سعيد في «المغرب» من تصنيف الشعراء وفقا للمدن والانحاء، فهؤلاء الشعراء لم يكونوا ابنية لا تبرح الموضع الذي نشأت فيه، وما أكثر ما انتقل وشاحونا من مدن لاخرى، ومن قطر لغيره، فضلا عن أن هذه التقسيمات المكانية لا تكاد تفصح عن شيء ذي بال، ولا تنتج الا حشدا من التفريعات المعقدة.

بل اننا لم نر كبير فائدة في اخضاع ترتيب هؤلاء الوشاحين لتقسيمات العصور (١) التي كثيرا ما يلجؤون اليها في المؤلفات التاريخية والأدبية العامة عن الاندلس، لأن هذه المراحل — فضلا عن تداخلها — لا تعكس تحولات فنية تستحق الذكر، وإن كنا لم نغفلها اغفالا كلياً، وحرصنا على أن نحدد المرحلة الزمنية لكل وشاح، طالما كان ذلك متاحاً.

-
- (١) التقسيمات السياسية الرئيسية بالأندلس هي :
- عصر الولاة: ويمتد من الفتح حتى استيلاء الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل على زمام الأمور سنة ١٣٨هـ (٧٥٥م).
 - العصر الأموي: ويمتد الى سنة ٤٢٢هـ.
 - عصر ملوك الطوائف: وفيه تفككت الدولة العربية في الأندلس على أثر الضعف الذي سرى في أمراء البيت الأموي ودام عصر ملوك الطوائف الى سنة ٤٩٣هـ (١٠٩١م).
 - عصر المرابطين: ويبدأ باستيلاء يوسف بن تاشفين الصنهاجي ملك المغرب

طور النشأة

لا شيء أصعب من الحديث عن نشأة فن من الفنون ، فالمصادر عادة ما تكون شحيحة ، والمعلومات متناقضة مبتورة ، والصورة غائمة مطموسة ، ولا يكون أمام الباحث إلا التزام الحذر وعدم الانسياق للاستنتاجات المتسرعة وإلا هوت به الى الحضيض قدمه — شأنه في ذلك شأن الذين يغامرون في ساحة الشعر، وهم من غير سلاح .

وإذن فإننا في إطار هذه الدراسة العامة عن الموشحات ، نؤثر ألا نخوض في خضم هذه القضية الشائكة ، آخذين بوجهة النظر القائلة بأن الموشحات جاءت وليدة الأغنية الشعبية (١) ، ويمكن الارتكاز في هذا الصدد على عبارة تعد من أقدم الاشارات عن نشأة الموشحات ، وقائلها هو

= الأقصى، (والذي تسمى بأمر المسلمين) وينتمي لقبائل البربر المثلثين، وفي عهده أقيمت الخطبة لبني العباس، وامتدت هذه الدولة الى سنة ٥٤١هـ (١١٤٦م) .

* عصر الموحدين: وبلغ ذروة قوته في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، ولكن دب فيها رويدا رويدا، ولم تعد تسيطر في منتصف القرن السابع الهجري إلا على مدينة غرناطة (بالجنوب الغربي من بلاد الأندلس).

* العصر الغرناطي: ويمتد من فترة تأسيس ابن الأحمر لمملكة غرناطة إلى تاريخ استيلاء الأسبان على المدينة سنة ٨٩٨هـ (١٤٩٢م).

(١) أفضل ما هناك حول الموضوع ما كتبه د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» ص ٢ وما بعدها، وانظر كذلك د. احسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج ٢ ص ٢١٦ وما بعدها، ومبحث للأستاذ شارل بلاعن «الموشح والزجل همزة الوصل بين ثقافات مختلفة» نشر بمجلة كلية الآداب جامعة الرياض (١٩٧٠).

● محمد بن محمد القبري

مقدم بن معافي القبري

ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد

ابن بسام صاحب «الذخيرة»، ونص العبارة :
«وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريقتهما، فيما
بلغني، محمد بن حمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار،
غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي
والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا
أغصان..» (٢)

وهذه العبارة من الإيجاز والغموض بمكان، خاصة فيما يتصل
بالدلالات الاصطلاحية لكلمات مثل «التضمين» و «الأغصان»
و«المركز»، فضلاً عن أنها تغامر بتحديد اسم «أول من صنع
الموشحات»، وفي رأينا أن الموشحات مرت بطور مجهول إلى أن كانت
أخريات القرن الثالث الهجري، حيث بدأ شعراء معروفون يؤلفون في هذا
القالب.

* محمد بن محمود القبري (نسبة إلى قبرة، قرية من أعمال قرطبة) :

* مقدم بن معافي القبري :

* ابن عبد ربه، صاحب «العقد» :

نسب ابن بسام — على مارأينا — «اختراع» الموشح لمحمد بن
حمود القبري أو بالأحرى لمحمد بن محمود القبري، كما جاء اسمه في معظم
المصادر..

وفي «بغية الملتمس» للضببي : «محمد بن محمود المكفوف
القبري، أديب شاعر، ذكره ابن حزم، وأنشد له في خيل السباق :

ترى مَنْ يَرَى المِيدَانَ يَجْهَلُ أَنَّهُ لأهل التَّبَارِي فِي الشُّطَارَةِ مِيدَانُ
كَأَنَّ الجِيَادَ الصَّافِنَاتِ وَقَدْ عَدَّتْ سَطُورُ كِتَابٍ وَالْمَقْدَمُ عِنَاؤُ (٣)
هذا كل ما ذكره عنه صاحب «البغية» والنص نفسه (بما احتلا
البيت الأول) جاء في (المغرب)، ونقله ابن سعيد عن الحميدي صاحب

(٢) ٢/١ : ص ١.

(٣) «بغية الملتمس» ط. مجريط ١٨٨٤م ص ١٢١-١٢٢.

« جذوة المقتبس » (٤)

ويذكر د. شوقي شيف أن الثعالبي ترجم له في « اليتيمة » ولا نعرف إلى أي طبعة رجع (فقد ذكر طبعتين مختلفتين في قائمة المراجع) وقد عدنا للطبعة القاهرية فوجدنا في الجزء الثاني منها :
« المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي ، قال :

لا يُبْعِدُ اللهُ أَياماً نَعِمْتُ بِهَا بين الغواني وشَمْلُ الحَيِّ مَلْتَمُ
بِكُلِّ نَاعِمَةِ الأَطْرَافِ مَشْرِقَةً تَكَادُ تُسْفِرُ مِنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلَمُ (٥)
الخ ...

والمرجح أن « الغنوي » هذه ليست سوى « القبري »^(٦) بعد أن اعترها التصحيف ...

وأيا كان الأمر فإن هذه الجمل الموجزة لا تكشف عن شيء ذي قيمة ، يبرز لنا صورة الرجل وشاعريته وموشحاته ، بل لا تقدم تحديداً للحقبة التي عاش فيها وإن كان المرجح أنه كان من شعراء أخريات القرن الثالث الهجري .

وإذا كانت المعلومات قليلة عن محمد بن محمود فإنها — على النقيض من ذلك مستفيضة عن ابن عبد ربه صاحب العقد ، الذي يجيء عنه في « الذخيرة » :

« وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا » (وابن عبد ربه توفي سنة ٣٢٨ هـ) .
وأما ابن سعيد في « المقتطف من أزهار الطرف » فإنه يقول :

(٤) ج ١ ص ١٠٩ (ط ثانية) وانظر جذوة المقتبس ص ٨٦ (ط . بن تاويت الطنجي القاهرة ١٩٥٢ م) .

(٥) ط مصوره عن طبعة القاهرة ١٩٤٧ (بعناية محي الدين عبد الحميد) ج ٢ ص ٣٠ وراجع في صحة الاسم : (أهو حمود أم محمود) د. الأهواني : «الزجل في الأندلس» ص ٤ (هامش).

(٦) انظر عن «قبرة» : «الروض المعطار» ص ١٤٩-١٥٠

(واستند الى الحجاري صاحب «المسهب في غرائب المغرب»): «ان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبيري، من شعراء الأمير عبدالله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد^(٧)

وهذه العبارة نفسها وردت في مقدمة ابن خلدون (٨) مع اختلاف يسير، ذلك أنه جعل كنية عبد ربه (ابو عبدالله) بدلا من الكنية المعروفة (ابو عمر)، ووردت العبارة نفسها بعد ذلك في كل من «نفع الطيب» (٩) و «أزهار الرياض» (١٠) ولكن بغير كنية.

وعجيب أن يكون ابن عبد ربه من أوائل الذين ألفوا في الموشحات، لأن كتابه الموسوعي «العقد الفريد» لا يحتوي على شيء عن هذا الفن، ويتضمن في الوقت نفسه العديد من قصائده ومقطعاته (وكان ابن عبد ربه غزير الانتاج في الشعر، وقد ذكر الحميدي أنه رأى من شعرة نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للحكم بن عبدالرحمن الناصر) (١١) ومن جانب آخر، فإن ابن عبد ربه هاجم في «العقد» جنوح الناس إلى الأساليب السوقية، وتخليهم عن الفصاحة، والموشحات — كما هو معروف — فيها، وبخاصة في الخرجات، عامية — بل أعجمية — في اللفظ والمعنى.

وقد قدم د. الكرم في كتابه «فن التوشيح» «مجموعة من التساؤلات حول هذه النقطة، فقد شكك في أن يكون لابن عبد ربه صاحب العقد دور في نشأة الموشحات» وأضاف: «ويخيل لي في بعض الأحيان أن ابن عبد ربه الذي كان له علاقة بالتوشيح ليس هو هذا الرجل، بل ابن أخيه سعيد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبد ربه، فقد ذكر

(٧) ص ٤٧٧.

(٨) المقدمة ٣/٣٩٠ وما بعدها.

(٩) «نفع» (ط. محي الدين) ٩/٢٢٠ وما بعدها.

(١٠) «أزهار الرياض» ج ٢ ص ٢٠٨ وما بعدها.

(١١) «جدوة المقتبس» ط. القاهرة ١٩٦٦ ص ١٠١.

(في المغرب): أن الناصر المرواني استحضره لينظر عليه في العلم القديم ، فقابله من الكلام العامي الجلف بما كرهه من أجله وأبعده . فهذا الرجل ، صاحب الكلام العامي الجاف ، أدنى الى أن يكون ممن نظم الموشحات — خارجاً بذلك على التقاليد القديمة — من صاحب العقد» و يضيف :
«هذا وقد ذكر بعض المؤرخين (عبدالواحد المراكشي : المعجب ص ٢٩٩ المقرري : نفح الطيب ج ١ ص ٣٦٨) أبا عبدالله محمد بن عبد ربه من أحفاد ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد ، وكانت له رحلة الى مصر، لقي فيها ابن سناء الملك ، وأخذ عنه من شعره . وهو أول من سمعه عبدالواحد المراكشي يذكر ابن سناء الملك بالأندلس ويروي شعره . فرمما كان اتصال هذا الرجل المنتمي الى صاحب كتاب العقد بابن سناء الملك الوشاح المشرقي العظيم سبباً في ذكر جده عند التعرض لبدء الموشحات ، وربما يكون هو الذي خلق تلك الفرية ، محاولاً رفع قدر جده ، وهو من الموشحات براء (١٢).

وقضية نسبة اختراع الموشحات لابن عبد ربه صاحب العقد محيرة حقاً ، ولكن من العسير دفعها بمثل التساؤلات التي أثارها د. الكرم في دراسته عن التوشيح لأنها تخطيء مصادر أساسية مثل «الذخيرة» و«المقتطف» على أساس ظنون لا تستند الى برهان . لقد تحدثت بالفعل مصادر مختلفة عن أبي عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه — ابن أخ صاحب العقد على اعتباره أنه كان — على حد تعبير ابن أبي أصيبعة — «طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً» (١٣) كما أن صاحب «اليتيمة» (١٤) أورد له شعراً لا بأس به ، ولكننا — على كل حال — لا نعرف مصدراً واحداً قرن اسمه بفن التوشيح .

(١٢) «فن التوشيح» ص ١١٣ .

(١٣) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (تحقيق د. نزار رضا، بيروت ١٩٦٥) ص ٤٨٩ .

(١٤) «يتيمة الدهر» (ط. محي الدين) ج ٢ ص ٥-١٠ . وانظر «جذوة المقتبس» ط. القاهرة ١٩٦٦ — ص ٤٠٠ ، و«المغرب» ط ٢ ج ١ ص ١٢٠-١٢١ .

وأما الحديث عن دور ما في هذا الأمر لحفيد ابن عبد ربه ، فلا نجد له مبرراً على الإطلاق ، لأن الإشارة إلى دور ابن عبد ربه (صاحب العقد) في الموشحات ترد في «الذخيرة» لابن بسام المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ونحن نعلم أن ابن سناء الملك ولد نحو سنة ٥٥٠ هـ ، وبمعنى آخر أن ابن بسام الذي روى الخبر توفي قبل أن يولد ابن سناء الملك ، فكيف يفترض أن منشأ نسبة اختراع الموشحات لابن عبد ربه يعود إلى قرية قصها حفيد ابن عبد ربه على ابن سناء الملك ؟

وهكذا يفضي بنا الحديث الى «مقدم بن معافي القبري» الذي تحير في أمره مؤرخو الأدب الأندلسي ، وإن كانت المعلومات عنه — على كل حال — أكثر وضوحاً مما وصل إلينا عن محمد بن محمود القبري .

وقد جاءت عنه في «المقتطف» لابن سعيد عبارة يتيمة تقول : «فأما الموشحات ، فقد ذكر الحنجاري في كتاب «المسهب في غرائب المغرب» أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري من شعراء الأئمة عبد الله المرواني ، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد (١٥) ، وهذه العبارة وردت عند ابن خلدون ، وظهر اسم معافي في بعض طبعات المقدمة — وبخاصة طبعة كاترمير على النحو التالي :

«مقدم بن معافر الفريري» (١٦) فقاد هذا التصحيف الى حشد من سوء الاستنتاج (١٧) كما أدى اشتراك معافي ومحمد بن محمود في النسبة (القبري) الى الظن بأن الاسمين قد يكونان لشخص واحد ، لكن المتفق عليه ، الآن غير ذلك (١٨) .

(١٥) ص ٤٨٧ .

(١٦) ٣/٣٩٠ .

(١٧) انظر د. الركابي: «في الادب الأندلسي» ص ٢٨٧ (هامش) وفيه أن المستشرق دي سنان في ترجمته الفرنسية لمقدمة ابن خلدون توهم أن الاسم المحرف (الفريري) نسبة الى قرية فارسية توافق هذا الاسم ، لكن دوزي صوّب الخطأ في مقال نشر بالجريدة الآسيوية (سنة ١٨٦٩) .

(١٨) أشار د. الركابي (ص ٢٨٨) الى مقالة لـ بوموت نشرها في (الأندلس) سنة =

والمعروف أن الأمير عبدالله المرواني توفي سنة ٣٠٠ هـ، فهل ألف
مقدم موشحاته في ظل هذا الأمير أم بعده؟
لسنا نعلم شيئاً واضحاً عن هذا الأمر، والحميدي في
«الجزوة» (١٩) يقول إن مقديما هذا كان من شعراء بلاط عبدالرحمن
الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ)، وهذا كله لا يساعد في شيء إلا في إيضاح
أن مقديما عاش حقبة من عمره في القرن الرابع الهجري .
ونتقدم إلى الأمام نحو قرن من الزمان، لنتقابل مع «الجيل
الثاني» من الوشاحين إذا صح التعبير.

= ١٩٣٤ وظن فيها أن محمد بن محمود ومعا في القبري شخص واحد، ثم ذكر
مقالة للدكتور الأهواني بالجملة نفسها (١٩٤٨) أثبت فيها - استنادا إلى مصادر
موثوق بها - أنها شخصيتان مستقلتان.
(١٩) ص ٣٣٣.

الجيل الثاني

والمعلومات التي لدينا عن هذا الجيل أغزر بكثير مما كان عليه الحال مع محمد بن محمود القبيري ومع مقدم بن معافي، هذا إذا استثنينا المكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، وقد ذكرهم ابن بسام في كلمته عن أوائل الوشاحين، ولكن لا يعرف عنهم شيء في المصادر المعروفة. وصاحب «الذخيرة» — بعد ذكر محمد بن محمود ومقدم وابن عبد ربه — يضيف:

«ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز، يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة، فاستمر على ذلك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، ثم نشأ عبادة هذا (يعني ابن ماء السماء)» (١).

والملاحظ أن ابن سعيد في «المقتطف» (ومن أخذ عنه كابن خلدون والمقري) لا يشير إلى اسم الرمادي بين الوشاحين الذين ذكرهم، ولا يقدم عنه في «المغرب» (٢) شيئاً ذا بال، وكل ما هنالك مقتطفات تملأ صفحة وبعض صفحة، تتصدرها عبارة نقلها عن الحميدي في «الجدوة» نعرف منها أن شاعرنا هذا «قرطبي كثير الشعر سريع القول،

• يوسف بن هارون الرمادي الكندي (أبو عمر)

• عبادة بن ماء السماء (أبو بكر)

• محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز (أبو عبد الله)

• مكرم بن سعيد وابنا أبي الحسن (٣)

• أم الكرم بنت المعتصم

(١) «الذخيرة» قسم أول ج ٢ ص ٢. وفي الأصل «شعراء عصرنا» وهذا — كما يسجل د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» ص ٤ — هامش — «سهو من الناشرين، ففي الأصلين المخطوطين: (عصره)».

(٢) ج ١ ص ٣٩٢

مشهور عند الخاصة والعامة هنالك، لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: «فتح الشعر بكنة، وختم بكنة، يعنون امرأ القيس، والمتنبي ويوسف بن هارون (٣) - المتوفى سنة ٤٠٣ هـ - وفي المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لمجموعته «دار الطراز» ترد عبارة تتعلق - فيما يبدو - بالرمادي، وهي:

«وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ بشرط أن يكون لفظها أيضاً في

العجمي سفاسفاً نفطياً، ورمادياً زطياً» فما دلالة رمادياً هنا؟

لقد ظن الحميدي أن نسبة شاعرنا «الرمادي» جاءت من أن «أحد آبائه كان من أهالي الرمادة، وهي موضع بالمغرب» لكن د. أحمد هيكل ينفي هذا الظن، ويقول إن هذا اللقب «هو الصورة العربية للقب رومانثي كان يطلق على الشاعر، كأثر من آثار امتزاج العربية بالرومانثية في المجتمع الأندلسي. ومما يؤكد هذا أن بعض المصادر الأندلسية قد حفظت لنا هذا اللقب بصورته الرومانثية، ونهت كذلك إلى نقل هذا اللقب من صورته غير العربية إلى صورته العربية، فقال ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة، في ترجمته للشاعر يوسف بن هارون: كان يلقب بأبي جنيش، فنقل إلى الرمادي، فكلمة جنيش هي الكلمة الرومانثية التي صارت في الإسبانية (Cenisa) تيسا، ومعناها رماد. فأبو جنيش هي أبو رماد أو الرمادي» (٤).

وقد ضاع ديوان الرمادي ولم تصل منه إلا شذرات، وضاعت موشحاته التي أشار إليها ابن بسام.

(٣) ص ٣٤٦ وانظر في مصادر الرمادي ما أورده د. شوقي ضيف: «المغرب» هامش ص ٣٩٢ من الجزء الأول، ود. أحمد هيكل: «الأدب الأندلسي» ص ٢٨٧ وفيه فصل جيد عن الرمادي. وانظر «نفع الطيب» ط د. احسان عباس ج ٤ ص ٣٥.

(٤) ص ٢٨٧، وأحال على «الصلة» ترجمة رقم ١٤٩١ و«تاريخ الفكر الأندلسي» لبالنشيا ص ٦٨. ومجد القاري نماذج من شعره في المصادر التي مرت، وفي ذكره كل من د. ضيف ود. هيكل ود. احسان عباس وانظر كذلك «الرقص والمطرب» لابن سعيد.

عبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز:
ونتحدث عنها معاً لما بين أخبارهما من تداخل، لأنها كانا
متعاصرين من جانب، وللتشابه بين الاسمين في لفظة «عبادة» من
جانب آخر.

والى عبادة بن ماء السماء يشير ابن بسام قائلاً: «نشأ يوسف بن
هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز.. ثم نشأ
عبادة هذا فأحدث التغيير وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان
فيضمها، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز» ويقول في بيان
فضله:

«وكان أبوبكر في ذلك العصر شيخ الصناعة، وإمام الجماعة،
سلك في الشعر مسلكاً سهلاً، فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً. وكانت
صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقها، ووضعوا حقيقتها غير
مرقومة البرود، ولا منظومة العقود، فأقام عبادة هذا منادها، وقوم ميلها
وسنادها، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه، ولا أخذت إلا عنه، واشتهر
بها اشتهاً غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته» (٥)

ويقدم ابن بسام نبذة لا بأس بها عن عبادة القزاز، منها:
«من مشاهير الأدباء الشعراء، وأكثر ما ذكر اسمه وحفظ نظمه
في أوزان الموشحات، التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس.. وهو ممن
نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديباجه ورصع تاجه، وكلامه نازل في
المدح، فأما ألفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف» (٦)
وفيا يبدو أن موشحات ابن عبادة (شأنها في ذلك شأن موشحات
عبادة بن ماء السماء) كانت عزيزة الوجود منذ قرون وقرون، كما قد
يستدل على ذلك من قول ابن فضل الله العمري عن ابن القزاز:

(٥) «الذخيرة» القسم الاول ج ٢ ص ١ والنص نفسه في الفوات ١/٢٥٥
(ط . محيي الدين) ج ٢ ص ١٤٩ ط احسان عباس .
(٦) «الذخيرة» القسم الاول ج ٢ ص ٢٩٩ انظر «المغرب» ١٣٤/٢ والمراجع
المذكورة به. و«الخريدة» ط . الدسوقي وعبدالعظيم - ج ٢ ص ٤٢.

«.. صاحب الموشحات الموشعات ، والكؤوس المشعشات ،
والبدائع التي لم يحصرها وزن ، والوشائع التي لم يلبس مثلها روض الحزن ،
والروائع التي لا عيب في درها إلا أنه لم يذخر بالحزن ..» (٧)
أما ابن سعيد، فإنه في «المغرب» لا يكاد يقدم شيئاً يستحق
الذكر عن حياة ابن عبادة . (وإن أورد نماذج من شعره ، وبعض موشحات
— سنذكرها بعد قليل) ولم يجيء شيء عن عبادة بن ماء السماء في
النسخة المطبوعة من الكتاب ، كما لا يذكر اسم ابن ماء السماء في الفصل
الذي عقده عن الموشحات والأزجال ضمن كتابه «المقتطف» ولكنه يورد
عن ابن عبادة القزاز:

«فأما الموشحات، فقد ذكر الحجاري في كتاب المسهب في
غرائب المغرب أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري ..
وأخذ عنه ابن عبد ربه .. ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر، وكسدت
موشحاتها، وكان أول من برع في هذا الشأن بعدها عبادة القزاز شاعر
المعتصم بن صمادح صاحب المرية . وقد ذكر الأعم البطليوسي أنه سمع
ابن زهر يقول: كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز في ما اتفق له من

قوله: بِدُرِّ تَمِّ شَمْسٍ ضُحَى غَضْنُ نَقَا مِسْكَ شَمِّ.
مَا أَتَمَّ مَا أَوْضَحَا مَا أَرَوَقَا مَا أَنْمَّ
لَا جَرَمَ مَنْ لَمَحَا قَدَ عَشِيقَا قَدَ حُرْمَ

وزعموا أنه لم يشق غباره وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن
الطوائف (٨).

وقد توفي عبادة بن ماء السماء سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، أو
سنة تسع عشرة وأربعمائة (٩) أما ابن عبادة القزاز، فإنه كان الشاعر

(٧) «مسالك الابصار» — مخطوطة باريس ٢٣٢٧ الجزء ١٧ (ذكر الشعراء
بالجانب الغربي) ورقة ١٣١.

(٨) «المقتطف» ص ٤٧٧.

(٩) «فوات» (ط . احسان عباس) ١٤٩/٢ وانظر عنه «المقتبس» ص ٣٤٦
(هامش، بقلم محقق الكتاب).

المقدم في بلاط المعتصم بن صمادح صاحب المرية، وفي ذلك يسوق صاحب «النفح» أن ابن عبادة أنشد المعتصم شعراً يقول له فيه :

ولو لم أكن عبداً لآلِ صُمادح وفي أرضهم أصلي وعيشتي وموئلي
لما كان لي إلا إليهم تَرَحُّلٌ وفي ظلهم أمسي وأضحى وأغتدي
فارتاح وقال : يا ابن عبادة ، ما أنصفناك ، بل أنت الحر لا العبد ،
فاشرح لنا أملك . فقال :
أنا عبد جودكم كما قال ابن نباتة :

لم يبق جودك لي شيئاً أومله تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل
فالتفت الى ابنه الواثق ولي عهده ، وقال : إذا اصطنعت الرجال
فشل هذا فاصطنع ، ضمه اليك ، وافعل ما تقتضيه وصيتي به ، ونهني إليه
كل وقت ، فأقام نديماً لولي العهد المذكور . وله فيها الموشحات المشهورة
كقوله :

كم في قد ود البان تحت اللثم من أقمر عَواط
بأنمل وبنان مثل العثم لم تَنبِرِ لِعَاط (١٠)
وفي «معجم السفر» للسلفي إشارة أخرى لإحدى موشحات ابن
القزاز في مدح المعتصم أولها :

هل يُتَاح للأرواح من ظبَاك ياسفَاخ
أن تُرَاح أو ترَاح أو ترَاح في مرَاك (١١)
وهو نص نادر لا نجده في غير كتاب السلفي .
أما ابن سعيد في «المغرب» فانه يذكر له قسماً كبيراً من موشحة
أولها :

أذَابَ الخَلْدُ نَهْدُ مَهْدُ

(١٠) «نفح» (ط . احسان عباس) ٤١١/٣ .

(١١) ص ٢٩٠ من نسخة صححها وحققها شير محمد زمان (لم تنشر بعد)

وَعَصْنُ تَأْوِذٍ فِي دِعْصِ مَلْبَدٍ
عَنْ سُقْمِ مُكَمِّدٍ
لَاةٌ

فَدَعِ عَذَلِي يَأْمَنُ يَلُومُ
فَلُومُكَ لِي فِي الْحَبِّ لُومُ
أَقْصَى أَمَلِي ظَبْيِي رَحِيمُ (١٢)

وقسماً من موشحة أخرى أولها :

صَلِّ يَا مَنَى الْمُتَيَّمِ مَنْ رَاخَ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ

صَاغَ الْجَمَالَ مِنْ كُلِّ لَأَاءِ
تَخَذُ أَدِيمُهُ مِنَ الصَّهْبَاءِ
وَوَجِنَةٌ أَرْقُ مِنَ الْمَاءِ

كَأَنَّهَا شَقِيقَةٌ تُفَاحُ لَمْ تُلْمَسْ بِرَاخِ (١٣)
وهناك نصوص لا يعرف على وجه الدقة أهي لعبادة بن ماء
السماء، أم لابن عبادة القزاز، ففي «فوات الوفيات» (١٤) موشحتان
لابن ماء السماء، الأولى تبدأ بـ :
مَنْ وَكَلَى فِي أَمِيهِ أَمْرًا وَلَمْ يَعْدِلِ
يُعْمَلُ إِلَّا لِحَاظِ الرَّشَاءِ الْأَكْحَلِ

والثانية :

حُبُّ الْمَهَا عِبَادَةٌ مِنْ كُغْلٍ بِسَّامِ السَّوَارِ
لكن الصلاح الصفدي في «الوافي بالوفيات» (١٥) يجعل

(١٢) «المغرب» ص ١٣٦ ج ٢

(١٣) «المغرب» ص ١٣٧، ج ٢

(١٤) «فوات» ٤٢٦/١ (ط . محيي الدين) وذكرها ابن تغري بردي في

«المنهل» مخطوطة باريس منسوبة لابن ماء السماء.

(١٥) ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٠

الأولى لمحمد بن عبادة القزاز ويجعلها هو نفسه في كتابه «توشيح التوشيح» (١٦) لعبادة بن ماء السماء! ويذكرها ابن الواعيني في «ريحان الألباب» (١٧) مصدرة بـ «وغريب التوشيح ما أنشد به أبو عامر ابن ينق قال: أنشدني عبادة بن ماء السماء لنفسه من موشحة قليلة الأمثال..» النص

واذن فلا يبقى لابن ماء السماء سوى موشحة واحدة لا خلاف عليها في المصادر وهي التي أولها:

حُبُّ المِها عِبَادَة من كلِّ بَسَام السَّوار
ولكن د. إحسان عباس يقول عنها إنها «شبيهة بموشحات القزاز، والخزجة فيها معربة. وإذا كان كذلك فقدنا آخر مثل من الموشحات المبكرة نسبياً» (١٨)، ونحن لا نطمئن كثيراً لمثل هذا الاستدلال، لأن ابن القزاز فيما وصل إلينا من موشحاته لا يسير على نمط ثابت، وهناك فروق فنية واضحة بين موشحاته التي تتعدد فيها الأجزاء في القفل، أو في البيت، مثل قوله في موشحة «بأبي. ظبي حمى»:

بَسْدُرُ تَم شمسُ ضُحى غصنُ نَقا مِسْكُ شَم
وبين قوله:

صِلْ يَأْمُنِي المُتَّيِّمِ مَنْ رَاخ مقصوصَ الجَنَاح
ومن جانب آخر، فإن الترجيح لا يمكن أن يقوم، إلا إذا كنا نملك قدراً من موشحات ابن ماء السماء، يسمح بأن نتبين من خلاله الخصائص الفنية عنده، ونقارنها بموشحات ابن القزاز، ثم نحكم بعدها على موشحة «حب المها عبادة».

(١٦) ص ١١٣

(١٧) مخطوطة توجد منها نسخ في مكتبة فاتح والمكتبة الملكية بالرباط عن د. الجراي «موشحات مغربية» ص ١٩.

(١٨) «تاريخ الادب الاندلسي» ج ٢ ص ٢٣١

والقضية تصبح أكثر تعقيداً عندما ينظر المرء في نصوص «دار الطراز»، وفي المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لكتابه، لأن صاحب «الدار» لا يذكر الا «عبادة» من غير تحديد، مثال ذلك موشحة :

بِأَبِي عَلِقُ بِالتَّفْسِ عَلِيقُ

وقد أوردتها بتمامها (١٩) وذكر في المقدمة : «هذا الموشح لعبادة» وقد يظن ظان أن الاكتفاء باسم «عبادة» يفرض على الباحث أن يرجح نسبة النص لعبادة بن ماء السماء لا لابن عبادة القزاز، لكن المشكلة أن هذا الأخير يذكر كذلك على أنه «عبادة القزاز» (٢٠) فضلاً عن أن بعض الموشحات التي اكتفى ابن سناء الملك بنسبتها الى «عبادة» تأتي منسوبة لابن عبادة القزاز في عدد من المصادر، كما تنسب لابن ماء السماء في غيرها، مثل :

بِأَبِي ظَبِي جِمِي تَكْتَفُهُ أَسْدُ غَيْلِ

التي عرفنا أن ابن الموعيني جعلها لابن ماء السماء (٢١)، أما ابن سعيد في «المقتطف من أزاهر الطرف» فنسبها الى «عبادة القزاز»، وقد مر بنا قول ابن زهر إن «كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله :

بَدْرُ تَمِّ شَمْسُ ضَحَى غَضُنْ نَقَا : مِشْكُ شَمِّ . الخ
وهذا المقطع لا يعدو أن يكون أول «البيت» الثاني من أبيات موشحة «بأبي : ظبي حمى». والموشحة نفسها ترد في «جيش التوشيح» (٢٢) منسوبة هذه المرة لأبي بكر بن بقي !
وهناك موشحتان أخريان في «دار الطراز» تحويان في ثناياها ما

(١٩) «دار الطراز» ص ٥٢ وانظر مقدمته (ص ٢٧)

(٢٠) ابن سعيد «المقتطف» ص ٤٧٧.

(٢١) انظر عباس الجراري «موشحات مغربية» ص ١٩ والموشحة في «دار الطراز» ص ٦٥

(٢٢) «جيش التوشيح» ص ٥

يؤكد نسبتها لابن عبادة القزاز، الأولى هي موشحة :
دعني أشم : برقاً جدم : مرجان : قد انتظم فيه البرد : فازدان

فالخرجة فيها تقول :
قل هل عُليم : أو هل عُهد : أو كأن : كالمعتصم والمعتضد مَلِكًا
(٢٣)

والثانية أولها .

رُح للراخ وباكز بالمُعَلِّم المُشَوِّف غبوقاً وصبُوح على الوترِ الفصيح
وخرجتها :

ما أَمَلَحَ العساكِرُ وترتيب الصفوف والأبطالان تصيح الواثقُ ياملِخ
ففي الخرجة الأولى إشارة الى المعتصم والمعتضد (صاحب أشبيلية)
وكان بينها تحالف في فترة من الفترات، وأما الواثق المشار اليه في الخرجة
الثانية فهو عز الدولة ابن المعتصم، وفي هذا ما يدل على أن الموشحتين من
نظم ابن عبادة القزاز شاعر المعتصم وابنه .

على أن الإشكالات لا تنتهي عند هذا الحد مع عبادة بن ماء السماء
وابن عبادة القزاز فهناك اسم ثالث يتردد في بعض المصادر الأندلسية هو
اسم «عبادة بن محمد بن عبادة - القزاز» وهذا الاسم يرد في
«الخريدة» - على سبيل المثال - دون اي تحديد لعصره أو مكانته أو الفنون
التي برع فيها، ويأتي بعد الاسم مباشرة بيتان هما :

إِنَّمَا الفَتْحُ هِلاكَ طَالِغٍ لَاحَ مَنْ أزراره في قَلِّكَ
نَحْدَهُ شَمْسٌ وِليلٌ شعْرُهُ من رأى الشمسَ بدت في حَلِّكَ
(٢٤)

وعلق محققا هذا القسم الخاص بشعراء الاندلس وأدبائها على الاسم
بأن المعنى هنا «ابو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة .. ويعرف
بابن ماء السماء» وبذا حسبا الأمر دون اعتبار لصفة «القزاز».

(٢٣) «دار الطراز» ص ٦٩

(٢٤) «الخريدة» تحقيق الدسوقي وعبد العظيم ٤٤/٢

وتوقف هذا المستشرق شترن أمام هذا الاسم فتساءل عما اذا كان «عبادة» هذا ابنا لمحمد بن عبادة القزاز او ابن القزاز الذي نعرفه، ولم يستطع أن يحسم في المسألة. (٢٥)

والحق ان المغامرة بتقديم حل حاسم لمثل هذه المشكلة قد تقود للشطط، خاصة حين تتدخل مصادر اخرى فتقدم إشارات عن «عبادة بن محمد بن عبادة الاقرع»، صاحب الموشحات، فهل هذا شخصية أخرى تشترك في تأليف الموشحات كما تشترك في نعت «عبادة»، ام أن الأمر لا يعدو أن يكون هفوة من هفوات التأليف أو النسخ، وأن المقصود بهذا الإسم الثالث محمد بن عبادة القزاز؟ ولم لا نجد عن عبادة «الثالث» هذا إلا إشارات مقتضبة تتسم بالغموض؟

إن تكرار الحديث عن الشخص الواحد في كتاب مثل «الخريدة» — بما يوهم احيانا انها شخصيتان منفصلتان — (٢٦) يجعلنا نشك في وجود وشاح ثالث يحمل اسم عبادة (٢٧) غير ابن ماء السماء وابن «القزاز». أم الكرم بنت المعتصم:

جاء عنها في «المسهب» ونقل صاحب «المغرب» (٢٨):
«كان المعتصم قد اعتنى بتأديبها، لما رآه من ذكائها حين نظمت الشعر والموشحات» لكن شيئاً من هذه الموشحات لم يصل الينا، ولم يبق من شعرها الا أبيات متفرقة تدور حول موضوع الحب.
وأم الكرم هي أول شاعرة أندلسية يذكر أنه كان لها إسهام في تأليف الموشحات والملاحظ أن شاعرات الأندلس — إلا قلة قليلة — لم يؤثر عنهن أنهن ألفن موشحات.

(٢٥) ص ٩٨

(٢٦) انظر على سبيل المثال ترجمة الابيض (ج ٢ ص ٧٠، ص ٦٧٠) وترجمة ابن عبدالبر (ج ٢ ص ١٣، ٤٧٨) وترجمة ابن ابي الخصال (ج ٢ ص ٤٦٥، ٤٥٩) وترجمة الخزومي (٢/١٥٤، ٦٦٨) وترجمة ابن بقی (ج ٢/١٣٠، ٦٦٧) (٢٧) هناك اندلسي اخر يدعى ابن عبادة (توفي ٥٣٢ هـ) له كتب في الحديث، ولا علاقة له بالموشحات.

(٢٨) ج ٢ ص ٢٠٢، وانظر «النفح» ط . محيي الدين ج ٥ ص ٣٠٢

فترة النضج والازدهار

● ابن عمار (ذو الوزارتين، ابوبكر بن محمد، المهدي، الاندلسي، الشلبي) (١) المتوفى سنة ٤٧٧:

لخص ابن سعيّد في «المغرب» - استنادا الى «القلائد» و«الذخيرة» و «المسهب» حياة ابن عمار العاصفة في سطور، فذكر أنه من قرية شنوبوس، من المملكة الشلبيّة وكان من اصحاب المعتمد في زمن الصبا، فلما آل الأمر للمعتمد، قرب ابن عمار، وصار عنده كجعفر عند الرشيد، الى أن داخل ابن عمار العجب، .. فوثب على مرسية لما أخذها للمعتمد، وانفرد فيها بنفسه، وهجا ابن عباد وزوجته الرميكية «وانتهى الأمر الى الوقوع في الاسر وقتله المعتمد بيده.»

ولا يذكر ابن عمار في أي من المصادر المعروفة على أنه من الوشاحين، وتفرد الصفدي في «توشيح التوشيح» (٢) بعده من بين كبار وشاحي الاندلس.

● ابن زيدون (أحمد بن عبد الله): (٣)

الوزير الشاعر الكاتب، صاحب الرسالتين الهزلية والجدية، والقصائد الوجدانية ذات الشهرة المدوية، وبخاصة «التونية» التي طالما عارضها الشعراء عبر العصور:

أضحى التناثي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ولم يذكر ابن زيدون في المصادر المعروفة على انه من الوشاحين كما أن ديوانه لا يضم شيئا في هذا المضمار، وفيه مسمطتان «سقى الغيث أطلال الأحبة بالحمى» و «تنشق من عرف الصبا ما تنشقا» ومن الدارسين

-
- (١) انظر عنه «المغرب» ٣٨٩/١ والمراجع المذكورة ولا ينبغي الخلط بينه وبين ابي بكر ابن عمار المذكور ج ٢ ص ٢٢٩ من نفس المصدر
- (٢) «توشيح التوشيح» ص ٣٢.
- (٣) انظر عنه د. شوقي ضيف «ابن زيدون» ومقدمة ديوانه بتحقيق علي عبدالعظيم، وفي كتاب د. الركابي «في الأدب الأندلسي» فصل طويل عنه.

المحدثين (٤) من بعدهما - خطأ - من الموشحات.

• ابن ارفع رأسه (ابوبكر محمد) (٥):

جاء عنه في «المقتطف» في معرض الحديث عن أوائل الوشاحين الذين
ظهروا بعد ابن عبادة القزاز:

«وجاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع راسه، شاعر المأمون بن ذي النون
صاحب طليطلة. قالوا قد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له،
حيث يقول:

السُّودُ قَدْ تَرَّتْكُمْ بِأَبْدَعِ تَلْحِينِ
وَشَقَّتْ الْمَذَائِبُ رِيَاضَ الْبَسَاتِينِ

وفي انتهائه حيث يقول:

تَخْطُرُ وَلَيْسَ تَسَلَّمُ عَسَاكَ الْمَأْمُونُ
مُرْوَعُ الْكُتَائِبُ يَحْيَى بِنِ ذِي النُّونِ

وذكره ابن سعيد في «المغرب» ولم يورد عنه شيئا يذكر: «نبه
الحجاري على بيته بطليطلة، وان المأمون بن ذي النون اشتمل عليه وشهر
عنده ذكره .. وله موشحات مشهورة يغنى بها في بلاد المغرب، منها في مدح
المأمون بن ذي النون» ولم يذكر له الا ثلاثة أبيات قالها في مدح ابن ذي
النون يحيى في مصادر اخرى أنها قيلت على البديهة، وفي حسابنا أن عبارة
«المغرب» توحى بأنه سيسوق شيئا من هذه الموشحات، لكن الامر وقف
عند هذا الحد (٦).

(٤) انظر ديوانه، نشر كامل كيلاني ص ١٩٢، ٢٢٩ وكذلك مجلة

(Arabica) وفيها مقال بعنوان « Un Muwassah d'Ibn

Zay dun » (فبراير ١٩٧٨) ص ١٠ - ١٧

(٥) انظر عنه «المغرب» ١٨/٢ والمراجع المذكورة بالهامش.

(٦) راجع شترن ص ٩٥ وقد عثر على نصها في مجموعة ابن بشرى ونشرها مع

ثلاث موشحات اخرى تحت عنوان

Four Famous muwassahs from Ibn Busia's anthology

ومن موشحة «العود قد ترنم» قطعة ترد في «مجموع الأغاني والألحان
من كلام الأندلس» منها:

وغناءُ الطيورُ على غصونِ البانِ (٧)
وضجك السُّرورُ وانسلَّ للميدانِ
وكُلُّنا أميرُ بالراج والسلطانِ .. الخ

ومن حسن الحظ أن مجموعة «جيش التوشيح» تضمنت عشر موشحات
لابن ارفع راسه، وقد صدرها لسان الدين بن الخطيب بعبارة مسجوعة فيها:
«رفع في التوشيح رايته، وبلغ منه غايته، واستوفى أمره ونهايته، فجلا
برائق مبانيه أنوار معانيه، فجاءت ألفاظه يرف رونقها، ويشف تأنقها، إن
مدح جاءت المدائح اليه تترى، او تغزل رأيت جيلا بوادي القرى، جدد
بني ماء السماء المتقدمين في التمين، وانضوى به الى الملوك والتحييز..»
والموشحات التي بين أيدينا تدور حول الغزل والمديح، وفي بعضها ما
يمكن ان يعد من «التزيم» — أي الخروج على الفصحى — إلا اذا كان
مرد ذلك الى سوء النسخ، وانظر موشحته:

قد كنتُ في عَدَنِ فاختلتُ والهفي كأنَّ ابلِيسا قد وَشَى الى إلفي

واصَلْ إِمحاشي من عهدِه انيسى ...
بدرٌ بدا ماشي كي يكيف الشمس (٨)

ومن أقوالها:
حاشاك ياخذني أن تُدينَ بالخُلفِ فبؤسني يوماً وحده من الألفِ
وغيره:
أجل من الحُسنِ قبل رجعة الظرفِ من عرش بلقيسا مُتعت بالتصف

(٧) بالأصل وغنات الطيور: على قطوب البان

(٨) كذا بالأصل، ولعلها: شمسى

وهناك فضلا عن ذلك جل لا نحسب أنها كانت تغنى على النحو الذي
تنطق به بالفصحى مثل:

السُّلْفُ للوَعْدِ ناقضُ عُرى الوَدِّ

ففي اعتقادنا أنه كما يوقف بالسكون في «ناقض». ومن أشهر
الموشحات المنسوبة لابن ارفع راسه قوله:

مَنْ عَلَّقَ القُرْطَا فِي أَذِنِ الشَّعْرَى وَأَكْفَفَ المِرْطَا العُصْنَ النَّصْرَا (٩)

وبعض خرجات موشحاته تمتزج فيها العامية بالرومانث كقوله في
موشحته «الراح والرضاب»:

يَاسْمُ شنت لَاب ذَا الوعدُ ذَا الحَجِجِ دَعَّ هَجْرَ مِم قَطَعِ فَالقطعُ فِي سَمِجِ
او قوله في خرجة موشحته «للهورى في القلب أسرار»:

بِعِنَايشِ لِحْتِ إِنْ لِحْتُ كَمِ هَلْشِ مِنْ يَدِي
بِوَنِ بِلَاشِ امْتَاژِ أَوْ لِحْتِ عَمِنِ عَنِ كَفْرِي

● ابن اللبانة (محمد بن عيسى بن محمد، ابوبكر اللخمي):
الداني (نسبة الى مدينة دانة، بالأندلس) وكان شاعر المعتمد بن
عباد، وتوفي في سنة ٥٠٧ (١٠)

أورد له ابن سناء الملك في «دار الطراز» ثلاث موشحات الأولى
(وتجىء بدورها في مجموعة «جيش التوشيح»):

عَلَى عِيُونِ العِيْنِ رَعَى الدَرَارِي مَنْ شَغَفَ بِالحُبِّ
الثانية (وترد كاملة في المغرب):

كَمِ ذَا يُوْرُقْنِي ذُو حَدَقِ مَرَضَى صِحَاخِ لَا يُلِينُ بِالْأَرْقِ

(٩) هي في «توشيح التوشيح» منسوبة للحصري»

(١٠) ذكر د. شوقي ضيف قائمة بمصادر ابن اللبانة بهامش «المغرب» ٤٠٩/٢
كما اورد محقق «جيش التوشيح» قائمة لا بأس بها (ص ٢٤٣) وانظر
«الذخيرة» القسم الثالث ج ١ ص ٥٠ ومابعدها (القاهرة ١٩٧٥ بتحقيق د.
لطفى عبدالبديع). وظهر شعره مؤخرا، مجموعا في ديوان (لايضم موشحاته)
بتحقيق د. محمد مجيد السعيد (البصرة ١٩٧٧).

والشالشة: (ومنها قطعة في «المغرب» وتجيء كاملة في «جيش التوشيح»):

كذا بقتاد سنا الكوكب الوقاد إلى الجلاس مشعشة
الأكواس

ومن أشهر موشحاته - وعارضها كثيرون - موشحة:

في نرجس الأحقاد وسؤسن الأجياد
نبت الهوى مفروس بن القنا المياد (١١)
ويستغرق الغزل جل الموشحة، ولكنه يختمها بمديح بني عباد.
وأشهر من الموشحة السابقة قوله:

هلا عذوي قد خلعت العذار لا اعتداز عن ظبا الإنس وشرب العقاز
وخرجتها بلغة الرومانث:

وغادة تشكو بعماد الخليل
غدوها تبكي ويوم الرحيل
بضقة البحر وظلت تقول:
... امار الفرار وليس دمار

ومن الموشحات المنسوبة لابن اللبانة، وترد في «توشيح التوشيح» (١٢) وفي «عقود اللآل في الموشحات والأزجال» (١٣) وفي غيرهما (١٤)

(١١) تجيء كذلك في «فوات الوفيات» ٥١٤/٢

(١٢) ص ١٣٣

(١٣) مخطوطة الاسكوريال ورقة ٨

(١٤) انظر شترن ص ٩٦ وقد نسبت في «العذارى المائسات» لجمال الدين ابن نباته وقيل لابن عزلا - كذا - وهناك موشحة اخرى اولها «شق النسيم اكمامه» جعلها الصفدي في «الوافي بالوفيات» ٢٩٩/٤ وابن شاكر في «الفوات» لابن اللبانة اما في جيش التوشيح ص ١٣٢ فتأتي منسوبة لابن الصيرفي.

شاهدي في الحب من حرقى أدمع كالجمر تنذرك

تعمجز الأوصاف عن قمر
خده يذمى من النظر
بشر يسمو على البشر

قد براه الله من علق ما عسى في حسنه أصف
ويعد نموذجاً للموشح «الشعري» بل لعله - إذا صحت نسبته لابن
اللبانة - أقدم ما وصل إلينا من هذا النوع.

• • •

* ابن لبون (ابو عيسى، لبون): (١٤)

امير مر بيتر Murviedro

له في «جيش التوشيح» عشر موشحات من أجلها موشحته:

مابدا من حالي قد كفى عذالي عاذلي لا تكثُر في الهوى
تعذالي

عذلكم يُغريني فانتهاوا عن عذلي
كلفتني بالعين زاد في فضلي
وموشحة:

من أطلع البدر في كمال غصن اعتدال

بمُهَجِّي شادئ غريز
يجوز حكما ولا يُجيز
وما سوى أدمعي نصير

(١٤) انظر عن مراجعه: «المغرب» هامش ٣٧٦/٢، والخريدة ٣٣١/٢ (ط).
السدوقي وعبدالمعظم) وفيها «ابن لبون» - وهو خطأ من أخطاء التحقيق -
و«جيش التوشيح» ص ٢٦٢

تفعل عيناه بالرجالِ ففعل العمالِ
وتنتهي - وكلها حول موضوع الحب - بالحبيب وقد لان بعد طول تدلل:

لله يوماً به نعيمنا
راق أصيلاً قرأقاً حُسننا
عاتبته مازحاً فغنى:

إياك يغرّنك صرف مالٍ يامن بدا لي (١٥)
وهذه الخرجة معربة، وفي موشحات ابن لبون ما تكون فيه الخرجات
بالعامية مثل موشحة «كم ذا يعذل» وينتهي بالحديث عن هذه الحساء
التي:

تشدو خيلها تشدو خيلها
سمارك حلو سمارك حلو
تدعوه للوصل والعناق: ائده من شار بالعدد

كما أن لابن لبون موشحة ذات خرجة اختلطت فيها العربية بلغة
الرومانث، وهي موشحة «شكا جسمي» وفيها تشدو المحبوبة حزناً لما
علمت بما حل به:

عزيزمي كمد سيد ياقوم تُرى بالله سم الاسم ند رلو



* ابن الزقاق (أبو الحسن علي بن ابراهيم بن عطية) (١٦) المتوفي

(١٥) الخرجة في «جيش» ص ١٦٩:

إياك يغرّنك صرف رمال ياقد بدالي
ولا معنى لها على هذه الصورة.

(١٦) انظر عنه «الخريدة» ط. الدسوقي وعبدالعظيم ٦٤٧/٢ - ٦٥٣
و٦٥٥/٢ - ٦٦٦ وكذلك «المغرب» ٣٢٣/٢ ومقدمة ديوانه، بتحقيق عفيفة
ديراني وفي «مع شعراء الأندلس» لجومث فصل عن «ابن الزقاق شاعر
الطبيعة».

نحو سنة ٥٣٠هـ (١٧): جاء عنه في «المسهب»:

«من فتیان عصرنا الذین اشتهر ذکرهم وطار شعرهم ، وهو جدير بذلك ، فلشعره تعشق بالقلوب ، وتعلق بالسمع ، وأعانه على ذلك مع الطبع القابل كونه استمد من خاله أبي اسحاق بن خفاجة و نزع منزعه .»
ولسنا نملك شيئاً ذا بال عن موشحات ابن الزقاق ، باستثناء ما يجيء في «توشیح التوشیح» (١٨) ، فقد عدّه الصفدي «ممن سبق الى التوشیح ، وسبق الى الغاية من اهل المغرب» ، ونسب اليه موشحة (تجيء بدورها في مخطوطة «عقود اللال» (١٩) منسوبة كذلك لابن الزقاق) ، يقول فيها:

خُذْ حَدِيثَ الشُّوقِ عَنِ نَفْسِي وَعَنِ الدَّمْعِ الَّذِي هَمَّعَا

مَا تَرَى شَوْقِي قَدْ اتَّقَدَا
وَهَمِّي بِالْدمْعِ وَأَقْرَدَا
وَإِغْتَدَى قَلْبِي عَلَيْهِ سُدى

آه من ماءٍ ومن قَبَسِ بين طرفي والحشا جميعاً
وهي موشحة رفيعة المستوى ، من نوع «الموشح الشعري» فألفاظها غاية في الرقة ومعانيها تلفها غلالة من البساطة ، والصور الخلابة ، والنغم الحار والمشكلة أن المصادر الأخرى لا يذكر فيها شيء عن موشحات ابن الزقاق ، ولا يوجد إلا نص واحد منسوب له ، وهذا النص نفسه يرد في «نفع الطيب» على أنه من موشحات ابن بقي (٢٠).

-
- (١٧) اختلفت المصادر حول اسمه. كما اختلفت حول سنة وفاته ، والمتفق عليه أنه توفي ما بين سنة ٥٢٨ وسنة ٥٣٠هـ أما الخريدة فتذكر سنة ٥٤٠هـ.
(١٨) ص ٣١ والنص ص ١٤٧ (والموشحة في ديوانه ص ٣٩٦ ، وألحقها المحققة بالديوان استناداً إلى التوشیح).
(١٩) مخطوطة الاسكوريال ورقة ١٠.
(٢٠) «نفع» - ط. عبد الحميد ، ٣٦٩/٥.

وسواء كانت هذه الموشحة من شعر ابن الزقاق أو ابن بقي، فإنها تعد من عيون الموشحات الأندلسية، وخرجتها معربة، ينشد فيها العاشق:

أَيْنَ ظَبْيِي الْقَفِيرِ وَالْكُنْسِ مِنْ عَزَالٍ فِي الْحَشَا رَتَعًا



* ابن جاج (الصباغ البطليوسي):
وصفه المقرئ بأنه «من أعاجيب الدنيا، لا يقرأ ولا يكتب» (٢١) وروي عنه أخبارا مع الوزير ابن عمار، تدل على سرعة بديته، وحسن ارتجاله، كما أورد خبر قدومه الى بلاط المعتضد بن عباد، وازدراء الشعراء به وسخرتهم منه، حتى جاءت ساعة الإنشاد، فإذا به يقول مدحة من عيون الشعر (ذكر المقرئ منها ثلاثة عشر بيتا) عندئذ قال له المعتضد: «اجلس، فقد وليتك رئاسة الشعراء، وأحسن اليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لأحد بعده».

وقد ترجمت بعض المصادر لابن جاج، ولكن أيا منها لم يذكر شيئا عن موشحاته، وعده الصفدي في «توشيح التوشيح» من المبرزين في هذا الفن الأندلسي (٢٢).



* ابن الأرقم (أبو الأصبغ عبدالعزيز بن محمد، الثميري):
قال ابن الأبار في «التكملة» إنه كان:
«كاتبا بليغا شاعرا، أقام بدانية، عند إقبال الدولة على ابن مجاهد، ثم صار الى المعتصم بن صمادح، فكان من وجوه رجاله،

(٢١) «نفع الطيب» - ط. احسان عباس - ٤٥٢/٣، وانظر كذلك ص ٦٠٧ وما بعدها والمراجع المذكورة بالهامش.
(٢٢) «توشيح التوشيح» ص ٣٢.

ونبهاء أصحابه. وله رسائل وتأليف في الأدب. وتوفى في عهد
المعتمد بن عباد» (٢٣)

ووصفه المقرئ بأنه « كان آية الله تعالى في الوفاء » ، وذكر خبر
إعجاب المعتمد بن عباد به ، وسعيه لضمه الى دولته ، ورفض ابن
الأرقم وفاء منه لابن صمادح . وفي معرض الحديث عن موضحة
الأعمى التطيلي « ضاحك عن جان » يضيف المقرئ:
« وممن عارض هذه الموشحة ابن أرقم ، إذ قال: »

مَبْسُومُ الْبَهْرَمَانِ فِي الْمُحَيَّا الدَّرِّي
صَادَ قَلْبِي وَبَانَ وَأَنَا لَمْ أُدْرِ (٢٤)

وهذا كل ما يعرف من أمر موشحات ابن الأرقم . ولا يستبعد
شترن (٢٥) أن يكون المقرئ قد أخطأ عندما ذكر أن ابن الأرقم هو الذي
عارض التطيلي ، وأن يكون العكس هو الصحيح ، على اعتبار أن ابن
الأرقم أقدم عهدا من التطيلي ، إذ كان الأول في أخريات عمره ، عندما
كان الثاني في سن الشباب .



* ابن الفرّج (ذو الوزارتين ابو عامر): (٢٦)
وزير المأمون بن ذي النون ، ملك طليطلة ثم وزير ابنه
عبدالقادر .

ذكر ابن سعيد — نقلا عن « المسهب » أن بني الفرّج كانوا من أعيان
بلنسية « الذين توارثوا الحسب ، وجلوا عن أن يحيط بهم نظم من الشعر أو
نثر من الخطب ، وما منهم إلا من تهادته الملوك .. » ثم ذكر خبر تفرقهم على
حواضر ملوك الطوائف ، واستقرار أبي عامر بن الفرّج في بلاط بني ذي

(٢٣) « التكلّة » ط . مجريط ٦٢٢/٢ .

(٢٤) « نفع الطيب » — ط . احسان عباس — ٥٠/٤

(٢٥) شترن ، المرجع المذكور آنفا ، ص ٩٩

(٢٦) انظر عنه « المغرب » ٣٠٣/٢ والمراجع المذكورة فيه .

النون، وأضاف:

«قال (يعني الحجاري، صاحب «المسهب»): وله في التوشيح طريقة حسنة»، ولا نملك من هذه الموشحات شيئاً.



* والحصري (ابو الحسن علي بن عبدالغني الفهري الضيرين): (٢٧) وصفه صاحب الخريدة «بأنه» صاحب تصنيفات وتأليفات وإحسان في النظم» (٢٨) (ولا ينبغي الخلط بينه وبين ابن خالته او خاله أبي اسحاق ابراهيم الحصري، صاحب «زهر الاداب»)، وأشهر ما عرف له قصيدته «ياليل الصب» التي عارضها كثيرون في الماضي والحاضر. والحصري ينتمي الى مدينة القيروان، وتركها بعد المحن التي حلت بها واستقر فترة من الزمن في سبتة، وانتجع بلاط المعتمد بن عباد في اشبيلية، كما قصد غيره من ملوك الطوائف. وأقام في أخريات حياته بطنجة، وفيها توفي سنة ٤٨٨ هـ.

وقد عدّه الصفدي في «توشيح التوشيح» «ممن سبق الى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغرب» (ولا يذكر غيره شيئاً عن صلة الحصري بفن التوشيح) ونسب له موشحة هي:

مَنْ عَلَّقَ الْقُرْطَا فِي أذِنِ الشَّعْرَى وَأَلْحَفَ الْمِرْطَا الْعُصْنَ النَّصْرَا (٢٩)

وهي من غرر الموشحات الأندلسية، على الرغم من ثقل قافية الطاء التي تتخلل كل أفعالها. والمشكلة أن هذه الموشحة وردت بدورها في «جيش التوشيح» منسوبة لابن ارفع راسه (٣٠) وهي بموشحات هذا الأخير ألصق منها بالحصري، الذي لا يعرف له أي إسهام في مجال الموشحات.

(٢٧) راجع عنه «ابو الحسن الحصري القيرواني» لمحمد المرزقي والجيلاني بن الحاج يحيى (تونس ١٩٦٣) ويتضمن ملمحة عن حياته وكذلك رسائله وشعره.

(٢٨) «الخريدة» ج ٢ ص ٥٠ - ط. الدسوقي وعبدالعظيم.

(٢٩) ص ١٥١ (٣٠) ص ٧٤

● ابن نزار (ابو الحسن):

أحد الشعراء الأمراء، ذكر المقرئ في «النفح» (٣١) شيئاً من اخباره، وقال انه «لما انتثر سلك نظام ملك لمتونة - (من البربر المرابطين) تفرق ملك الاندلس رؤساء البلاد، وكان من جملتهم الأمير ابو الحسن بن نزار، لما له من أصالة في وادي آش، فحسده أهل بلده، وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة، فخطبوا في بلدهم لملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش»، وانتهى الأمر بأن جيء به وهو في الأغلال إلى مرسية، وأودع السجن ويضيف المقرئ أنه: «لم يزل على حاله في السجن الى ان تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التي أولها:

نَازَحَكَ الْبِدْرُ اللَّيَاخُ بِنَنْتَ الدَّنَانِ
فَلَمْ يَدْعُ لَكَ اقْتِرَاخُ عَلَى الزَّمَانِ
وفيها يقول:

يَاهْلُ أَقْوَى لِلْحَسُودِ وَالْمَيْسُ تُخْدَى:
يَالَأَمِّي عَلَى السَّرَاخِ كَانَتْ أَمَانِي
أَخْرَجَهَا ذَاكَ السَّمَاخِ إِلَى الْمِيَانِ

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها واحكمت الغناء بها، واهداها الى ابن مردنيش بعدما اوصاها انها متى استدعاها الى الغناء غنته بهذه الموشحة..، واتفق ان ظفر بما اوصاها به، واحسنت غناء الموشحة، فطرب ابن مردنيش..» وفي بقية الحكاية أنه لما عرف أن الموشحة لابن نزار أمر على الفور بفك قيوده، وقال له: «ياأبا الحسن، قد أمرنا لك بالسراح على رغم الحسود، فارجع الى بلدك، مباحاً لك أن تطلب الملك بها وبغيرها إن قدرت، فأنت أهل لأن تملك جميع الأندلس لا وادي آش» وقدر لابن نزار أن يتولى الرئاسة من جديد في وادي آش، والياً عن ابن مردنيش.

(٣١) «نفح الطيب» ج ٥ ص ٤٠ (ط. محيي الدين، ج ٣/٤٩٣ احسان عباس) ولا ينبغي الخلط بينه وبين محمد بن صالح بن نزار الذي ذكره ابن الأبار في «التكلمة» ٣٧٢/١ (ط. ١٩٥٦).

ويخلو المغرب من ترجمة لابن نزار ولكن ابن سعيد ذكر موشحة جميلة
أولها :

اشربْ على نعمةِ المثاني ثاني
قال إنها « لابن نزار، وتروى لابن حزمون »، وخرجتها :
بالبِلَّةِ الوَضِلِ والسُّعُودِ عُودِي (٣٢)

• • •

• الأعمى التطليلي (٣٣) : (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن
هريرة القيسي) :

نشأ بأشبيلية، وفيها عظم شأنه في الموشحات، ويقول ابن سعيد عنه
في «المقتطف» - بعد أن ذكر ابن عبادة القرزاز وابن رافع راسه :
« ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة المثلثين، فظهرت لهم البدائع،
وفرسا رهان حلبتهم الأعمى التطليلي ويحيى بن بقي. سمعت غير واحد من
أشياخ هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا
في مجلس بأشبيلية، فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها،
فقدموا الأعمى للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله :

ضاجِكُ عن جُمانٍ سافرٌ عن بَدْرِ
ضاقَ عنه الزمانُ وحواءُ صَدْرِي

(٣٢) ١٤٧/٢

(٣٣) انظر عن مراجعه: «المغرب» ٤٥١/٢ و«جيش التوشيح» ص ٢٣١
- ٢٣٣، وجعل كنيته «ابو العباس»، وهذه الكنية ترد ايضا في «الوافي
بالوفيات» ج ٧ ص ١٢٦، وله ديوان حققه د. احسان عباس. وبعض المراجع
تخلط بينه وبين ابي بكر الأعمى الخزومي - وكان شديد الهجاء - وانظر عنه
المغرب ٢٢٨/١-٢٣١ (وأخبار مع نزهون الشاعرة الوشاحية) وفي «الذخيرة»
- تحقيق الدسوقي وعبدالعظيم - ١٥٤/٢، و٦٦٨/٢ ومن خلط بين الأعمى
التطليلي والخزومي هذا د. الركابي في حواشي «دار الطراز» ص ١٤٩
وهلال ناجي في حواشي «جيش التوشيح» ص ٢٣٢.

خرق ابن بقي وتبعه الباكون . (٣٤)

والحق أن الأعمى التطيلي وصل الى درجة لا نظن أن واحداً من لوشاحين بلغها من قبله أو من بعده ، وربما احتاج الأمر الى طول تحليل لكي يبرهن على صحة هذه النظرة ، ولكن بحسبنا الآن الإشارة الى أن لسان الدين بن الخطيب اختار له تسعة عشرة نصاً بينما لم يختار لأي من الآخرين أكثر من عشر موشحات (هذا اذا افترضنا أن جيش التوشيح وصل الينا كاملاً) وقدم لموشحات التطيلي بقوله :

« أي آية اعجاز ، وتطويل في البراعة وإيجاز ، والفاظ أرق من الهواء ، مقسم البدائع بالسواء ، من اختراع في الطرائق ، والسبك البديع والمعنى الرائق ، حتى صار توشيحه مثلاً في سائر الناس .. وهاك من توشيحه ما يرف نسيمه ويروكك »

وقد سلم للتطيلي عدد كبير من الموشحات ، يجدها القارىء في ديوانه ، (اثنان وعشرون موشحاً) (٣٥) ، وترد مبثورة في مصادر مختلفة ، أهمها الى جانب « جيش التوشيح » مجموعة دار الطراز وبها ست موشحات يرجح أنها للتطيلي (وابن سناء الملك لا ينسب الموشحات التي يوردها ولكن هناك قرائن تدل على أنها من موشحات التطيلي) كما يذكر ابن سعيد بعضاً منه في « المغرب » ، ويتفرد « توشيح التوشيح » بإيراد موشحة ، « يانازح الدار سل خيالك » .

وأجل موشحات التطيلي هي « ضاحك عن جان » التي مر مطلعها ، وقد وصفها ابن سعيد بأنها « موشحة مشهورة » . وهي أول نص يسوقه ابن

(٣٤) « المقتطف » ص ٤٧٨ ، والخبر في « المغرب » ٤٥٦/٢ مع اختلاف يسير .

(٣٥) هناك بعض موشحات تنسب تارة للتطيلي وتارة أخرى لابن بقي ، مثل موشحة « ما الشوق الا زناد » وتجيء في ديوان التطيلي (ص ٢٨٩) اما « المغرب » فيجعلها لابن بقي (٢٥/٢) وكذلك موشحة « اعيا على العود » (ديوان التطيلي ص ٢٧٠) وهي في « المقتطف » ص ٤٧٨ منسوبة لابن بقي وانظر مقدمة « جيش التوشيح » .

سنة الملك ، وما أكثر ما عارضها الوشاحون على مر العصور . والنص —
وموضوعه الغزل — يتدفق في سلاسة وعدوبة ألفاظ وبساطة لا يقدر عليها
الا القليلون . ومنها بعد المطلع :

آه ممتا أجند شقني ما أجند
قام بي وقعد باطش متند
كلما قلت قد .. قالك لي أين قد ؟
وانثنى غضن بان ذا فنن نضر
لاعبتة يدان للصباء والقظر

ولما خرجة بالعامية . وهناك موشحات لها خرجات بالفصحى ، اما
موشحة :

دمع سفوح حراز ماء وناز ما اجتمعا الا لأمر كبار
فان خرجتها بلغة الرومانث، وترد في «جيش التوشيح» على هذا النحو:
ما والحبيب دموصار فاذر شناز بنفس آست كسادمو عاز
ووردت في «عدة الجليس»:
موالحبيب انفرد ذي موافر كن دشر ننفيس اميب كسد نوليغر

وترجمها غومث على النحو التالي:

حببي مريض بسبب الحب — وكيف لا يكون ذلك؟ ألا ترى أنه لن

Mev'l habib enfermo de meu amar

يرجع الي أبدأ؟

Que no d' estar ?

'Non ves a mib que se ha de no llegar?



● الأبيض (٣٦) (أبو بكر محمد بن أحمد، الأنصاري، الاشيلي):

(٣٦) انظر عنه «المغرب» ١٢٧/٢ والمراجع عنه و«الخريدة» — ط.
السدوقي وعبدالعظيم ١٦٠/٢ وجيش التوشيح ص ٢٣٤ — ٢٤٠ (ملحوظات
المحقق).

جاء عنه في «المغرب» - نقلا عن «المسهب» - : أصله من قيرة همدان،
وتأدب باشيلية وقرطبة، وهو شاعر مشهور .. «قتل على يد أمير قرطبة سنة
٥٢٥ هـ»، أو نحو ذلك. (٣٧) قال لسان الدين بن الخطيب عن موشحاته:
«.. صقل الفضاظه وجلاء، وهو في التوشيح ابن جلا، فقلد الزمان حليه،
وامطر بروض الاحسان وسميه ووليه، فاخترع وولده، واشتمل بالسحر
وتقلد، ونظم شعره وتوشيحه في قالب الاعجاز» (٣٨)

أما ابن سعيد في «المقتطف» فيسوق هذا الخبر:
«وأخبرني ابو الخصيب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهر لأبي
بكر الأبيض الوشاح المتقدم الذكر، فغض منه أحد الحاضرين فقال: كيف
تغض من يقول:

ما لذ لي شربُ راح على رياضِ الأفاخ
لولا هضمِ الوشاح إذا انثنى في الصباح (٣٩) .. الخ
ولعل هذه الموشحة كانت النص الوحيد المعروف من موشحات الأبيض،
قبل أن يزاح النقباب عن مجموعة «جيش التوشيح»، التي تضم عشر
موشحات من نظمه، من أجلها موشحة:

مَنْ سقى عينيك كأسَ المُدَامِ يا مَنى المُسْتَهَامِ
رشاً أسرنني وهونائِمِ
رق لي والموتُ بين الحيازِمِ
عجباً من دمعه وهو باسِمِ
خَنِيتُ يمزجُ تحت اللثامِ عبرةً بابتسامِ

(٣٧) في الذخيرة: قتل بعد سنة ثلاثين وخمسة وفي «المطرب»: «مات
بعد سنة خمس وعشرين وخمسة».

(٣٨) ص ٤٦

(٣٩) ص ٤٧٨، ولها بقية في مقدمة ابن خلدون، ونشر شترن نصها الكامل
نقلا عن «عدة الجليس» في «الأندلس» المجلد ٢٣ ص ٣٣٩ - ٣٦٩.

وفيها مقطوع في مدح وزير صاحب قرطبة، والخزجة تأتي هنا - لا على
لسان العاشق أو المحبوبة أو الحمام، بل على لسان مدينة غرناطة:
شَرُفَ الْمَلِكُ بِهِ حِينَ حَاطَهُ
فَشَدَّتْ وَجِدًا بِهِ غِرْنَاطَهُ
إِذْ تَوَخَّيَ بِسَوَاهِيَا ارْتِبَاطَهُ:
كَلَّ يَوْمَ أَقْرِيكَ يَا حَبِيبَ سَلَامٍ وَنَسِيتَ أَنْتَ ذِمَامًا! (٤٠)



• ابن رحيم (ذو الوزاتين، المشرف، ابو بكر محمد بن أحمد) (٤١) المتوفى
نحو سنة ٥٣٠ هـ:

جاء عنه في «قلائد العقيان» - ونقل عنه ابن سعيد في «المغرب» -
«رجل الشرف سؤددا وعلاء، وواحد اشتمالا على الفضل واستيلاء.
استقل بالنقض والابرام، ووضح رسم المجاملة والاكرام» ولا يعرف - على
وجه التحديد، تاريخ مولده، او وفاته، لكن ابن سعيد ذكر له مطلع قصيدة
قالها في مدح تميم بن يوسف بن تاشفين:
على المرهفات البيض والسمر الملد تدور رحي الملك المتوج بالمجد
وذكر له الفتح في «القلائد» - ونقل عنه العماد الأصفهاني في
«الخريدة» - قصيدة مدح بها الأمير ابي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن
تاشفين سنة خمس عشرة وخمسة وفي «الخريدة» كذلك: «ذكره لي
الفقيه أليسع بمصر، قال: أدركته سنة عشرين وخمسة» (٤٢)
وقد عده الصفدي في «توشيح التوشيح» من كبار وشاحي أهل المغرب
والأندلس، ولدينا له في «جيش التوشيح» عشرة نصوص تعد من عيون
الموشحات من ذلك:

(٤٠) ص ٥٤

(٤١) انظر عنه «المغرب» ٤١٧/٢ و«الخريدة» - ط. الدسوقي وعبدالعظيم
- ٣٦٩/٢، وملحوظات محقق «جيش التوشيح» ص ٢٦٦.

(٤٢) ج ٢ ص ٣٦٩ (ط. الدسوقي وزميله).

مَنْ صَبَا كَمَا أَصْبُو فَهُوَ لِلصَّبَا نَهْبٌ وَعَلِمَ أَيُّهَا الْقَلْبُ
لَوْ أَذَابَكَ الْحَزْنَ مَا حَيْثُ لَا أَسْلُو أَقْضِي فِي الْهَوَى عِزْمَكَ

لَا يَضُرُّكَ الْعَدْلُ

كَتَمَكَ الْهَوَى حَرَقَ هَكَذَا حَكَّتْ فِرْقُ أَنْتَهُمْ مَتَى عَلِقُوا
وَسَبَاهُمْ الْحُسْنُ بُرِّحُوا بِهِ قَبْلُ إِنِّي أَرَى كَتَمَكَ لِلْهَوَى هُوَ الذُّلُّ
وَخَرَجْتَهَا عَامِيَةً. وَهَنَّاكَ مَوْشِحَتَانِ أُخْرِيَانِ تَخْتَمَانِ بِخَرَجَتَيْنِ بِلُغَةِ الرُّومَانِ،
وَقَدْ مَهَّدَ لِإِحْدَاهُمَا (مَوْشِحَةٌ: مِنْ لِقَابِي بِإِدْرَاكِ الْوَصَالِ) بِقَوْلِهِ:

وَفَتَاةٌ ذَاتُ حُسْنٍ بِيَّهِي

أَعْرَبْتُ عَنْ مَنْطِقِ أَعْجَمِي

تَتَّقِي مَنَعَ الْجَمَالِ السَّنِي

لَمُرْنِي أَوْ كَدَشِ دَبِيبِ حَسَبِ سَمِ بَغَا دَرْدِ مَسِيدِ

وَمُعْظَمِ خُرُجَاتِ ابْنِ رَحِيمٍ تَأْتِي عَلَى لِسَانِ الْمَحْبُوبَاتِ كَمَا فِي الْمَثَالِ السَّابِقِ

وَكَذَلِكَ مَوْشِحَةٌ «نَسِيمِ الصَّبَا» وَفِي خَاتَمَتِهَا يَأْتِي لَهُ الْمَحْبُوبُ لِيَبْغِيهِ:

لَأْتِي قِصَّةَ تَبِيَّتِ وَحَدِّكَ وَأَنَا وَحْدِي كَمَا بَتَ عِنْدَكَ حَتَّى تَبِيَّتَ عِنْدِي (٤٣)



ابن باجة (ابو بكر محمد بن الحسين، ويسميه الأوروبيون Avenpace المتوفى

في سنة ٥٣٣ هـ) (٤٤)

قال عنه ابن سعيد في المغرب: «فيلسوف الأندلس وامامها في الألمان ..

أطنب في الثناء عليه صاحب المسهب والسمط، وكان جليل المقدار وقد

استوزره ابو بكر بن تيفلويت ملك سرقسطة، وأكثر ابن باجة من رثائه

وغنى بها في ألمان مبكية».

وليس في «المغرب» إشارة لعلاقة ما بين ابن باجة والموشحات، وقد

جاء في «المقتطف» — ونقل عنه ابن خلدون والمقرئ:—

(٤٣) في المطبوع: «كما بت عندك حتى تبيت عندي» ونظن أن الأصح ما

ذكرنا.

(٤٤) انظر عنه «المغرب» ١١٩/٢

«وكان في عصره (يعني عصر ابن بقي) من الوشاحين المطبوعين، وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المشهورة. ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحة فيها: جَرَّرَ الذَّيْلَ أَيَّمَا جَرِّ وَصَلِ السُّكَّرَ مِنْكَ بِالسُّكَّرِ طرب المدوح. ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين:

عَقَدَ اللُّهُ رَايَةَ النُّصْرِ لِأَمِيرِ العُلَى أَبِي بَكْرٍ صَاحٍ: واطرباه، وشق ثيابه، ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلفه بالايمن المغلظة ان لا يمشي الى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه» (٤٥)

والمشكلة ان هذه الموشحة ترد في «جيش التوشيح» (٤٦) منسوبة لأبي بكر يحيى الصيرفي، وزير صاحب غرناطة، وربما قيل ان كلام ابن سعيد أرجح، على اعتبار انه اسبق زمناً من لسان الدين بن الخطيب، وأن ابن باجة توفي سنة ٥٣٣ هـ - بينما توفي ابن الصيرفي بعد هذا التاريخ بربع قرن تقريباً، ومع ذلك فانه ليس من اليسير الجزم بشيء في هذا الصدد، لاننا لا نجد لابن باجة موشحات غير هذا النص، ولان عبارة ابن سعيد نفسها فيها قدر من الابهام، اذ لا نتحدث عن ابن باجة كمؤلف للموشحة، بل نقول إنه علم قينات ابن تيفلويت انشادها، فكأن ما يثبت من العبارة أن ابن باجة وضع لهذه الموشحة لحنا، ويبقى التساؤل قائماً - بلا جواب - عن واضع الموشحة نفسها.

ونضيف في النهاية أن ابن باجة ينسعت في بعض المصادر بابن الصايغ (٤٧) فهل للتشابه بين (ابن الصيرفي) و(ابن الصايغ) أثر في الخلط بينهما؟ خاصة وأن اسم الاول (أبو بكر يحيى بن محمد) والثاني (أبو بكر محمد بن يحيى)؟

(٤٥) «المقتطف» ص ٤٧٨

(٤٦) ص ١٢٣

(٤٧) «الخريدة» ٢/٢٨٣ (ط. الدسوقي وعبدالعظيم).

● الكييت (٤٨) (ابو عبدالله (٤٩) محمد بن الحسن البطليوسي): له في «جيش التوشيح» عشر موشحات، من أشهرها:

سَرَى طَيْفُ الْخَيَالِ مِنْ أُمَّ جُنْدِبِ
وقد جاء منها في «المغرب» قسم لا بأس به.

وجل موشحات الكييت تدور حول موضوعات الحب والمديح، وإن كان الوصف يستغرق معظم موشحته:

لَاخَ لِلرَّوْضِ عَلَى عُرِّ الْبَطَاخِ زَهْرٌ زَاهِرٌ
وَنَنَا جَيْدًا مَنَعَمَ الْأَقَاخِ نَوْرَةُ النَّضَاضِرُ
زَارَتِي مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الصَّبَاخِ أَرْجُ عَاطِرُ

ولكنه ينتهي بعد الوصف الى الدعوة للشراب من سلاقة دنان:

كَأَنَّهَا مَبَسَّمٌ طِفْلَةٌ رِدَاخِ نَاعِمٌ الْقَدُّ
تَمزِجُ الرَّاحَ بِرَيْقِهَا الْقُرَاخِ شَيْبٌ بِالشَّهْدِ
وَفَتَاةٌ فَتَنَّتْ بِخُسْنِهَا وَتُنْنِيهَا
تَشْتَكِي طَوْلَ جَفَاءِ خِدْنِهَا حِينَ يُؤْذِيهَا
وَتُفِي بِرَفِيْعِ لَحْنِهَا وَمُغْنَانِيهَا
ذَبْتُ وَاللَّهِ أَسَى (٥٠) نَطْلُقُ صَبِيحَ قَدْ كَسَرَ نَهْدِي
وَعَمَلٌ لِي شَفِيفَاتِي جِرَاخِ وَتَنْزُرُ عِقْدِي
وتأتي الخرجة في بعض الاحايين بلغة الرومانث، مثل قوله في موشحة «لواظظ الغيد»:

لَا كَانَ فِي بُونِ أَسَى مَرُورٍ بِمَا
الْوُذُ سَمِ نُونِ مَوْمَرِ زَيْرِ يَامَا

(٤٨) انظر عنه «المغرب» ٣٧٠/١ والمراجع المذكورة بالهامش، «وجيش التوشيح» ص ٢٤٦ ومراجعته.

(٤٩) في «التكلمة» (ط. القاهرة ١٩٥٦) ج ٣٤٨/١: «يكني أبو بكر».

(٥٠) كذا في طبعة «جيش التوشيح» ولعلها «آسى نطلق» لا بمعنى الأسى.

وموشحات الكميث مفعمة بالحوية والرشاقة، وبخاصة في خرجاته التي تذكر - من بعض الوجوه - بحوية أرجال ابن قزمان، وقدرته على التقاط الاشياء الصغيرة الموحية.



● ابن بقى (٥١) (أبوبكر يحيى بن عبدالرحمن):

وتختلف المصادر في تحديد بقية اسمه، كما تختلف في ذكر البلد الذي ينتسب اليه، ففي «المطمح» و «الذخيرة» و «الوفيات» و «معجم الادباء» انه قرطبي، ونسبه الحافظ السلفي الى سرقوسة، وفي «المغرب» و «التكلمة» انه من طليطلة، أما ابن الزبير صاحب «صلة الصلة» فينسبه الى «وادي آش» (Gaudix). وتعليل ذلك أن ابن بقى ما كان يستقر في مكان. وقد وصفه صاحب «القلائد» بأنه «ضفا عليه حرمانه، وما صفا له زمانه، فصار قعيد سهوات، وقاطع فلوات، مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب دهر كواهي الجمان» (٥٢). وتوفى ابن بقى سنة ٥٤٠هـ أو نحو ذلك (٥٣).

ولدينا من شعر ابن بقى قدر لا بأس به، يصلح أن يجمع في ديوان، أما موشحاته فكانت كثيرة للغاية، وفي «الخريدة» - نقلا عن ابن بشرون صاحب «المختار في النظم والنثر لأفاضل اهل العصر» - وهو مفقود - أن «جل شعره من التوشيح، وله ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة، ومثلها قصائد ومقطعات منقحة» (٥٤) ويقول لسان الدين بن الخطيب عن موشحات ابن بقى: «رب الصنعة ومالكها وناهج الطريقة المثلى وسالكها .. أكثر فأجاد، وتقلد

(٥١) انظر في ترجمته هوامش د. شوقي ضيف في «المغرب» ١٩/٢ وهامش ١٣٠/٢ من «الخريدة» - ط. الدسوقي وعبدالعظيم وما اورده محقق «جيش التوشيح» ص ٢٣٣.

(٥٢) ص ٢٧٩، ونقل عنه ابن سعيد في «المغرب».

(٥٣) يذكر ابن الابار، ص ٧٢٢ من «التكلمة» ان وفاته سنة ٥٤٥هـ.

(٥٤) «الخريدة» ج ٢ ص ١٣١.

* ظهرت مجموعة من شعر ابن بقى في «المورد» ١٩٧٨ (العدد الأول، المجلد السابع)، جمع وتحق د. محمد مجيد السعيد.

ذلك الصارم المحلى والنجاد، بما اخترع فيه من الشعر وابتدع .. وكثرة توشيحبه واحسانه في تنميق الكلام وتوشيحبه».

وقد تحدثنا من قبل عن مكانة الأعمى التطيلي في التوشيح، وينبغي أن نقول هنا إن منزلة ابن بقى لا تقل عن منزلة التطيلي، وقد بلغنا معا (ومن بعدهما ابن زهر، وسيأتي) درجة عالية من السلاسة والرقّة والموسيقية والصفاء.

ولم يصل إلينا من موشحات أبي بكر بن بقى الا شيء يسير وضاع — إذن — الجانب الأكبر من آثاره (وإن كنا لانكاد نصدق قول ابن بشرون، فما نظن أن شاعرا بعينه يمكن أن يؤلف ثلاثة آلاف موشحة) وترد معظم الموشحات في «دار الطراز» (عشر موشحات) و «جيش التوشيح» (عشر موشحات، عدد منها مما جاء في الدار)، ولم يجيء له في «المغرب» إلا قسم من موشحه «مالشوق إلا زناد» وعلق د. شوقي ضيف يها مشها: «يبدو من نهاية هذه الموشحة أن خرما تلاها، سقطت فيه بعض الموشحات لابن بقى» (٥٥) وهو افتراض تأخذ به، لأننا لانتصور أن ابن سعيد يكتفي بأن يورد قسما واحدا من موشحة لابن بقى وهو من هوشرة وأصالة.

ومن موشحات ابن بقى التي تحيء في «دار الطراز» واحدة أولها:

أعجبُ الأشياءِ رعيي ذمامٍ قنُ أبى الرّعياءِ وِشاءِ جِمامي

تَمَّ ماقذ تَمَّ	من حُبِّ المِلاخ
ليس من تُيِّم	كَمَن هو صاخ
ما تُرى أسلَم	مِن قَرَضَى صِحاخ
قَوِّتُ أسهُم	للحَينِ المُتَناخ

والخرجة معربة:

إنما يَحْيى سليلُ الكِرامِ واحدُ الدنْيا ومعنى الأنام (٥٦)

ومن موشحاته الأخرى الشهيرة: «مالي شمول» وموشحة:

(٥٥) المغرب ٢/٢٥

(٥٦) «دار الطراز» ص ٦٦.

لَسْتُ مِنْ أَسْرِهِوَاكَ مُخَلًّا إِنَّ يَكُنْ ذَا مَا طَلَبْتُ سَرَاحًا (٥٧)
وجعل خرجتها بيتا لابن المعتز:
عَلَّمُونِي كَيْفَ أَسْأَلُو وَالْأَ فَاحْجُبُوا عَنِّ مَقَلَّتِي الْيَمْلَاحَا
وقد عارضها كثيرون. ومن أجل موشحاته مما يرد في «جيش التوشيح»:
سَاعِدُونَا مَصْبِحِينَا نَرْتَشِفْهَا قَدْ ظَلَمِينَا كَنُضَارِ فِي لُجَيْنِ نَعْمَ أَجْرِ الْعَامِلِينَا

وأجل ما فيها خرجتها، وهي غير معربة، يقول فيها العاشق مجرد إقلاق الحسود:
قَدْ بُلِينَا وَابْتَلِينَا وَاشْ يَقُولُ النَّاسُ فِينَا قَمِ بِنَا يَانُورِ عَيْنِي نَجْعَلُ الشُّكَّ يَقِينَا

وهناك موشحة مشهورة مطلعها:

أَعْيَا عَلَى الْعُودِ زَهَيْنَ بِلْبَالٍ مُورِّقًا.. الخ
وخرجتها:

أَمَا تَرَى أَحْمَدُ فِي مَجْدِهِ الْعَالِي لَا يُلْحَقُ
أَطْلَعَةُ الْغَرْبِ فَأَرِنَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقُ

وقد جعلها صاحب «جيش التوشيح» ضمن موشحات الأعمى التطيلي، أما ابن سعيد فيجعلها لأبي بقي. (٥٨)

● المرسى الحناز (أبو الوليد يونس بن عيسى):

شاعر وشاح، لا يكاد يعرف عنه شيء، قال عنه محقق جيش التوشيح: «لا توجد له ترجمة في أي مرجع مطبوع — على ما نعلم — ويستنتج من الترجمة الفريدة التي أثبتتها ابن الخطيب في جيش التوشيح هذا أن أبا الوليد لم يتلمذ على أحد، ولا اختلف إلى مدرسة..
وقد ورد ذكر هذا الوشاح في كتاب المطرب عرضا، إذ ذكره ابن دحية ضمن

(٥٧) «دار الطراز» ص ٧٥.

(٥٨) «المقتطف» ص ٤٧٨ ومقدمة ابن خلدون ٣/٣٩٢. وفي الخبر أن ابن زهر قال «ما حسدت وشاحا على قول إلا ابن بقي حين وقع له: أما ترى أحمد في مجده العالي الخ.

من قرأ عليهم الوزير الشاعر محمد أبي العافية الأزدي القتندي الغرناطي» (٥٩) و «في» زاد المسافر «بعض مقتطفات من شعره. والنبذة التي جاءت في «جيش التوشيح» لا تقدم شيئاً ذا بال، سوى ان المرسي الخباز أديب من عامة الشعب علم نفسه بنفسه، حتى «عذب سبكه وراق ترصيعه وحبكه مع طبع في نظم الكلام سيال... والذي حداه الاختراع والتوليد... ذكاء أرهف فؤاده، وأقام في البديهة منآده».

وذكر لسان الدين بن الخطيب له عشر موشحات لعل أجملها موشحته:
من لي بظبي ريبب يسطوبأسد الغياض لوى بديني لما أملته للتقاضي

وترد بدورها في مجموعة ابن بشرى «عدة الجليس» (٦٠) وتدور كلها حول موضوع الغزل وتختتم بـ:

لِلَّهِ ظَبْبِيَّةٌ قَدْ رُوِّعَتْ بِالْفِرَاقِ
بَنَتْ ثَلَاثَ وَعَشْرٍ تُسِيلُ دَمْعُ الْمَآفِي
تَقُولُ فِي حَالِ سُكْرِ لِأَمَّهَا فِي اشْتِيَاقِ (٦١)
يامم موالحبيب تيش ان نزر ياض غار كفري ياما انن بجنال للشاض (٦٢)

وموشحات المرسي الخباز مفعمة بروح التدفق والعدوبة، وهي لا تقل في انسجامها عن اعمال مشاهير الوشاحين.

(٥٩) «جيش التوشيح» ص ٢٥٧ ويمكن أن يضاف إلى ذلك ما جاء في «توشيح التوشيح» ص ٣١ من ذكر له بين كبار الوشاحين.

(٦٠) د. الأهواني: الزجل في الأندلس ص ٢٨.
(٦١) ترد في جيش: «تقول في حال الصغر لأنها في اشتياق» ولا معنى لهذا الكلام.
(٦٢) هناك فارق كبير بين الخرجة كما اثبتناها وبين ما يرد في «جيش التوشيح».

● ابن ينق (ابو عامر، محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة، الطبيب، الوزير)
(٦٣):

أحد الشعراء العلماء من أهالي شاطبة جاء عنه في «التكملة» أنه تلقى العلم في قرطبة، ومال الى الأدب، والعربية، والعروض، فهر في ذلك، وبلغ الغاية من البلاغة في الكتابة والشعر، ولقي ابا العلاء ابن زهر، فلازمه مدة، وأخذ عنه علم الطب. وفي «الخريدة»:

«قال أليسع: طبيب كاتب شاعر، وانا اروى عنه شعره كله وأجازني، ومصنف «القلائد» وصفه بالذكاء الباهر، والذهن الزاهر، والفهم الحاضر، وحدة القريحة والخطاطرة»، وتوفي ابن ينق سنة ٥٤٧ هـ.

أما في مجال الموشحات فإن الصفدي عده ممن «سبق الى التوشيح، وسبق الى الغاية من أهل المغرب» (٦٤) ولكن أعماله في هذا المجال ضاعت ولم تحفظ منها إلا عشرة نصوص ضمتها مجموعة «جيش التوشيح» ومن غريب الأمر ان ابن الخطيب صدرها بقوله:

«وشعره رائق المحيا والأقسام، مسفر عن المعاني والوجوه الوسام، الا أنه قليل المادة في التوشيح، يسير السبك له والتوشيح» والذي نظنه أن موشحات ابن ينق فيها الطواعية والتناسق والعدوبة، فن ذلك:

يا حادي العيس بالرحالٍ ملحج بالطلونِ وسن بها بالأربع التوالي ابن الخليل

حُثت به البُزْلُ والعِشَارُ يَوْمَ النَّوَى
يا هَلْ له العَقِيْق دَارُ أم بِاللَّوَى
أمنه بالوابل القطار حَيْثُ نَوَى

وجادة الغيث بانيمالٍ كلُّ أصيلٍ يتخذوه من نفحة الشمالٍ ريح أصيل

والموشحة — من مستهلها الى نهايتها — يسيطر عليها جو عذري بدوي شفيف.

(٦٣) انظر عنه وعن مراجعه «المغرب» ٣٨٨/٢ و«الخريدة» — ط.

«الدسوقي وزميله — ٤٨٤/٢ و«جيش التوشيح» ص ٢٦٩.

(٦٤) «توشيح التوشيح» ص ٣١.

والملاحظ أن خرجة موشحة «شم ذائب المسجد»
 أما ترى السيّد في المرتقى العالي لا يلحق
 كان له الغرب إذ حازة كلة والمشرق
 تتشابه وخرجة موشحة «أعياد على العود» التي تنسب في العادة لابن
 بقى (٦٥) وجعلها صاحب «جيش التوشيح» للأعمى التطيلي.



● ابن سعيد (أبو جعفر أحمد بن عبد الملك) المتوفى سنة ٥٥٠ هـ (٦٦):
 هو عم علي بن موسى بن سعيد مؤلف «المغرب» وكان أديباً شاعراً، وولاه عثمان
 ابن عبد المؤمن الوزارة، ثم قتله لما كان من اشتراكهما في حب حفصة الشاعرة،
 وانتهز ابن عبد المؤمن فرصة فرار عبد الرحمن (شقيق أبي جعفر بن سعيد) إلى ابن
 مردنيش ملك شرق الأندلس، فضرب عنقه.

وله في «المغرب» موشحة وصف فيها حور مؤمل، وهو من متنزهات
 غرناطة، وأول الموشحة:

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ فِضَّةَ النَّهْرِ

أَيُّ نَهْرٍ كَالْمُدَامِنِ
 صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامِنَهُ
 نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامِنَهُ
 وَنَسَتْ لِلْفُضْنِ لَامِنَهُ
 فَهُوَ كَالعَضْبِ الصَّقِيلِ حُفَّتْ بِالشُّرِّ

(٦٥) هذه الخرجة هي:

أما ترى أحد	في مجده العالي	لا يلحق
أطلعه الغرب	فأرنا مثله	يامشرق

(٦٦) ترجم له ابن سعيد في «المغرب» وذكر محققه عددا من المصادر الهامة
 عنه، ووصفه بأنه أشعر أسرة ابن سعيد (ج ٢ ص ١٦٤، والموشحة ص
 ١٠٣).

وقد مزج فيها المؤلف الوصف بالحديث عن الشراب ثم انتهى الى ذكر المحبوب :

وَعَدَ الْحَبِّ فَأَخْلَفَ
وَاشْتَهَى الْمَظْلَ فَسَوَّفَ
وَرَسُولِي قَدْ تَعَرَّفَ
مِنْهُ مَا أُدْرِي فَحَرَّفَ :

بالله قُلْ لي يارسولي لش يغب بدري ؟

● ابن هانئ الأصغر (أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن مفضل الأزدي الأندلسي) : ذكره الصفدي في «التوشيح» (٦٧) من بين مشاهير وشاحي الأندلس، أما العماد الأصفهاني فإنه تحدث عنه في القسم المصري من «الخريدة» وقال إنه «معروف بالنظم المهذب وتوفى في آخر أيام الصالح بن رزيك، قبل سنة ستين على ما سمعته من المصريين، وطالعت ديوانه بمصر (٦٨)، ولم يؤرخ له الصفدي في «الوافي» كما لم يذكره القفطي في «المحمدون من الشعراء»، ولعله ممن هاجر من أهل الأندلس إلى مصر.

ورجح الزركلي (٦٩) أنه توفي نحو سنة ٥٥٥ هـ، وهو ترجيح

مقبول .



● ابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى بن عبدالملك بن عيسى

الأصغر) المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (٧٠) :

(٦٧) ص ٣٢ .

(٦٨) الخريدة (القسم المصري) ٢٨٤/١ وتضم نماذج كثيرة من شعره .

(٦٩) «الأعلام» ط ٣ ج ٦ ص ١٨٥ .

(٧٠) انظر عنه «المغرب» ١٠٠/١ وهناك العديد من الدراسات عنه يراجع

بصدها كتاب د. الأهواني «الزجل في الأندلس» ومقالة لجورج كولان في

«دائرة المعارف الإسلامية» الطبعة الجديدة، وانظر نيكل في كتابه

«Hispano - Arabic Poetry» ص ٢٦٦-٣٠٢ وفصل هام في كتاب شترن

المذكور آنفا . وانظر جومث (Todo Ben Quzman) في ثلاثة أجزاء .

أحد مشاهير الأدب الأندلسي وفيه يقول ابن سعيد في «المغرب»: إمام الزجالين بالأندلس.. وذكر الحجاري أنه كان في أول شأنه مشتغلاً بالنظم المغرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره كابن خفاجة وغيره، فعمد الى طريقة لا يمازجه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس» .

ووصفه المقرئ بـ «صاحب الموشحات» (٧١) ولعله كان يعني «الأزجال» لأنها الفن الذي اشتهر به ابن قزمان، ومن جانب آخر فإن مفهوم الموشح سيختلط في بعض الأحيان بمفهوم الزجل في العصور المتأخرة وسنرى أن المقرئ يصف الزجال مدغليس قائلاً إنه «صاحب الموشحات» كما أن الحلبي في (العاطل الحالي) يقول إن أهل العراق لم يكونوا يميزون بين الموشحات والأزجال، وفيه أن ابن قزمان:

«نظم موشحة معربة خمسة أبيات، وأثبتها في ديوانه، ولم يسلم له منها بيت من التزيم (أي وجود كلمات غير معربة في ثنايا الموشحة) والموشحة المقصودة تبدأ بـ:

مَفْشَرَ الْعُدْلِيَّةِ بِي مِّنَ الْأَقَارِهِ أَعْصَنُ مِيَادَةً مِشْنَ فِي أَكْفَالِ

قَدِ جَنَّتِي مَن لَامَا	كُلَّ عَانِ صَبَّ
بِبُذُورِ ذَا مَا	طَلَعَتْ فِي قُضْبِ
مِن قُدُودِ هَامَا	فِي هَوَاهَا قَلْبِي

رَبَّةَ الْخَلْخَالِ قَدِ بَرَاهَا الْبَارِي لِعَدَابِي غَادَةً هَيَّجَتْ بِلِبَالِي

وهذه الموشحة ذات خرجة غير معربة، ويقول الحلبي إن كل بيت فيها لم يخل من التزيم والألفاظ الزجلية، وهو غير معذور فيها، والبيت الذي أوردناه «فيه لفظة ذا ما يريد بها إذا ما، وهي زجلية لا تجوز في الموشح أبداً وربما لم يكن هذا بالعيب الخطير لو أن هذه الموشحة المنسوبة لابن

(٧١) «نفع» (ط. عبدالحميد)، ص ٩٤.

قزمان قد حفلت بما في أزجاله من حيوية وعذوبة وظرف نفتقده في هذه
الموشحة .



● مدغليس (عبدالله بن الحاج) المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (٧٢) :
نعتته المقرئ في «النفح» بـ «صاحب الموشحات» ولا يستبعد
أبداً أن يكون صواب النعت «صاحب الأزجال» فهذا هو الفن الذي برز فيه
مدغليس والمقرئ نفسه يقول :

«وكان مدغليس هذا مشهوراً بالانطباع والصنعة في الأزجال ،
خليفة ابن قزمان في زمانه ، وكان أهل الأندلس يقولون : ابن قزمان في
الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ، ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر الى
الانطباع والصنعة ، فابن قزمان ملتفت الى المعنى ، ومدغليس ملتفت الى
اللفظ . وكان أديباً معرباً لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في
الزجل أنجب اقتصر عليه » . (٧٣)

وكان لمدغليس أزجال رآه الصفي الحلبي ونقل عنه عدداً من
الشواهد أودعها «العاطل الحالي» كما جاء بعضها في سفينة ابن
مبارك شاه (٧٤) وفي «المغرب» .

ولا نعرف معنى كلمة مدغليس ، والحلي يزعم أنها اسم «مركب
من كلمتين ، أصله : مضغ اللبس ، والجمع ليسة ، وهي ليقة الدواة ، وذلك
أنه كان صغيراً بالمكتب يمزغ ليقته ، فسمى بذلك ، ولسان المغاربة
والمصريين يبدلون الضاد دالاً» (٧٥)

● ابن مسلمة القرطبي (ابو الحسين) (٧٦) المتوفى سنة ٥٨٥ هـ

(٧٢) «المغرب» ج ٢ ص ٢١٤ وانظر المقتطف ص ٤٨٥ .

(٧٣) (٣/٣٨٥) (طبعة احسان عباس) .

(٧٤) والحقها هينرباخ بنص «العاطل الحالي» انظر ص ١٨٥ وما بعدها .

(٧٥) ص ١٦ وانظر عن مدغليس «الزجل في الأندلس» ص ١٠٦ وما

بعدها .

(٧٦) «المغرب» ج ١ ص ٩٨ والنص في ج ١ ص ٤٢٥ .

● ذكر ابن سعيد في «المغرب» : «وله رسائل وموشحات وأزجال» ولم يصل اليها من موشحاته إلا قطعة من موشحة في وصف وادي رية (قرب مالقة)، أولها :

بِوَادِي رِيَّةِ أَخْلَعِ عِذَارَ التَّصَابِي

أَمَا تَرَى مُفْرَغِ
مِثْلَ الصَّبَاحِ الْمُرْصَعِ
بِالرَّوْضِ عَادَ مُجَزَعِ

سَقَاهُ رِيَّةُ مِنْ صَفْوَاءِ السَّحَابِ
وهناك بعد الوصف مقطع خمري، ثم تأتي الخرجة، على لسان هذا الشادن (حلو الهوى متماجن) الذي :

يُنَادِي سِيَّةَ يَاعِمِ احْرِزْ ثِيَابِي
وفسر ابن سعيد النداء بأنه «من اصطلاح الصبيان الذين يسبحون هنالك».



● ابن الصيرفي (٧٧) (ابو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الانصاري) المتوفى سنة ٥٥٧ هـ :
ذكره ابن سعيد في «المغرب» تحت اسم أبو بكر يحيى بن الصيرفي المؤرخ الغرناطي، وأضاف : «أخبرني والدي أن له تاريخاً وموشحاته مشهورة..» وأشار ابن الأبار في «التكملة» إلى تاريخه هذا الذي وضعه في ذكر الدولة اللمتونية.

(٧٧) انظر عنه نبذة مستوفاة في «جيش التوشيح» ص ٢٥٢-٢٥٦ (كتبها هلال ناجي) وكذلك هامش «المغرب» ١١٨/٢.

أما لسان الدين بن الخطيب في «الجيش» فيلقبه بـ «الوزير» إذ كان من كبار رجال دولة اللمتونيين (المرابطين) وقال إن «له في الدولة اليوسفية مدائح لاختصاصه بأربابها وتعلقه بأسبابها» (٧٨) وذكر له عشر موشحات، هناك اثنتان منها محل خلاف، الأولى وأولها:

جَسْرُ الذَيْلِ آتَا جَسْرٌ وَصِلِ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ

فقد جعلها ابن سعيد في «المقتطف» (ومن نقل عنه كابن خلدون والمقرئ) للفيلسوف أبي بكر بن باجة (٧٩) والثانية موشحة:

شَقَّ النَّسِيمُ كِمَامَةً

ونسبها الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٨٠) لابن اللبانة.

ومن موشحات ابن الصيرفي واحدة تتضمن مديحا في تاشفين

وأولها:

رَوْضَةٌ زَبَرْجَدِيَّةٌ وَنَسِيمٌ يَتَّبَعْتُهُ فِي غَلَائِلِ نَدِيَّةٍ أَشْرَبَتْ مِسْكَاً
وَعَنْبَرٌ

شُحْبٌ مِنْ لَأَزْوَرْدٍ وَبُرُوقٌ مِنْ نَضَارِ

كَلِمًا أَتَتْ بِوَعْدِ كُنَّحَلْتُ بِمِثْلِ نَارِ

فَبَكَتْ مِنْ قَاءِ وَرْدٍ فِي خُدُودٍ مِنْ بَهَارِ

ولا يكاد يمضي فيها قليلا في الوصف حتى ينفلت منه إلى المديح

الذي يمتد الى نهاية الموشحة:

فَانْبِرَى الكُّلُّ يِنَادِي وَصَفَ مِرَاةَ الجَمِيلِ

بِاجْتَى المَلِكِ عَشِيَّةً وَعَلَى الجَوَادِ الاشْقَرِ غَرَّةَ الشَّمْسِ المُضِيَّةِ تَاشِفِينُ
اللَّهُ اكْبَرُ

(٧٨) ص ١٠٢

(٧٩) ص ٤٧٨

(٨٠) ج ٤ ص ٢٩٩ ونقل عنه ابن شاکر في «الفوات» ٥١٧/٢

ومن موشحاته الجميلة موشحة « طلعت من مباسم الزهر » وكلها تدور حول الغزل (في المذكر) وفي خاتمتها :

قد دعائي إلى الهوى داعي فأجبتُ الهوى
أقن الله كل مرتاع من حُلُولِ النوى
أنت يامهجتي به همت فاجلي (٨١) واصبري ثم يا عين انت ابصرت فادعني
واسهري



● عصا الأعمى (أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي) :
ينسب الى قرية منيش ، من كورة اشبيلية ، ولقب بعصا الأعمى لأنه كان يقود الأعمى التطليلي.

أرخ له كثيرون ، منهم ابن دحية في «المطرب» وابن سعيد في «الرايات» وفي «المغرب» والفتح بن خاقان في «المطمح» وقال عنه إنه «لم ينزل يعشو لكل ضوء ، وينتجع مصاب كل نوء ، فيوما يخضب ويوما يجذب ، وآونة يفرح وأخرى ينتدب .. وما تصرف إلا في أنزل الأعمال ولا تعرف الا بأخون العمال .. له أدب ولسن ومذهب فيها يستحسن ، لكنه نكب عن المقطع الجزل ، وذهب مذهب الهزل ... وليس من شرط كتابي هذا اثبات بذائه ، ولا أن أقف حذاءه ..»

وقد قرأ د. الكرم صاحب «فن التوشيح» هذه الجملة فرأى أن الفتح ابن خاقان لمح فيها «للموشحات تلميحا خفيفا فيه كثير من الاستهانة والتحقيق» (٨٢) ومانظن أن للعبارة صلة بالموشحات ، بل جاءت تبرما بما في شعره من فحش ومجون وتصريح ولو أن الأمر على ما ظن د. الكرم لوجدنا في «المطمح» و «القلائد» عبارات من هذا القبيل عن الوشاحين الآخرين ، ولكن ابن خاقان يتحدث في كتابيه عن كبار الوشاحين

(٨١) في المطبوع: «فاجلي».

(٨٢) ص ١١٤ ، وجعله - لأمر ما - : ابن القاسم.

فيذكرهم بالتقدير (وإن لم يورد شيئاً من موشحاتهم) وقد ذكر في « القلائد » ابن بقى فقال فيه انه « رافع راية القريض ، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض » (٨٣) ، وذكر عن الأعمى التطيلي شيئاً يشبه ما قال عن ابن بقى . (٨٤)

وتحدث لسان الدين بن الخطيب في « الجيش » عن موشحات المنيشي حديثاً يفيض بالاعجاب ، أوضح فيه أنه اقتنى آثار أستاذه الأعمى التطيلي ، حتى « كاد يدرك شأوه » وذكر له عشر موشحات (ولعله المصدر الوحيد المعروف ، الذي يحتفظ بموشحات له) وما نظن إلا أن ابن الخطيب بالغ في تقدير مكانة موشحات المنيشي هذا ، وهناك فارق كبير بينها وبين موشحات الأعمى . ومن أحسن ما وقع له قوله :

بِأَقْرَأَ لِلْعَاشِقِينَ وَهُوَ تَمَّ يُغْضَى عَلَيْكَ النَّصِيحَ وَيُدْمَ

وَأَعْيِدْ	لِلَّهِ مَا أَبْئِدِي
وَتُزِيدْ	مِنْ لَوْعَةٍ تُغْفِدِي
مَنْ بِرِيدْ	فِي رَشٍّ بِرَوِي

• • •

• ابن غرلة (؟) :

شاعر مجهول لا يعرف عنه إلا ما جاء في « العاقل الحالي » :
« كان ابن غرلة الشاعر المغربي ، وهو من أكابر أشياخهم ، ينظم الموشح والزجل والمزمن ، فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل ، تقصداً منه واستهتاراً ويقول إن القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك ، وكان الوزير (!) ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا لم يثبت شيئاً من موشحاته في « دار الطراز » ، فن موشحاته المزمنة الموشحة الطنانة المشتهرة الموسومة

(٨٣) ص ٢٧٩

(٨٤) ص ٢٧٣ ط بولاق

بالعروس ، التي نظمها عند عشقه رميلة أخت عبدالمؤمن الأموي (!) (يقصد عبدالمؤمن الكومي خليفة الموحدين) ملك الأندلس ، وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه اجتماعه بها ، والواقعة مشهورة ، وكان حسن الصورة جميل القدر، ذا عشيرة ، وكانت هي أيضا جليلة القدر، جميلة الخلق ، فصيحة اللسان ، تنظم فيه الأزجال الرائقة الفائقة» (٨٥) وذكر قسما من موشحة أولها :

مَنْ يَصِيدُ صَيْدًا فليَكُنْ كَمَا صَيْدِي صَيْدِي الغزاة من
مرايع الأسد

ويضيف الحلبي «أنه لما أخرجه الملك ليقته ، نظر الى الناس وارتجل بيتا في الوزن ، يستنجد به عشيرته لأخذ ثأره :

خَدُّهَا الْأَسِيلُ بَدَتْ مِنْهُ أَنْوَارُ
طَرَفُهَا الْكَحِيلُ سُلَّ مِنْهُ بَتَّارُ
هَأَنَا الْقَتِيلُ فَهَلْ يُؤْخَذُ الشَّارُ
قَدْ أُسِرْتُ عَبْدًا وَلَمْ أَكُ بِالْعَبِيدِ مِثْلَ لَامِحَالَةَ فَاطْلُبُوا دَمِي
بَعْدِي

وواضح من عبارة الحلبي أنه يشير الى قول ابن سناء الملك في «دار الطراز» عند حديثه عن القفل المركب من سبعة اجزاء : «الموشح المعروف بالعروس ، وهو موشح ملحون ، واللحن لايجوز استعماله في شيء من ألفاظ الموشح الا الخرجة خاصة ، فلهذا لم نورد مثاله»

وقد لوحظ أن القفل في الموشحة التي أوردها الحلبي يتألف من أربعة أجزاء لاسبعة ، واستنتج د. الاهواني أن حديث الحلبي عن الزجل الاندلسي «يفتقر الى كثير من الدقة وينبغي ان يؤخذ بكثير من الحذر» (٨٦). اما د. الكريم فيرى ان حديث الحلبي عن ابن غرلة يدل على أنه يتحدث عن

(٨٥) ص ١٤ - ١٦. وراجع

(٨٦) «الزجل في الأندلسي» ص ١١٤.

شيء يعرفه حق المعرفة (٨٧) لكن المخير أن المصادر لا تذكر شيئاً عن ابن غرله هذا، ولا يخفى أن حكاية إخراجه لقتله، وارتجاله بيتاً على نفس الوزن، واستنجاهه بعشيرته للأخذ بثأره، مما يغري بالشك في صحة ماجاء بكتاب «العاطل الحالي» عن ابن غرله هذا.



● اليكي (ابو بكر يحيى بن سهل): (٨٨)
يوصف به «هجاء المغرب»، وقال عنه صاحب «المسهب»: «ابن رومي عصرنا وحطيئة دهرنا، لا تحيد قريحته الا في الهجاء». وجاء في «الخريدة» انه توفي سنة ستين وخمسمائة. ولسنا نملك من موشحات اليكي شيئاً، وفي «المغرب» موشحة أولها:

مَالِبِنَاتِ الْهَدِيدِ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانِ
هَيَّجْنَ عِنْدَ الصَّبَاحِ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
ذكر انها «موشحة لابن المريني، وتروى لليكي».



● ابن مهلهل (ابو الحسن علي الجلياني): (٨٩)
في «المغرب» قطعة من قصيدة له مدح بها أبا بكر بن سعيد، صاحب أعمال غرناطة في مدة المثلثين، وذكر جزءاً من موشحة له يقول فيها:

النَّهْرُ سَلَّ حُسَامَا عَلَى قُدُودِ الْقُصُونِ

(٨٧) «فن التوشيح» ص ١٣٧ وانظر عن ابن غرله كتاب «الزجل في المغرب» للدكتور الجراري ص ٥٣٧ وما بعدها ومجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران ج ١ ص ٢٩٣ و ج ٢ ص ٢٦٨
(٨٨) «المغرب» ٢/٢٢٦ و «الخريدة» ط. دسوقي وعبدالعظيم - ٢/٦٦٩
(٨٩) «المغرب» ٢/١٥٠

وَاللَّنَّسِيمَ قَجَّالًا
وَالرَّوْضُ فِيهِ اخْتِيَالًا
مُدَّتْ عَلَيْهِ الظَّلَالًا

وَالزَّهْرُ شَقَّ كِمَامَا وَجَدًّا بِتَلِكِ الثُّحُونِ
وبقيتها في الوصف، وهي تمضي على هذا النسق المقعم بالنغم
والبساطة، والصور الفنية الرقاقة.



● الإدريسي (محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس) المتوفى سنة
٥٦٠ هـ الجغرافي الشهير صاحب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» انظر
مابعده:



● اليربوعي (محمد بن محمد، القرطبي) (٩٠)
جاء عنه في «الخريدة» «أن معظم ما يذكره ابن بشرون في
«المختار» من أخبار متعلقة بالأندلسيين يرويه عنه، ويذكر أنه لقيه في
صقلية» «لمتلكها رجار الافرنجي (وألف له) في مسالك الارض وممالكها
كتابا كبيرا أسماه نزهة المشتاق في مخترق الآفاق.. ووصفه ابن بشرون
بتوليد المعاني في الشعر.. لاسيا في توشية التوشيح، وتوسيع نظمه المليح،
فإنه حاذق زمانه، وسابق ميدانه»

وقد قرأ شترن (٩١) الفقرة السابقة فاستدل منها على أن المقصود هو
الشريف الإدريسي صاحب «نزهة المشتاق» وأما محققا «الخريدة» فإنها
يشيران إلى أن ترجمة هذا الشاعر (محمد بن محمد، القرطبي اليربوعي)

(٩٠) «الخريدة» ١٦٠/٢

(٩١) المرجع الذي ذكر له قبلا، ص ١٠٦

مضطربة في الاصل ، ويبدو من ثناياها أنها للشريف الإدريسي ، وإن كانت المصادر لا تسميه باليثرني والقرطبي.
والملاحظ أن المخطوطة التي اعتمدا عليها في التحقيق يتخللها نقص بعد عبارة (لمتلكها رجار الافرنجي) مما يرجح احتمال أن يكون «اليثرني» غير الشريف الإدريسي.

• • •

- ابن الزيتوني (علي): (٩٢)
نقل العماد عن ابن بشرون إنه «صاحب توشيع وتوشيح ، وتقصيد وتطليح».
- ابن الهازي (ابراهيم): (٩٣)
جاء في «الخريدة» — نقلا عن ابن بشرون — أنه «صاحب توشيع مليح ، وربما قصر إذا قصد»

• • •

- المرسي (ابوبكر): (٩٤)
نقل العماد عن ابن بشرون أنه «من اشيلية ، وأقام بفرسية فنسب اليها ، وله يد في التوشيع قوية».

• • •

- ابن حمديس (٩٥) (عبدالجبار، ابو محمد، الصقلي) المتوفي سنة : ٥٢٧

(٩٢) الخريدة ٢١٣/١

(٩٣) المرجع السابق ٢١٤/١.

(٩٤) شرحه ١٤٧/٢

(٩٥) انظر عنه مقدمة ديوانه بتحقيق د. احسان عباس وراجع ما كتبناه عنه في «الندوة» بتاريخ ١١ محرم ١٣٩٩ هـ

شاعر صقلية الشهير، وله ديوان طبع أكثر من مرة، ولا يضم كل شعره، وليست فيه موشحات كما ان المصادر لاتعده من بين أصحاب التوشيح، لكن الصفدي في «التوشيح» عده من المبرزين فيه.



● ابن شرف (ابو عبدالله محمد بن ابي الفضل):

سليل أسرة أسهمت أيما إسهام في الادب، فجدّه (ابو عبدالله محمد بن شرف القيرواني) كان أحد أعلام المغرب هو وابن رشيق، وكاننا متعاصرين، فلما خربت القيروان اتجه الى الاندلس، وبها توفي سنة ٤٦٠ هـ، ووالده (ابو الفضل جمعقربن ابي عبدالله بن شرف) كان من الشعراء المجودين في بلاط المعتصم بن صمادح، وقد ترجم له كثيرون منهم ابن سعيد في «المغرب» والفتح في «القلائد» وابن دحية في «المطرب» الخ ... وتوفي سنة ٥٣٤ هـ (٩٦).

وأما أديبنا هذا فتأتي عنه نبذة في المغرب هي: «أخبرني والدي: أنه كان فيلسوفاً أديباً، ومن «السمط»: ذو السلف والشرف، والنخب والطرف. وذكر أنه اعتبط شاباً، وانشد له (٩٧) ثم أورد نماذج من شعره، وموشحة كاملة له، هي التي مطلعها:

يَا رَبَّيَّةَ الْعِيقِدِ مَتَى تَقَلَّذْ
بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ ذَاكَ الْمَقَلَّذْ

وما تعرضنا له بهذا القدر من التفصيل إلا لأن بعض المراجع اضطربت في شأنه، فن ذلك مايقوله هلال ناجي في التعليق على ابن شرف (أبي عبدالله بن الوزير أبي الفضل بن شرف):

(٩٦) انظر في أمر أسرة ابن شرف: «المغرب» ٢/٢٣٠ والمصادر التي ذكرها المحقق وكذلك «الخريدة» ٢/١١٠
(٩٧) «المغرب» ٢/٢٣٢ - ٢٣٤.

«بالنسبة لهذا الوشاح توجد عدة ملابسات في ترجمته ، فالذي اختار له ابن الخطيب في جيش التوشيح هو ابو عبدالله ابن الوزير أبي الفضل بن شرف ، وقد ذكره بكنيته ولم يذكر اسمه . واسمه — فيما توصلنا اليه محمد ... فوشاحنا إذن هو حفيد ابن شرف ، ومن بيت علم وشعر. والمشكل بالنسبة له أن المصادر التي بين أيدينا تترجم لأبيه وجده ولا تأتي على ذكره الا لماما ... أما موشحاته فقد ضاعت ولم يبق منها سوى قطعة من توشيح أوله :

عقاربُ الأصداعُ في سوسني غصّ

ذكرها المقرئ في نفع الطيب ولم بنسبها له...» (٩٨)

وفي حسابنا أن الأمر لا يَحتمل ملابسات ولا مشكلات ، فكلام لسان الدين ابن الخطيب في انه يعني ابن شرف (الحفيد) ، وقد صدر ما اختار من موشحاته بـ : «الوزير الكاتب أبو عبدالله ، ابن الوزير الحكيم ذي المعارف أبي الفضل ابن شرف رحمه الله» (٩٩) وفيما يبدو أن هلال ناجي غاب عنه ماجاء في «المغرب» عن وشاحنا ، بدليل أنه لم يشر الى كتاب ابن سعيد هذا وهو يتحدث عن ابن شرف ، وبدليل عدم التفاتة الى أن موشحة «ياربة العقد» تميمي كاملة في «المغرب» واشهر موشحات ابن شرف تبدأ بـ :

عقاربُ الأصداعُ في سوسني غصّ تشبي تقي من لاذ بالفقه والوعظ

وقد عارضها بعض الوشاحين ، وتردد ذكرها في مؤلفات مختلفة مثل «نفع الطيب» (١٠٠) و «المداري المائسات» (١٠١) ولا تعد — في نظرنا — أفضل موشحات ابن شرف ، وربما ذكروها لصعوبة قوافي أفعالها ، وقدرة الشاعر — مع ذلك — على اضافة شيء من الحيوية عليها :

(٩٨) «جيش التوشيح» ص ٢٤٧.

(٩٩) ص ٩٧.

(١٠٠) ٣٦٦/٥

(١٠١) ص ٥٣.

ظبي له خدٌ مُقَضَّضٌ مُذْهَبٌ وَأَعْيَدٌ وَرَدٌّ فِي صُدْغِهِ عَقْرَبٌ
رقه زهر الياغُ في جسمه البضُّ وقسوة الفولاذُ في قلبه الفَقْطُ
وفي «المقتطف» لابن سعيد، بعد ذكر اسماء عدد من كبار
الوشاحين، مثل الأبيض وابن باجة :

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين - أعزهم الله - محمد
ابن ابي الفضل بن شرف. قال الحسن بن دوريد، رأيت حاتم بن
سعيد يقبل رأسه على هذه البدأة :

شَمْسٌ قَارَنْتُ بَدْرًا رَاحٌ وَنَدِيمٌ

والمشكل أن هذه الموشحة - التي ترد في «دار الطراز» بدون ذكر
لاسم قائلها - جاءت في مصادر أخرى منسوبة لابن زهر، فمن ذلك
الصفدي في «الوافي بالوفيات» وابن أبي أصيبعة في «عيون
الأبناء» (١٠٢)



● السرقسطي الجزار (ابو بكر يحيى): (١٠٣)

جاء عنه في «المغرب» :

كان في دكان يبيع اللحم، فتعلقت نفسه بقول الشعر، فبرع فيه،
وصدر له اشعار مدح بها الملوك من بني هود ووزرائهم....» وقد وصلت
بعض نماذج من شعره تفصح عن مقدرة فنية عالية، وصفها لسان الدين بن
الخطيب بقوله :

«وُلِدَ وَاخْتَرَعَ، وَفِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ بَرَعَ، ... حْدَاهُ إِلَى

ذَلِكَ، وَعَرَفَهُ بِمَا هُنَالِكَ، طَبِعَ وَذَكَاءٌ وَقَاد...» (١٠٤)

واشتهر السرقسطي الجزار في فن التوشيح شهرة جعلت الصفدي يعده من بين

(١٠٢) ص ٥٢٦.

(١٠٣) «المغرب» ٤٤٢/٢ ومراجع التحقيق، و«جيش التوشيح» ص ٢٥٩

- ٢٦١ و«نفح الطيب» ج ٥ ص ١٥ (ط. محي الدين) وفيه: ابن
الجزار.

(١٠٤) «جيش التوشيح» ص ١٤٧.

«من سبق الى التوشيح ، وسبق الى الغاية من اهل المغرب» (١٠٥) لكن موشحاته ضاعت ، ولم يبق منها الا ما حفظ في «جيش التوشيح» ويضم عشرة نصوص.

وموشحات ابن الجزار من النمط العالي ، الذي يجمع بين ثراء الموسيقى ، وبساطة التعبير ، وحيوية الصور ، كقوله في موشحة «ويح المستهام» :

فَتَاءُ كَعَابِ نَعِيمُ الشَّبَابِ عَلَيْهَا مُذَابِ
كروض الغمام لها المسك رَيَا والذُّرُّ ابْتِسَامِ
فكيف السبيل أن يُشْفِي الغليل إذ ظَلَّتْ تقول
مما شو الغلام لابد كلوليا حلال أو حرام (١٠٦)
أو قوله في أخرى :

أما والهوى إتني مُذَنَّفِ
بِحُبِّ رَشَاءٍ قَلِمَا يَنْصِفِ
أطاعه وهو لي مُخْلِيفِ
فَمَا قَلِيلٌ بِهِ أَتَلَفِ
وواعدني السقم حتى انتهك قُوَادِي ، فَيَا وَيْحَتَا قَد هَلَكْ

وتبدو بعض خرجات موشحاته وكأنها أغان فلكلورية مفعمة بروح السذاجة والحيوية :

احمد محبوبي بالنبي تيجي حبيبي بالله جيني حين جي



(١٠٥) «توشيح التوشيح» ص ٣١.
(١٠٦) ما: بمعنى أمي. وفي المطبوع: حلال وحرام.

● ابن مالك السرقسطي (أبو بكر أحمد، الأنصاري): (١٠٧)
 شاعر وشاح، عمل كاتباً لدى محمد بن سعد بن مردنيش (المتوفى سنة ٥٦٧ هـ)
 ملك شرق الأندلس (١٠٨) ومن هنا يلقبه لسان الدين بن الخطيب
 بـ «الوزير الكاتب» ويقول عنه:
 «أي منصب علاء، وإشراف على المعارف واستيلاء... كلفت به
 الملوك استنجاحاً وتيمناً وعلماً.. قرط في التوشيح وشنف، ونور في
 الاعجاز فيه وصنف، وأخذ نفسه في توشيح، بتوليد الكلام وتنقيحه.. رحل
 الى مصر فأنجبت هناك أنواره.. وله نظر في العلم الفلسفي...» وذكر له
 ثمان موشحات، أولها:

حُتَّ كأس الظلا على الزهر وأدزها كالأنجم الزهر

أنسيم ينفوح أم عطر
 وغصون أمالها القظر
 تستثنى وما بها سُكَّر

وطيور نطقن بالسحر حين هب النسيم في السحر

(١٠٧) لا توجد عنه معلومات كافية وفي «جيش التوشيح» ص ٢٧٧ نبذة
 عنه رجع فيها المحقق الى «التكلمة» ٧٧/١، ترجمة رقم ٢٠٥ - والى «أخبار
 وتراجم أندلسية» المستلة من معجم السفر للسلفي - ص ١٦. وشرن في

Hispano-Arabic strophic Poetry

(Las musica) يشير الى ما ذكره ريبيرا في

(de las cantigas)

ص ٧٠ من ان لابن مالك زجلا في «المغرب» والذي ترجمه أن المقصود هنا
 الموشحة المذكورة في «المغرب» ٤٤٦/٢:

ماذا حملوا فؤاد الشجى يوم ودعوا

وفي رايات البرزين «ص ٧٧ أن اسمه: أبو بكر أحمد

(١٠٨) انظر عنه «الاعلام» للزركلي ط ٣ ج ٧ ص ٧.

وهذا النص مما سماه ابن سناء الملك بـ «الموشح الشعري» وقال إن «ما كان من الموشحات على هذا النسيج فهو المرذول المخذول وهو بالمحمسات أشبه منه بالموشحات .. اللهم إلا إن كانت قوافي قفلة مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المحمسات» والمشكلة أن أقفال هذه الموشحة جاءت متحدة القافية، كما القافية، كما أن الخرجة جاءت معربة، وكل ما في الأمر أنه جعلها على لسان المحبوبة :

رُبَّ هَيْفَاءَ شَقَّهَا بُعْدًا
عَقَّ عَنْهَا فَلَمْ تَجِدْ بُدَا
مِنْ هَوَاهُ فَأَنْشَدَتْ وَجْدًا

رَبِّ قَوْفِي الهوى صَبْرِي إِنَّ هَجَرَ الحبيبِ كَالصَّبْرِ
أما بقية موشحات ابن مالك فإنها لا تخرج على قواعد التوشيح في شيء.



● نزهون (بنت الوزير القليعي) :

هكذا جاء اسمها في مجموعة ابن بشرى (١٠٩)، أما ابن سعيد فيسميها «نزهون بنت القلاعي» (١١٠) وقال إنها كانت «شاعرة ماجنة كثيرة النوادر»، وذكر لها بعض مواقف سخرت فيها من ابن قزمان الزجال، ومن الأعمى المخرومي الشاعر الهجاء والملاحظ أن المقرئ في «النفح» (١١١) يروي بصدد نزهون هذه أخباراً قال إنه نقلها عن «المغرب» ولكنها تختلف عما في النسخة التي حققها د. شوقي ضيف، وفيه أن الحجاري صاحب «المسهب» قال عنها إنها كانت موصوفة «بخفة

(١٠٩) «عدة المجلس» نقلا عن «الزجل في الأندلس» للدكتور الأهواني ص ١

(١١٠) «المغرب» ١٢١/٢

(١١١) «نفح الطيب» - ط. عبد الحميد ج ٦ ص ٣١

الروح، والانتطباع الزائد، والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب
الأمثال، مع جمال فائق، وحسن رائع»، وذكر أن الوزير أبا بكر بن سعيد
كان مولعاً بها ..

وتعرض لها ابن سعيد كذلك في ترجمته للأعشى المخزومي، وقال إنه
«أكثر الإقامة في غرناطة، وتعرض لشاعرتها نزهون، وهجاها» (١١٢)
وقد وصل إلينا من موشحة لها مطلعها:

يَأْبِي مَنْ هَدَّ مِنْ جِسْمِي الْقَوَى طَرْفُهُ الْأَحْسُورُ
وصفه د. الأهواني بأنه موشح جميل، وردت في أثنائه مقطوعات فيها
حياة ورقة مثل قولها:

مَرَّبِي فِي رَبِّبٍ مِنْ سِرْبِهِ	يَقْطِطُ الزُّهْرَا
وَهُوَ يَتْلُو آيَةَ مِنْ حَزْبِهِ	يَبْتَغِي الْأَجْرَا
بَعْدَ مَا ذَكَّرَنِي مِنْ حُبِّهِ	آيَةَ أُخْرَى
وَالَّذِي لَوْ شَاءَ مَا ذَكَّرَنِي	بَعْدَ نِسْيَانِي
قَلْبَ الْقَلْبِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا	فَهُوَ فِي شَانِ

وتنتهي الموشحة بالبيت والخرجة التاليتين

لَمْ تَزَلْ تُظْهِرُ فِيهِ الْكَلْفَا	عندما غَنَّتْ
غَادَةً لَوْرَامَ مِنْهَا النَّصْفَا	غَمِيرَةً ضَنْتْ
فَهُوَ يَهْوَاهَا وَيُبْدِي الصَّلْفَا	فلذا غنت:
يَتَمَنَّائِي إِذَا لَمْ يَسْرِي	يَتَمَنَّائِي
فَإِذَا رَأَيْتَنِي تَوَلَّى مُعْرِضَا	كُنْ مَا رَأَيْتَنِي (١١٣)

● ● ●

(١١٢) «المغرب» ٢٢٨/١
(١١٣) انظر النص في «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران ج ١ ص ١١٨
نقلا عن مجموعة الحايك.

● ابن مؤهل (١١٤) (؟):

وشاح مجهول، عده ابن سعيد في «المقتطف» من بين مشاهير هذا الفن، واستشهد له بـ :

ماالعيذ في حلة وطاق
وانما العيذ في التلاقي
وشم طيب
مع الحبيب
والنص نفسه يأتي في «مقدمة» ابن خلدون وفي «نفع الطيب»
منسوب لابن مؤهل، ولا أثر لهذا الاسم في «المغرب» وإن كنا نجد فيه
«موشحة لابن موهب الشاطبي، وسكن مرسية، ومدح بها ابن مردنيس ملك
شرق الأندلس»، وهي موشحة بحكمة النسيج، مفعمة بالنغم والرشاقة :

أما ظربت إلى الحُميًّا ما بين ندمانٍ وساق
والبدرُ في عقبِ الثريا والليلُ ممدودُ الرِّواقِ
خذهَا على رِغمِ العذولِ
خرقَاءَ تلعبُ بالعُقُولِ
والنهرُ كالسَّيفِ الصَّقيْلِ

على رياضٍ فاح رَيًّا ولاح مصقولة التراقي
تلك المُنَى يا صاحِبِيًّا لا مُلْكُ مصرَ مع العراقِ
وينسل من المقطع الخمري إلى الحديث عن حبه لعزة الذي لا
يبيد، وإن بلى الحديد، وفي البيت الأخير والخرجة يدعو محبوبه أن يخنو
عليه ويستجيب له :

مَنْ لِي بِمَنْ أَهْوَى وَمَنْ لِي
لَيْسَ أَهْوَى إِلَّا لِمَنْ لِي
وَأَنْتَ يَا بَعْضِي وَكُلِّي:

(١١٤) انظر «المقتطف» ص ٤٨٠ و «المغرب» ٣٩٠/٢ و «نفع الطيب»
(ط). احسان عباس) ج ٧ ص ٨ و «مقدمة» ابن خلدون
٣٩٤/٣.

أبعثتني بُغْدُ الثريا وأنت تعلم ما ألقى
ياقن هويت ابقي عليا كما أنا عليك باق
وليس في النص كله إشارة لابن مردنيش ولا لأحد غيره، والموشحة —
في الوقت ذاته — تأتي تامة، أي أنها تتركب من ستة أفعال، مما يرجح
أن ابن سعيّد لم يحذف منها المقطع المدحي، ولعلها أنشئت في بلاط ابن
مردنيش، ومن ثم حلت على أنها في مدحه، وابن مردنيش هذا توفي سنة
٥٦٧ هـ.

وغني عن القول أننا نعتقد أن ابن موهّد هذا هو نفسه ابن مؤهل المذكور
في «المقتطف».



• الزويلي (أبو اسحاق) :

ذكره ابن سعيّد في المقتطف من بين مشاهير الوشاحين في عهد
دولة الموحدين، وفيه :
«سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه (أي الزويلي) دخل
على ابن زهر وقد أسن وعليه زي البادية، إذ كان يسكن بمحصن استبه،
فلم يعرفه، فجلس حيث وجد وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع
فيها :

كُخِلُ الدُّجى يجري من مقلية الفجرِ على الصباخ
ومغصم النهرِ في حُلّ خُضِرٍ مِن البَطاخِ

فتحرك ابن زهر وقال : أنت تقول هذا ؟ قال : اختبر. قال : ومن
تكون ؟ فعرفه، فقال : ارتفع، فوالله ما عرفتك. « (١١٥)

(١١٥) «المقتطف» ص ٤٨٠

والنص نفسه يجيبىء في مقدمة «ابن خلدون» و «أزهار
الرياض» و «ونفح الطيب» (١١٦) وفيها جميعاً أن اسمه الدويني بدلاً
من الزيلي.

• • •

• ابن خلف الجزائري :

جاء في «المقتطف» (١١٧) :

«واشتهر ببر العدو ابن خلف الجزائري، صاحب الموشحة المشهورة

التي مطلعها :

يد الاصبح قدحت زناد الأنوار في مجامر الزهر

• • •

• ابن خزر البجائي (١١٨) :

قال ابن سعيد في «المقتطف» إنه «صاحب الموشحة المشهورة» :

تغر الزمان الموافق حياك منه ابتسام

• ابن هردوس (أبو الحكم أحمد) المتوفى سنة ٥٧٢ هـ (١١٩)

كاتب عثمان بن عبدالمؤمن، ملك غرناطة، وعده ابن سعيد في

«المقتطف» من بين مشاهير الوشاحين في عصر الموحدين وذكر له مطلع

(١١٦) في طبعة محي الدين (ج ٩ ص ٢٢٢) وجعله د. احسان عباس (ج

٧ ص ٩): الزويلي استنادا الى «المقتطف» .

(١١٧) «المقتطف» ص ٤٨٢ ولعله «ابن يخلف الجزائري» الذي ذكره

الغبريني في «عنوان الدراية» ص ٧٧ (ط. نوهض).

(١١٨) في «المقدمة» لابن خلدون ٣/٣٩٩: ابن خرز البجائي.

(١١٩) انظر عنه «المغرب» ٢/٢١٠ و «نفح الطيب» ط. احسان عباس، ج

٧ ص ٨ وبهامشه ذكر لأوجه الخلاف في اسمه الذي يجيبىء أحيانا: ابراهيم.

وانظر كذلك: شترن: ص ١٠٩.

باليلة الوضلي والسعود بالله عُودي (١٢٠)
وغني عن القول أنه استعاره من خرجة موشحة « اشرب على نغمة المثاني »
التي تنسب تارة لابن نزار، وتنسب تارة أخزى لابن حزمون .
والموشحة تدور في قسمها الأول حول موضوع الغزل والإقبال على

اللهو:

كَمْ بِسْتُ فِي لَيْلَةِ التَّمَنِّي
لَا أَعْرِفُ الهَجَرَ والتَّجَنِّي
أَلْتُمْ تُغَرَّ الْمُتَى وَأَجْنِي

مِنْ فَوْقِ رِمَانَتِي نُهَوِّدُ زَهَرَ الخُدُودِ
يَا لَأَتَمِّي اطْرَحْ مَلَامِي
فَلَا بَرَاخَ عَنِ الفَرَامِ
إِلَّا أَنْعَمَكَا فِي عَلَيَّ مُدَامِ

بسمع صوت ونقر عُودٍ مِنْ كَفِّ خُودِ
لكنه سرعان ما يتذكر أن «مدح الأمير الأجل أولى» وهكذا يترك
الغزل والكأس ليخاطب المدوح :

لِلَّهِ يَوْمٌ أَغْرَ زَاهِرُ
قَدْ حَلَّ بِالْأَنْدَلَسِ آمُرُ
قَالُوا وَقَدْ وَافَتِ البِشَائِرُ
بِالْمَلِكِ السَّيِّدِ السَّعِيدِ . أَبِي السُّعُودِ

• • •

● ابن المريني (أبو الحسن علي) (١٢١)

قال عنه ابن سعيد في «المغرب» :

«شاعر وشاح مشهور ببلاد المغرب، صحبه والدي، ومات في مدة منصور بن عبدالمؤمن، وكان كثير التجول» وأورد موشحة قال إنها لابن المريني، وتروى لابن اليكبي «(١٢٢) أولها :

مالبينات الهديل من فوق أغصان
هيّجن عند الصباح شوقي وأحزاني
وهي من روائع التوشيح الأندلسي، وله موشحة أخرى لا تقل عنها
جمالاً، مطالعها :

في نغمة العود والسلافة والروض والنهر والنديم
أطال من لأمني خلافه فظل في نصحه قليم (١٢٣)

● ● ●

● ابن الفرس (عبدالرحيم، الفرناطي،

المعروف بابن الفرس) (١٢٤)

جاء عنه في «المغرب» :

«قرأ مع والدي، وكان يصفه بالذكاء المفرط والتفنن والتقدم في الفلسفة، وهو الذي أعلن الثورة على دولة الموحدين، وزعم أنه «القحطاني» الذي سيدين البشره بالطاعة، وبث دعوته في قبائل لمطة

(١٢١) المغرب ٢/٢١٣

(١٢٢) اليكبي: نرجح أنه أبو بكر يحيى بن سهل اليكبي، المشهور بالهجاء. انظر عنه «المغرب» ٢/٢٦٦ ولم نجد له موشحات.

(١٢٣) «نفتح الطيب» ١/٤٧٦ - ط. احسان عباس - والخرجة فيها غير معربة، و٢/٢٢ - ط. محي الدين - وفيها تأتي الخرجة معربة.

(١٢٤) «المغرب» ٢/١١١ والنص ص ١٢٢.

البربرية، ولكن دعوته لم تنجح، وقتل». .
وذكر ابن سعيد في «المغرب» قسماً كبيراً من موشحة وصفها
بأنها مشهورة، أولها :

يَا قَنْ أَغَالِبُهُ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ
وَأَرْتَجِي وَصَلَّهُ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ
سَدَدَاتِ بَابِ الرِّضَا عَنْ كُلِّ مَطْلَبِ

زُرْتَسِي وَلَوْ فِي الْمَنَامِ وَجُدْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ
فَأَقْلُ الْقَلِيلِ يُبْقِي ذِمَاءَ الْمَسْتَهَامِ
وجاء في الموشحة نفسها قفل أورده بعد موشحة ابن عتبة (١٢٥)
وهو:

نُقُضَ مِنْكَ الْخِتَامِ عَنْ عَسَجِدِي الْمُدَامِ
وَرْدَاءِ الْأَصِيلِ تَطْوِيهِ كَفَّ الظَّلَامِ
وذكر ان ابن الفرس كان يزهى بهذا المعنى، وهذا الزهو سيتردد
صداه بعد ذلك في «النفح» ففي معرض الإشادة بفضائل أهل الأندلس
يقول المقري:

«وهل منكم من يقول في موشح فيما يجره هذا المعنى..» (١٢٦)
وذكر شيئاً من القفل السابق وقال إن الموشحة لأبي القاسم بن الفرس.
ومن هذه الموشحة قسم آخر في «المقتطف» (١٢٧) وفيه — بعد
أن ذكر ابن زهر وابن حيون:
«واشتهر معهما في العصر بغرناطة المهر بن الفرس، ومن المشهور أن
ابن زهر لما سمع قوله:

(١٢٥) ج ١ ص ٢٨٢

(١٢٦) «نفح» ط. احسان عباس — ٢٠٤/٤

(١٢٧) «المقتطف» ص ٤٨١

لله ما كان من يوم يهيج
بنهر حصي على تلك المروج
ثم انمطفنا على الخليج

نَفُضَ مِنْكَ الْخِتَامُ عَنْ عَسْجِدِي الْمُدَامِ
وَرَدَاءُ الْأَصْيَلِ تَطْوِيهِ كَفَّ الظَّلَامِ
قال : أين نحن من هذا الرداء !



• ابن أبي حبيب (أبو الوليد) : (١٢٨)
ذكر ابن سعيد أن ابن أبي حبيب من أعيان شلب، ونقل من
«السمط» أن أبا الوليد هذا كان «نكته الزمان، ونجبة الأعيان، الذي
ملك الحيا عنانه، وأيدت الحكمة لسانه» وذكر له شيئاً من موشحة أولها :

عَسَى لَدَيْكَ يَارَبَّةَ الْقَلْبِ زَاذُ لِرَاحِلِ

فَوَدَّعِي - فَدَيْتُكَ - هَيْمَانَا
لَا يَسْتَطِيعُ دُونِكَ سُلُوانَا
إِذَا تَدَدَّغَرَ الْبَيْنَ أَوْبَانَا
بَكَى وَحَنَّ إِلَى شَلْبٍ حَنِينَ تَاكِلِ



• ابن حبيب (القصري الفيلسوف) : (١٢٩)
قال عنه ابن سعيد :

«برع في العلم القديم، واشتهر اشتار البدر في الليل البهيم، فلاحظته
الأعين، وخاضت فيه الألسن، وصادف اشتاره إظهار مأميون بني
عبدالمؤمن طلب الزنادقة، وتطهير الأرض منهم، فكان فيمن ضرب عنقه.»

(١٢٨) «المغرب» ٣٨٣/١ والنص ص ٣٨٧ - ٣٨٨

(١٢٩) المرجع السابق ٢٩٦/١

وذكر له بعض نماذج من شعره، وقال إن «له موشحات» منها
موشحة تستهل بـ:

اشربْ على ضِفَّةِ القَدِيرِ وهجّةِ الرّوضِ في المطرِ
وانظرْ الى الكوكبِ المنيرِ يشقى بكأسِ لها شررُ
ابن نغلة (اسماعيل بن يوسف، اليهودي): (١٣٠)

قال عنه ابن سعيد «من بيت مشهور في اليهود بغرناطة، آل أمره
إلى أن استوزره ياديس بن حيوس ملك غرناطة، فاستهزأ بالمسلمين، وأقسم
أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغني بها قال أمره إلى أن قتله
صهاجة أصحاب الدولة..»



• ابن حزمون (أبو الحسن، علي): (١٣١)

ذكره ابن سعيد في «المقتطف»، بعد الحديث عن ابن حيون
ومطرف وابن الفرس: «واشتهر بعد هؤلاء ابن حزمون بمرسية، أخبرني ابن
الدارس أن يحيى الخنزرج دخل عليه في مجلس، فأنشده موشحة لنفسه،
فقال له ابن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً عن التكلف.
قال: علي مثال ماذا؟ قال علي مثال قولي:

ياهاجري قلّ عن هواك سالي قلبي القليل؟» (١٣٢)
وفي «المغرب» أنه كان «صاعقة من صواعق الهجاء.. وأكثر

(١٣٠) المرجع السابق ١١٤/٢ وانظر عنه دراسة مطولة لا يبيلوجارثيا جومث
في «مع شراء الأندلس» ١١٥ وما بعدها، ومقالة لنا بعنوان «سر القصيدة
التي هزت غرناطة» في «الندوة» - جمادى الاولى ١٣٩٨ هـ - .

(١٣١) «المغرب» ٢١٤/٢ و«المقتطف» ص ٤٨١ وانظر ما قلناه عن ابن

نزار

(١٣٢) «المعجب» ص ٢٩٣.

قوله في طريقة التوشيح»، وهذا ما أوضحه صاحب «المعجب» حين قال :

«ولعلي بن حزمون هذا قدم في الآداب، واتساع في أنواع الشعر، ركب طريقة أبي عبدالله بن حجاج البغدادي.. فأربى عليه، وذلك أنه لم يدع موشحة تجري على ألسنة الناس بتلك البلاد، إلا عمل في عروضها وروها موشحة على الطريقة المذكورة» (١٣٣)

واحتفظ «المغرب» ببعض هجائياته هذه، وكذلك مرثية :

ياعينُ بُكِّي السَّراجِ الأزهرًا النَّيِّرا اللّامعُ
ولا فلك من موشحات ابن حزمون إلا واحدة فحسب، غير أنها مفصحة
أيما إفصاح عن مهارته في أداء المعاني بأقصى درجة من البساطة والعموية :

مضى بنفسٍ تُهاجِ مُصَبِّرا مصطبراً وطائِعُ
وباعها في الهياجِ لقد ذرى ماذا اشترى ذا البائِعُ
● المتتاني (أبو العباس أحمد) (١٣٤) :

كان — كما أورد صاحب «المغرب» — كاتباً لدى أبي سعيد
عثمان بن حفص صاحب أفريقية، أحد كبار قواد الموحدين، ذكر له ابن
سعيد قسماً من موشحة أولها :

اشربْ على مبسمِ الزهرِ حينَ رَقَّ الأصيلُ
والشمسُ تجنحُ للغربِ والنسيمُ على ليلُ
وكلنا مثل وُزُقٍ لها لدينا هديْلُ

● ● ●

(١٣٣) «المغرب» ج ٢/٢٦٢.

(١٣٤) الملحوظ ان القافية جاءت هنا موحدة، وهذا يخالف ما نص عليه ابن
سناء الملك في «دار الطراز».

● ابن زهر الحفيد (أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي) (١٣٥) توفي سنة ٥٩٥ :
 سليل أسرة شهيرة في العلم والأدب بالأندلس، ونهج هو على منوالهم، ذكره تلميذه ابن دحية صاحب «المطرب» فقال :
 « كان شيخنا الوزير أبو بكر رحمه الله بمكان من اللغة مكين، ومورد من الطلب عذب معين، وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب، مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب، والمنزلة العليا عند أهل المغرب، مع سمو النسب، وكثرة الأموال والنسب » وقال قبلها : « والذي انفرد شيخنا به، وانتقاد لتخيله طباعه، وأصارت النباء خوله وأتباعه الموشحات، وهي زبدة الشعر، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق » .

وقال عنه ابن سعيد في «المقتطف» :

« وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء (يعني وشاحي عصر الموحدين مثل أبي الفضل بن شرف وابن هردوس وابن مؤهل ..) أبو بكر بن زهر، وقد شرقت موشحاته وغربت . وسمعت أبا الحسن المذكور (أي : أبو الحسن بن مالك) يقول لابن زهر: لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ما كنت تقول ؟ قال : كنت أقول مما استحسنته من قولي، وأرتضيه من نظمي :

هل تُستَعَاذُ أيأْمُنَا بِالْخَلِيجِ وليالينا
 إذ يستفادُ من النسيم الأريج مسكُ دارينا الخ ..

وابن زهر أحد أعلام الأندلس المبرزين في ميدان التوشيح، وفيما يبدو أن شهرته فيه أريت على شهرته في غيره من ميادين الأدب (شأنه في ذلك شأن عبادة بن

(١٣٥) راجع عنه: «المغرب» ج ١ ص ٢٧١ والمصادر التي ذكرها المحقق بالهامش، وكذلك «جيش التوشيح» ص ٢٧٢ و«نفح الطيب» ط. د. احسان عباس - ٢٤٧/٢ .

ماء السماء وابن القزاز والأعمى التطيلي وابن بقى ومن حسن الحظ أن المصادر احتفظت لنا بقدر لا بأس به من موشحاته، فقد ضمت مجموعة «جيش التوشيح» عشر موشحات من نظمه، وجاء في «المغرب» نحو هذا العدد (وإن كان بعض منها غير كامل) واثنان – وربما أكثر – في «دار الطراز» واثنان في «المطرب»، وخمس موشحات في «عيون الأنباء»، وله موشحات في «نفح الطيب»، و «الوافي بالوفيات» و «توشيح التوشيح»، و «معجم الأدياء» و «العذارى المائسات» و «عقود اللآل» الخ.. لكن عدداً منها يتكرر ذكره هنا وهناك، ومن ثم نجد أن ما وصل إلينا منها أقل من عشرين موشحة، لعل أشهرها جميعاً:

أيها السَّاقِي اليك المشتكِّي قد دعوناك وإن لم تسمع
وتذكر خرجتها – في الغالب الأعم – معربة، على نحو ما جاء في «دار الطراز»:

قد نما حبُّك عندي وزكا لا تَقُلْ في الحبِّ إني مُدَّعي
وترد في «جيش التوشيح غير معربة:

قد نما حُبُّك بقلبي وزكا وتقل اني في حبك مدع
وموشحات ابن زهر من الطراز العالي، الذي يتضمن كل خصائص هذا الفن في صورتها الأصيلة: مزيج من الموسيقى، والصور الموحية، والتعبيرات البسيطة الشفيفة والاقتراب من أخيلة الشعب كقوله:

كلُّ له هواك يطيبُ أنا، وعاذلي والرقيبُ
وتدور حول الحب، وفي نهايتها:

لم يَدْرِ عاذلي ورقبيبي
أنَّ الهوى أخفُّ ذنوبي
وأنت يا عذاب القلوب
كم تشتكِّي إليك القلوبُ وأنت مُعرِّص لا تُجيبُ
قالت عليّ أنت ملوؤ
فقلت: ودك المستحيلُ

فأنشد التصوُّح يقولُ :
منْ خان حبيبهِ اللهُ حسيب
الله يعاقبه ويثيبُ

وتبلغ الغنائية ذروتها في موشحة :
حيّ الوجوة الملاحا وحيّ نُجَلَّ العُيونُ
وأعمال ابن زهر تستحق - في واقع الأمر - وقفة خاصة ،
وتحليلاً مستفيضاً ، لا يتسع له المجال الآن .



وشاحو القرن السابع الهجري

● ابن الياسمين (أبو محمد عبدالله بن حجاج الاشبيلي) (١)
المتوفى سنة ٦٠١ هـ:

وصفه ابن سعيد في «الفصون اليانة» بـ «الجليس المتفنن»
وقال إن أول تعلقه كان «بالفقه والتوثيق، حتى صار من أعلام العارفين
بالوثيقة، ثم اشتغل بالنظم والنثر وفنون الآداب، فصار من أعلام الأدباء
والكتاب.

وذكر أن «له موشحات يغني بها (٢)» لا نعلم عنها شيئاً.



● السلمي (أبو حفص عمر بن عبدالله محمد بن عبدالله بن عمر) (٣)
المتوفى سنة ٦٠٣ هـ:

جاء عنه في «الفصون» أنه كان «فقيهاً علامة، وفي النظم
والأدب أندر علامة، جل بين قومه بمدينة فاس مقداره، وقضيت بها في
الجاه والمال أوطاره، الى أن كان هنالك من أهل الفتيا، ثم صار من
جلساء أصحاب الأمر وأرباب العليا، ثم ترقى إلى الخطابة والقضاء..
وولاه المنصور قضاء أشبيلية»

وأردف أن «له موشحات مشهورة يغني بها في الأقطار، منها:

حَسَّانَةٌ رَحِيمَةٌ عَانَقْتُ مِنْهَا الْبَانِيَةَ
وَالسُّقَى الرَّجْرَاجُ وَاشَوْقِي لِحَسَّانَةَ

(١) - «الفصون اليانة» ص ٤٢

(٢) - المرجع السابق، ص ٤٧

(٣) - المرجع السابق، ص ٩١

● الجلياني (أبو الفضل ، عبد المنعم بن مظفر الغساني) المتوفى سنة ٦٠٣ هـ (٤) :

جاء في «النفح» أنه كان «أديباً فاضلاً ، له شعر مليح المعاني ، أكثره في الحكم والالهيات وآداب النفوس والرياضيات ، وكان طبيباً حاذقاً .. وكان يقال له حكيم الزمان» .

ووقف ابن سعيد على ديوانه فقال إن أكثر شعره « مملوء من السخف والمجون»

ونقل عنه العماد أن له كتاباً بعنوان «نهج الوضاعة لأولي الخلاعة»

أما ابن أبي أصيبعة (٥) فإنه يقول إن ديوان الجلياني كان يقع في عشرة أجزاء ، قصر الثامن منه على موضوعات «الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيتي ..» وفيما يبدو أن الجلياني كان بارعاً في الموشحات ، بدليل وصف العماد له بأنه «صاحب البديع البعيد ، والتوشيح والترشيح»



● ابن الفكون (أبو علي حسن) المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري : ذكره الغبريني في «عنوان الدراية» وقال إنه «من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم ، وتروق أشعارهم . غزير النظم والنثر ، وكأنها أنوار الزهر . رحل (من بجاية ؟) إلى مراکش ، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن ، وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز ، وله «رحلة» نظمها في سفرته من قسنطينة إلى مراکش .. وله ديوان شعر ، وهو موجود بين أيدي الناس ،

(٤) - هناك شيء من الاضطراب في اسمه وتاريخ وفاته ، ففي النفح ٣/٣٧٠ - ط. محيي الدين - ذكر لعبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آشي ، المتوفى سنة ٦٠٣ هـ ، ثم ذكر لمحمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني (ج ٣ ص ٣٩١) المتوفى سنة ٦٠٢ هـ - ونظن أن الترجمتين للجلياني . وأنظر «الفصون الياقة» ص ١٠٤ - ١٠٨ (وبهامش ص ١٠٨ أن ديوانه مصور بالجامعة العربية) .

(٥) - ص ٦٣٠

ومحبوب عندهم، وهو من الفضلاء النبهاء.. وكان الأدب له من باب
الزينة والكمال، ولم يكن يحترف به لإقامة أود أو إصلاح حال. وأصله
من قسنطينة من ذوي بيوتاتها، ومن كريم أرومتها. وتواشيحه
مستحسنة» (٦)

• ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني) المتوفي سنة ٦١٤ هـ

مولده في بلنسية (سنة أربعين وخمسة مائة، أو نحو ذلك)، وتلقى
العلم بشاطبة، وبرع في الفقه والحديث والقراءات، كما برز في الأدب
شعره ونثره، وفي ذلك يقول صاحب «الإحاطة»: «كان أديباً بارعاً شاعراً مجيداً، ونظمه فائق ونثره بديع، وكلامه
المرسل سهل حسن، وأغراضه جليلة، وذكره شهير، ورحلته نسيج وحدها،
طارت كل مطار» (٧) وكان له ديوان سماه «نظم الجمان» وآخر
بعنوان «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح» يتضمن المراثي التي
ألّفها في ربيعة حياته أم المجد، ختمه بخمس موشحات فيها. ولم يصل إلينا
شيء منها.



• الأريسي الجزائري (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد)
أواسط القرن السابع:

ذكر الغبريني أنه كان «حسن النظم والنثر،.. وكان سهل
الشعر، وكان كثير التجنيس، يأتيه عفواً من غير تكلف.. وكان مليح
التواشيح» (٨)
وذكر أنه كان على رأس كتبة الديوان ببجاية.

(٦) - عنوان الدراية (ط. نوهض) ص ٣٣٤

(٧) - الأديب الرحالة الشهير انظر عنه «المغرب» ٣٨٤/٢ وهوامشه، و«نفع»
الطيب «ط. احسان عباس ج ٢ ص ٣٨١، و«الاعلام» للزركلي ٢١٤/٦،

(٨) - «الإحاطة» ٢٣٠/٢ (ط. عنان)

● ابن ميمون القلعي (أبو عبدالله محمد بن الحسن بن ميمون التيمي) (٩)
المتوفى سنة ٦٧٣ هـ :

ينسب إلى قلعة بني حاد، ونشأ بالجزائر وأقام في بجاية، وكان
من شيوخ الغبريني صاحب «عنوان الدراية»، وفيه أنه «كان في علم
العربية مقدماً محكماً لفنونها الثلاثة، النحو • اللغة • والأدب.. وهو أفضل
من لقيت في علم العربية.. وهو أكثر الناس شعراً، وتواشحه حسنة
جداً.»

● ● ●

● ابن حنون (أبو العباس أحمد، الأشبيلي) (١٠) :

قال عنه ابن سعيد في «المغرب» :

«من بيوت أشبيلية وأغنيائها، آل أمره إلى أن اتهم بالقيام على
السلطان (يوسف ابن عبدالمؤمن الذي حكم من ٥٥٨ الى ٥٨٠ هـ) وهو ممن
ذكره صفوان في كتاب «زاد المسافر» وذكر نماذج من شعره، وقال إن
«له موشحات مشهورة» ذكر واحدة منها هي التي أولها :

أبى أن يجودَ بالسَّلام فكيف يجودُ بالوصالِ
مَنْ كانت تحيةُ الوداع منه قبلةٌ عند الزوالِ

عناءُ المُتَّيِّمِ المُعَتَّى

أثاب اليه أو تجتئى

يروقك منظرأ وحُسنأ

والخرجة تأتي بالعامية على لسان المحبوبة التي تنشد :

(٩) - عنوان الدراية ص ٣٣٧

(١٠) - المرجع السابق ص ٦٧

خلقت مليح علمت رام فلس نخله ساعة عن قتال
وتعمل بندي العينين متاع ما تعمل أرباب النبال!



● ابن غياث (أبو عمرو) :

قال عنه ابن سعيد :

« شاعر مشهور من شعراء المائة السابعة ، اجتمع به والدي في
سبته » (١١) توفي سنة ٦٢٠ هـ ، ولا نعرف له الا قطعة من موشحة ، أولها :

طال عنكم مغيبي فلم تراعوا وذاذي
ذاك شأن الغريب يُبئسى بطول البعادِ



● ابن جعفر (عبد الله ، الأشبيلي) (١٢)

قال عنه ابن سعيد :

« كان وشاحاً مطبوعاً : ظريفاً لطيفاً ، ولم يذكر له موشحات ، واكتفى
ببيتين له . ولم نجد شيئاً عن موشحاته في المصادر الأخرى .



● ابن حريق (أبو الحسن علي) المتوفى سنة ٦٢٢ هـ

جاء عنه في « المغرب » :

« أخبرني والدي : أنه اجتمع به في سبته ، في مدة مستنصر بني عبد المؤمن ،
وقد قصد صاحب أعمالها ابن عبد الصمد مادحاً ، للذائع من كرمه ، فرأى خير من
يجتمع به أدباً وشعراً وظرفاً وحسن زي . قال : وشهدت له بحفظ الآداب
والتاريخ »

وأورد له موشحة يقول فيها :

(١١) — « المغرب » ٢٤٩/١ والمصادر المذكورة بالهامش . والموشحة ترد ص ٢٨٠ —

٢٨١ والخرجة في « المقتطف » ص ٤٨١ ، واسم الشاعر فيه : ابن حيون

(١٢) — المرجع السابق ٣٠٥/١ وعنه بالهامش نبذة هامة .

وصولسجني ذلك العذاز
وأثبت الورد في البهاز

سل حارستي روضة الجمال
من توج الغصن بالهلالي
ومنها :

أشرفت في البث والحزن
والروح ما إن له تمن
ولا نديم ولا سگن
يقر للدمع من قراز
بكاء غيلان في الدياز

وناصح قال ياغريب
للمرء من دمه نصيب
ويحك لا عيشة تطيب
فخل عيني فني انهمالي
وابك معي رقة لحالي
وهي من عيون الموشحات الأندلسية .



• الميورقي (ابن عبد الولي) (١٤) :

جاء عنه في «المغرب» :

«أخبرني من اجتمع به أنه كان شاعراً وشاحاً» ولسنا نعرف من موشحاته

شيئاً



• المتيطي (أبو جعفر أحمد بن جعفر) (١٥)

في «المغرب» :

«سكن سبتة ، ولهذا البيت فيها مجد شامخ ، وتصرف في ولايات ،
وكان أبو جعفر مشهوراً بالتوشيح» ولم يذكر له شيئاً من موشحاته .



• يحيى الخزرج :

(١٦)

وشاح ، ذكره ابن سعيد في معرض الحديث عن موشحات ابن حزمون

(١٣) - المرجع السابق ٢٦٧/١

(١٤) - «المغرب» ٣١٨:٢ .

(١٥) - «المغرب» ٤٦٨/٢

(١٦) - «المقتطف» ص ٤٨١

و يفهم من السياق أن موشحاته كانت تتسم بالتكلف .



● ابن الصابوني (أبو بكر محمد بن أحمد ، الأشبيلي ، الملقب بالحمار) (١٧) .

جاء عنه في «المغرب»

«اجتمعت به في اشبيلية ، والناس يجعلونه شاعرها المشار اليه ، وكان قد تقدم عند مأمون بني عبد المؤمن ، ثم رأى أن يقصد سلطان أفریقیة ، فلقية في مليانه ، ومدحه «ثم رحل الى مصر، فلم يجد فيها من قدره ، وعاجلته بها منيته فات بالأسكندرية ، قبل سنة ثمان وثلاثين وستمائة»

وفي «المقتطف» خبر يقول فيه ابن سعيد :

«وسمعت أبا بكر الصابوني ينشد للأستاذ ابي الحسن الدباج موشحات له غير مامرة ، فما سمعته قال : لله درك ، إلا في قوله :

قسماً بالهوى لذي حجرٍ ما لليل المَشُوق من فجرٍ

جهد الصبح ليس بطرد
ما لليلي فيما أظن غد
صح باليل أنك الأبد

أوفقت قوادم الترس أم نجوم السماء لا تسري



● مطرف

جاء في «المقتطف» بعد الحديث عن المهر بن الفرس :
«وكان معه في بلده مطرف . أخبرني والذي أنه دخل على ابن الفرس

(١٧) - «المغرب» ٣٦١/٢

المذكور فقام له وأكرمه ، فأشار عليه بأن لا يفعل ، فقال : كيف لا أقوم لمن يقول :

قلوبٌ تصابَتْ بألحاظٍ تصيبُ
فقل كيف تبقى بلا وجدٍ قلوب (١٨)

ولعله «مطرف بن مطرف» المذكور في «المغرب» ، وفيه :
«اجتمع به والدي ، وأثنى عليه في طريقة الشعر ، وذكر أنه قتله النصارى في الواقعة التي كانت سنة تسع وستمائة» (١٩) وهي الواقعة المعروفة باسم العقاب وذكر له نموذجاً من شعره .



● ابن الفضل (أبو الحسن علي) (٢٠)

جاء عنه في «المغرب» :

«هو ممن لقيته بحضرة أشبيلية ، وكان بينه وبين والدي صداقة متمكنة ، وسكن أشبيلية ، وساد فيها ، وولى بها خطة الزكاة والمواريث ، وهي نبيهة هنالك ، .. وبنو الفضل أعيان أريوله ، وهو عينهم ، وأنشد مأمون بن عبد المؤمن — أول ما بويع في أشبيلية بالخلافة ... — قصيدة .. الخ» وأشاد به ابن سعيد في «القدح المعلق» وقال إن موشحاته ذاعت بالمشرق والمغرب (٢١) ، كذلك يذكر في «المقتطف» نقلاً عن والده أن أبا الحسن بن مالك قال لابن الفضل :
«يا ابن الفضل لك على الوشاحين بقولك الفضل :

(١٨) — انظر عنه «المغرب» ٢٦٨/١

(وخر في ١٣٠/٢) و«نفح الطيب» ب. ط. احسان عباس ، استنتج منه أن وفاة ابن الصابوني كانت سنة ٦٣٦ هـ .

(١٩) — «المقتطف» ص ٤٨١

(٢٠) — «المغرب» ص ١٢٠

(٢١) — «المغرب» ٢٨٦/٢

واحسرتنا لزمان مضى عشية بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لا بالرضى وبث على جرات الغضا
أعائتق بالوهم تلك الطلوع وألثم بالفكر تلك الرؤوم» (٢٢)
وهذه القطعة من موشحة جاءت بتمامها في «المغرب»، ومطلعها:
ألا هل إلى ما تقضي سبيل فيشقي الغليل وتوسي الكلوم
وهناك موشحة أخرى أولها:
عرج بالجمى وأسأك بالكثيب عنهم أينما

هذه الأربُع
منهم بلسقُع
أين الأدمع
ضرجها دماً وقم بالنجيب نقيم ماأتما
كذلك يتضمن كتاب «المغرب» قطعة من موشحة هي:

في ظرف من أهواء سيف المنون
والقلب في بلواء ممن يخون
ياقذ غصن البان إذا انشئتسى
الراح والريحان بل الممنسى
في ذلك الوسنان إذا رنا
يارب ما أقساء تُرى يهون
والصَّب ما أرجاء ما لا يگون

• • •

● ابن الهيثم (الأديب الهيثم بن أحمد بن أبي غالب) (٢٣)، المتوفي سنة
: ٦٣٠

(٢٢) - ص ١٠٨

(٢٣) - ص ٤٨٢

قال عنه ابن سعيد:

«حافظ اشبيلية، لم ألق بها أحفظ منه، وكان والدي يتعجب منه. ومن أعجب عجائبه أنه كان يمي علي شخص شعرا، وعلى ثان موشحة، وعلى ثالث زجلا، وكل ذلك ارتجال دون توقف، وتنبه ذكره في مدة مأمون بني عبدالمؤمن، وكتب له مدة». ولستنا نملك شيئا من موشحاته.



● ابن عتبة (الطبيب الوشاح، أبو يوسف) (٢٤) المتوفي سنة ٦٣٦ هـ: اجتمع به ابن سعيد في اشبيلية، وذكر أنه «كان طبيبا وشاحا مطبوعا، ثم سافر إلى إفريقية، ثم إلى مصر، فأت في مرستان القاهرة». وذكر له بعد ذلك قسما كبيرا من موشحة جميلة للغاية أولها:

الرَّوْضُ فِي حُلَّالٍ خَصَرَ عَرُوسُ
والليل قد أشرق في الكؤوس
وليس إلا حُمَيَّاهَا شُمُوسُ

تُجَلَى بِكَفَي غَلامٍ كالفصنِ لَدنِ القوامِ
رَيْقُهُ سَلْسَبِيلٌ يَشْفِي لَهيبَ أوايمي
ومنها:

فَقَمِ نَبَاكِرها لَلاصطَباجِ
والشهبُ تُنْقَرُ من خيطِ الصباجِ
والقضبُ ترقصُ في أيدي الرياحِ

(٢٤) - «المغرب» ج ١ ص ٢٦٣ وأنظر المراجع التي ذكرها المحقق بالهامش، ومن بينها ابن الأبار في «التكملة» والمقري في «النفح» فضلا عن «اختصار القدح المعلى» لابن سعيد.

على غناء الحمام والكأس ذات ابتسام
والظلام قتيل والصبح دامي الحسام



● ابن عربي (محيي الدين، أبو عبدالله محمد بن علي الطائي الحاتمي)
المتوفي سنة ٦٣٨هـ: (٢٥)
الصوفي المعروف. له في «النفح» ترجمة ومختارات في أكثر من عشرين
صفحة، موجزها أن مولده بمرسية، سنة ٦٥٠هـ، ودرس في أشبيلية، وبها
أمضى عشرين سنة، ثم ارتحل إلى المشرق، وأخذ عن العلماء، وطوف في
مصر وبلاد الروم، وأقام في اخريات حياته بدمشق، وبها توفي.
وتختلف الآراء في ابن عربي، وإلى هذا يشير الذهبي عندما قال
«ان له توسعا في الكلام، وذكاء، وقوة خاطر، وحافظة، وتدقيقا في
التصوف، وتواليا في العرفان، لولا شطحه في كلامه وشعره» (٢٦)
واورد الغبريني في «عنوان الدراية» فهرست مؤلفات ابن عربي،
وتتضمن ما يزيد عن مائتين وخمسين عنوانا (٢٧)، والذي يعيننا منها ديوانه
الأكبر، ويعد أهم مصدر عن الموشحات الصوفية، ويضم قرابة ثلاثين
موشحة، وقد أشرنا الى واحدة منها عند الحديث عن الموشحات الدينية
والصوفية، جاءت على وزن موشحة ابن زهر، «أيها الساقى»، وله موشحة
أخرى على وزن «جرر الذيل أيما جر» المنسوبة لابن باجة. وموشحة ابن
عربي تبدأ ب:

ألا بأبي من ضمه صدري وأدريه قطعا وهو لا يدري

(٢٥) - «المغرب» ٢٦٣/١ وفيه أنه توفي قبل سنة ثمان وثلاثين وستمائه. ونص
ابن أبي أصيبعة على أن وفاته كانت سنة ٦٣٦هـ.

(٢٦) - انظر عنه «نفح الطيب» ط. عبد الحميد، ٣٦٠/٢ (١٦١/٢) ط. احسان
عباس، والمراجع

(٢٧) - الاقتباس عن «نفح الطيب»

لقد أقسم الحق بما أقسم
وعلمنا ما لم تكن نعلم
وأوضح لي ما كان قد أجهم
وكلها تسبح في مثل هذا التهميم : لقد اتضح له ما كان مبهما ، وصح ما
كان يشبه وقتا وينفيه ، ثم يأتي المقطع الختامي :

وجنارية باتت تغنيه
وتوجي الى الغير وتعنيه
وما تبغى الا لتعنيه

أجر ذيلي أيما جرّ فأوصل منك السكر بالسكر
وموشحات ابن عربي لا تخضع في مجموعها لشكل الموشحة التقليدية ، فضلا
عن أن كثيرا منها تتمثل فيه ظاهرة «التزيم».



• ابن سهل (ابو اسحاق ابراهيم ، الإشبيلي ، الإسرائيلي) المتوفى سنة
٦٤٩هـ (٩) قال عنه ابن سعيد في «المغرب» : (٢٨)
«قرأت معه في اشيلية على أبي الحسن الدباج وغيره ، وكان من عجائب
الزمان في ذكائه على صغر سنة ، يحفظ الأبيات الكثيرة من سمعة ، وبلغني
الآن أنه شاعر خليفتهم بمراكش» ، وهذه النقطة الأخيرة مثار تساؤل ، إذ
يخلو الديوان من أي نص يؤكدها ، ولا يوجد ما يعضدها في المصادر الأخرى
عن ابن سهل ، والشيء الثابت أن الشاعر عمل كاتباً لدى ابن خلاص ،
والى سبته من قبل الموحدين ثم الحفصيين.

وهناك نقطة أخرى تثير الجدل ، وتعلق بمدى صحة إسلام ابن سهل ،
ونبذه لدين اليهودية ، وفي هذا الصدد يذكر ابن سعيد أنه سأله عن هذا
الأمر فأجابه : «للناس ما ظهر والله ما استتر».

(٢٨) - ص ٦٣ (ط. نوهض).

والذي يعنينا أن ابن سهل كان شاعرا مجيدا، وبخاصة في الغزل، أما في الموشحات فإن براعته فيها — كما يقول د. احسان عباس — «لا تقل عن براعته في القصيد الغزلي، وإن كان يسلك لإظهارها طريقا آخر، هو ذلك التفنن القائم على تنويع النغمات، فوشحاته مظهر للتفاوت الكثير في إظهار قدرته على إتقان نغمات متباعدة، والتخلص بقدرة فائقة — تشبه عفويته في القصيد الغزلي — بين مزاحة التقسيمات التي تخلو من جرأة على البناء المركب .. إن الجمع بين الصنعة الدقيقة والسهولة التعبيرية في هذه الموشحات يجعل ابن سهل في فن الموشح غير متخلف عن أعلامه الكبار، أمثال الأعمى التطيلي وابن بقي وابن زهر الحفيد في تاريخ التوشيح بالأندلس» وقد سلمت أربع وعشرون موشحة مما ألف ابن سهل، أشهرها، ولا ريب، تلك التي تستهل بـ:

هل درى ظبي الجمي أن قد حمى قلب صب حلته عن مكنس
فهو في حرٍّ وخفقٍ مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس
وكلها تدور حول موضوع واحد هو بث الشاعر الوجدانية النبيلة، وحتى الخرجة تأتي متشحة بتلك الغلالة الشفيفة الصافية، وهي — مع البيت الذي يسبقها:

أنفدت دمعي نازًا في ضرام تلتظي في كل حين ما يشا
هي في خديته بردٌ وسلام وهي ضرٌّ وحريق في الحشا
أتقى منه على حكم الغرام أسداً ورداً، وأهواه رشا
قلتُ لما أن تبدى مُعلماً وهو من الحاظه في حرس:
أها الآخذُ قلبي مغمماً اجعل الوصل مكان الخمس

وفي الخرجة مخالفة لما قرره ابن سناء الملك من ضرورة أن يأتي في البيت الذي قبل الخرجة: قال أو قلت أو قالت .. الخ، إذ أن هذا الشرط جاء في ثنايا الخرجة لا في البيت الذي قبلها.

ومن اشهر موشحات ابن سهل قوله :

يا الحظّات للفتنِ في كثرها أوفى نصيب
ترمى وكلي مقتلٍ وكلها سهمٌ مصيب
وهي موشحة جميلة، اكتملت فيها كل خصائص الموشحات الأندلسية
الأصيلة، من حيوية، وروح شعبية، وبساطة في التعبير والصور. والخرجة
تأتي في هذه المرة بالعامية، وفي البيت الذي قبلها يقول العاشق إنه نكاية
في الرقباء سيفني :

هذا الرقيب ما أسواه بظن يا مولتي قم نعملو
اش لو كان الانسان مريب ذلك الذي ظن الرقيب!
ولا بن سهل موشحة تبدو وكأنها تنتمي لعالم الخيام، بما فيها من تأمل وشجو
وجنوح الى النسيان والأبيقورية :

رحت بضيف الأنس قد أقبل
ولا تسل دهرك عما جناه
عندي لأحداث الليالي رحيق
كأنها في الكأس منها رحيق
وحتها ما هي الا عقيق
فاجن المني بين الظلي والطلا
وقل لينا ضل عنه نهاء
وأجل دجى الهمّ بشمس العقار
فا ليالي العُمر الأقيصار
ترد في الشيخ ارتياح الشباب
وفي يد الشارب منها خضاب
أجريت أنفاسي فيه فذاب
وأقدح على الأقداح منها شرار
كفى الصبا عذراً لخلج العذار



• الششتري (أبو الحسن علي بن عبدالله) المتوفى سنة ٦٦٨ هـ (٢٩) نسبة الى شستر، من أعمال وادي آش، وذكر المقرئ في «النفح» أن «زقاق الششتري معلوم بها»، ووصفه بـ«عروس الفقهاء، وإمام

(٢٩) — انظر عن ابن سهل «المغرب» جـ ١ ص ٢٦٩ والمصادر المذكورة بالهامش، وكذلك مقدمة ديوانه، وضعها د. احسان عباس، ص ٩ — ٥١.

المتجردين ، وبركة لابسي الخزقة ، .. وكان مجودا للقرآن ، قائما عليه ، عارفا بمعانيه ، من أهل العلم والعمل » ونقل عن الغبريني صاحب «عنوان الدراية» قوله :

«الفقيه الصوفي ، من الطلبة المحصلين ، والفقراء المنقطعين ، له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية ، وتقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق ، وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع» .

وللششتري ديوان حققه د. علي سامي النشار استنادا الى سبع عشرة مخطوطة ، يقول في مقدمته إن الششتري «أول من استخدم الزجل في التصوف ، كما أن محيي الدين بن العربي أول من استخدم الموشح فيه ، وللرجلين فضل السبق في هذا المضمار» ، ويضم هذا الديوان سبعين موشحة وزجلا فضلا عن أزجال ومقطعات زجلية أخرى وردت في عدد محدود من النسخ ، وهناك قدر لا بأس به من «المزئمات» وعدد منها وصف بأنه من «الموشحات» ولا يكاد يمت إليها بنسب ، وكثيرا ما يخرج الششتري عن الشكل التقليدي للموشحة ، مثل قوله :

وطاب نقلي وشرابي	وحبيبي اعتنى بي
فاعذروني يا صحابي	في سُجودي واقترابي
خمرة راق شذاها	كل نور من سناها
قام ساقها سقاها	اجملوها احتسابي
أنا سكران من هواه	ليس لي راح سواه
كلما ناديت: ياهو	كان: (لبيك) جوابي

أو قوله في أخرى ، ويتكرر فيها القفل على نحو يخالف المألوف في الموشحة الأندلسية التقليدية:

قد ظهرت في مرآتي	عند رميي للمنساتي
لم أجد بدا من بدّي	
قد أتيت لي من عندي	
فوق متن وهم البعد	

خير مـوجـودٌ عابـدٌ مـعبـودٌ
ليس بالمـفـقـود ويمـحـوه اثـبـاتـي
قد ظهـرت في مرآتي عند رميي للمنسائي
ولكن هناك عددا من النصوص يأتي وفقا للطابع التقليدي أو قريبا منه ،
مثل :

صاح هذي الأسرار قد أشقـلت في الحشا مني الثـاز
مذّ لاح لي سـرّ من نهـاهُ
لم أستطـع كـتـم ما ألقاهُ
من شـجـو قلبي ومن شكواهُ

ويح قلبـي قد طـاز في ذا الهوى ساجـاً ذا استهـيـاز
وله أخرى عارض فيها موشحة الأعمى التطيلي «ضاحك عن جان»
وأول موشحة الششتري :

قبل كـوّن الزمان ووجود الشـكـر
أشـكـرتني بـدان الهوى والخـمـر
قر الرثـد لاح وأنار الفـكـرا
ونسيمُ الصـباح طاب منه نـشـرا
وبـروح راح عاد شفـي وتـرا
وأنا في مـهـرجـان طول حيايـتي عمري
عـزّتي في الهوان وغـنائـي فقري
والتزيم واضح (في القفل الأخير) في قوله «طول حياتي عمري»،
فضلا عن خلوه من المعنى .

وهناك بعض نصوص يشك في صحة نسبتها للششتري ، مثل النص الذي
أوله :

كلّما قلـت بقـربـي تنطـفي نيران قلبـي
ويأتي بدوره في ديوان ابن وفا (٣٠) ، وموشحة رفيعة المستوى أولها :

(٣٠) - انظر عنه مقدمة «ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في
الاندلس المغرب» للدكتور علي سامي النشار.

شربنا مداما بلا آنيةً فلا تحسبوا عينها آنيةً
وينسب في بعض النسخ الديوان لغيلان المصري ، وهي نسبة تؤكدها
عبارة جاءت في ديوان صفي الدين الحلبي ، الذي عارض الموشحة السابقة ،
وقال إن الأصل لغيلان الغول المصري (٣١) ونسجل - من جانب آخر -
أن هذه الموشحة تختلف في نسيجها عن بقية موشحات الششتري .



* ابن موراطير (أبو الحجاج يوسف) :
ينسب الى موراطير، قرية من قرى بلنسية. جاء عنه في «عيون
الأنباء» (٣٢):

« كان فاضلا في صناعة الطب ، خبيرا بها ، مزاولا لأعمالها ، محمود
الطريقة ، حسن الرأي ، عالما بالأمر الشرعية .. وكان أدبيا شاعرا محبا
للمجون كثير النادرة »

ونقل عن القاضي أبي مروان الباجي أنها كانا في تونس مع الملك
الناصر (من ملوك الموحدين) في وقت اشتد فيه الغلاء ، وعز وجود الشعير
« فعمل أبو الحجاج بن موراطير موشحا في الناصر ، وأتى في ضمنه تغير
بيت عمله الحفيد أبو بكر بن زهر في بعض موشحاته ، وذلك أن ابن زهر
قال :

وشمّ طيب	ما العيد في حلة وطاق
مع الحبيب	وانما العيد في التلاقي
	فعمل ابن موراطير:
مِنَ الحَرِيرِ	ما العيد في حلة وطاق
مع الشعير	وانما العيد في التلاقي

فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كانت . وكان أبو الحجاج بن
موراطير قد خدم بصناعة الطب المنصور أبا يوسف يعقوب ، ولما توفى المنصور

(٣١) - مخطوطة باريس، ورقة ٢٢١.

(٣٢) - ص ٦٧٢ : «وقال موشحا بطريق التصوف اقترح عليه ذلك، معارضا
موشحا لغيلان الغول المصري».

خدم لولده الناصر. ومات في مراكش، في دولة المستنصر».



* ابن سعيد المغربي (علي بن موسى)، المتوفى سنة ٦٧٣ هـ:
الشاعر الأديب الرحالة، صاحب «المغرب في حلى المغرب»
و«المشرق في حلى المشرق»، وغيرهما من الآثار الجليلة (٣٣)
ولا يعرف له إسهام في مجال الموشحات، غير أن الصفدي عده في
«توشيح التوشيح» (٣٤) من بين السابقين في مضمار التوشيح.



* المرحل (أبو الحكم، مالك بن عبدالرحمن، المالقي) المتوفى سنة ٦٩٩:
وصفه صاحب «النفح» بـ«الإمام العالم الشهير الأديب مالك بن
مرحل المالقي ثم السبتي» (٣٥)، ولا تعرف له موشحات، وقد عده
الصفدي في «التوشيح» (٣٦) من بين كبار وشاحي الأندلس والمغرب.



(٣٣) — ابن أبي أصيبعة: «عيون الانباء في طبقات الاطباء» تحقيق د. نزار رضا.
بيروت ١٩٦٥ ص ٥٣٣

(٣٤) — انظر عنه مقدمة كتاب «المغرب» بقلم د. شوقي شيف .

(٣٥) — «توشيح التوشيح» ص ٣٢، وعده «من اهل الديار المصرية» على اعتبار
انه اقام فيها فترة من الزمن .

(٣٦) — ط . احسان عباس ، ٤٥٣/٧

وشاحون من القرنين الثامن والناسع الهجريين

* أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف، الغرناطي) المتوفى سنة ٧٤٥هـ (١):

العالم اللغوي الشاعر الأديب. نقل المقرئ عن «أعيان العصر» أنه كان لأبي حيان «نظم ونثر، وله الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله، محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف، فهو إمام الناس كلهم فيها، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته. وله اليد الطولى في التفسير والحديث، والشروط والفروع، وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم، خصوصاً المغاربة».

ولأبي حيان موشحتان معروفتان. الأولى عارض بها شمس الدين التلمساني في موشحته:

قَمَرٌ يَجْلُو دُجَى الْغَلَسِ بهر الأبصارَ مذ ظهرا
(ولعل التلمساني تأثر فيها بموشحة: «خذ حديث الشوق عن نفسي»
التي تنسب لابن بقى، كما تنسب لابن الزقاق)، وأول موشحة أبي
حيان:

عاذلي في الأهيف الأنس لو رآه النَّاسُ قد غَدْرًا
رَشَاءٌ قد زَانَةُ الْحَوَرِ غصنٌ من فوقه قرُّ
قرُّ من سُخْبِهِ الشَّعَرُ ثغرٌ في فيه أم دُرُّ
جال بين الدُّرِّ واللَّعَسِ خمرٌ من ذاقها سَكِرًا

وهي موشحة رفيعة المستوى، تتميز بعذوبة الإيقاع وصفاء المعاني. وهي تنتهي بـ:

نَصَبَ العِينِينَ لي شركا فانشنى والقلبُ لي ملكا
قرُّ أضحى له قَلْكا قال لي يوماً وقد ضجكا

(١) - «الكتيبة الكامنة» ص ٨١ والمراجع المذكورة بامشه، وكذلك «نفع الطيب» ط. د. احسان عباس ج ٢ ص ٥٣٥ وما بعدها، والموشحتان في النفع ص ٥٥٦، ٥٥٧.

أتجبي من أرض أندلس
وأما الثانية فتبدأ بـ:
نحو مصر، تعشقُ القمر؟

إن كان ليل داخ
فنورها الوهاج
وخاننا الاصباح
يُغني عن المِصباح

ولا تقل هذه الموشحة جودة عن الأولى، وقد روعيت فيها معاً التقاليد
الفنية الأندلسية للموشحة .



● ابن خاتمة (أحمد بن علي، الأنصاري، المريني) (٢)، المتوفي سنة ٧٧٠هـ: نسبة إلى المريّة، من مدن دولة غرناطة، وله مؤلفات منها «مزية المريّة على غيرها من البلاد الأندلسية»، لم يصل إلينا، وأُعتد عليه المقرئ في كثير من المواضع، وله «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد»، وهو «رجل مشهور في عصره بفنون الثقافة المختلفة: شاعر وكاتب ومترسل، وفقهه ومصنف وزاهد، أثنى عليه معاصره وصاحبه وصديقه لسان الدين بن الخطيب .. (٣)» وبخاصة في «الاحاطة» و«الكتيبة الكامنة» وكذلك اسماعيل بن الأحمر في «نثر فرائد الجمان» و«نثر الجمان» .

ولابن خاتمة ديوان نشر مؤخراً يضم ثماني عشرة موشحة رفيعة المستوى، تتمثل فيها خصائص الموشحة الأندلسية الأصيلة، من حيوية وبساطة وروح شعبية أسرة، وليس فيها شذوذ في البناء، كما يلحظ أحياناً في أعمال متأخرى الوشاحين .

(٢) - انظر عن مراجعة «الاعلام» ١٧١/١ ومقدمة ديوان ابن خاتمة بتحقيق د. محمد رضوان الداية (١٩٧٢م) (وجاء في كتاب د. الالهواني: «الزجل في الاندلس» ص ٢١٧ ان الديوان اعدته للنشر المستشرق الاسبانية صولداد جيبرت، وانه يطبع بالمعهد المصري بمدريد، (في سنة ١٩٥٧).

(٣) - مقدمة الديوان، ص ١٠

ومن موشحات ابن خاتمة :

يا مصباح قد أخجل الاصباح هل تلتاخ
يا بدرُ أوترتاخ لذي وُدِّ

وشكل هذه الموشحة يذكر بموشحات ابن عبادة القزاز، وبخاصة :

هل يتاخ للأرواخ من ظباك ياسفّاخ

ويلاحظ أن ابن خاتمة كثيراً ما يلجأ إلى الاكثار من الأجزاء في
الأقوال، مثل موشحته التي أولها :

هل في ارتياحي الى الملاح اوالى الشمول بأس يا عذول
فدع لومّ مفتون
فعمشق خود وشرب راج إنما يلام غيري في المدام
وفي الخرد العين

هذي عروسُ الرياضِ تَجَلَى من رائقِ الزهرِ في حُلَلَن
والجوُّ بالغيَمِ قد تحلّى ولاحتِ الشمسُ من خَلَلَن
وخبّ فصلُ الربيعِ طفلاً يسقيه ثدي الحيا عَمَلَن
فسقني بالكبيرِ واملا إني كبيرٌ ولا تُبَلَن

والخرجة جاءت هنا معربة، ولكن ألفاظها «غزلة جداً، هزارة سحارة
خلابة، بينها وبين الصبابة قرابة» وهذا شرط الخرجة المعربة غير المدحية،
كما نصت على ذلك مقدمة «دار الطراز»... ومن موشحاته (٤) الجميلة :

(٤) - ذكر محقق الديوان، ص ١٧ ان القسم الرابع منه في الموشحات والازجال،
لكن لم ترد فيه الا الموشحات.

في طاعة التّديم وفي هوى الجِسانِ
عَصَيْتُ كُلَّ عاذِلٍ ودنّيتُ بافتتانِ

وموضوعها — شأنها في ذلك شأن بقية موشحات ابن خاتمة — يدور
حول الغزل، ولكن المحبوب هنا غلام نصراني، واستطاع الوشاح أن يبرز
طبيعة هذا الحب في صور رشيقة معبرة :

عَلَيْقُتُهُ غَزَالَا لِلرُّومِ مَنْتَهَاهُ
زَبَاؤُهُ اسْتَمَالَا جَلْمِي إِلَى صِبَاهُ
إِنْ قَالَ لِي مَقَالَا لَمْ أَذِرْ مَا عَنَاهُ!
أَوْ اشْتَكِي هُمومي لَمْ يَدِرْ مَا عَنَانُ
فَالْقَلْبُ فِي حَبَائِلِ أَيَدِي هَوَاهُ عَانُ

وهو يقسم له بالأناجيل وبحرمة المسيح أنه لن يصغى إلى قول عاذل أو
ناصح ويتوسل إليه في نهاية الموشحة :

قُلْ كَيْفَ يَسْتَرِيحُ صَبْتُ مَتْتِيمُ
لِسَانُهُ فَصِيحُ وَالْحَبُّ أَعْجِمُ
هَذَا حَالَتِي تَلُوخُ فَهَلْ مَسْتَرْجِمُ
صَبِي عَشِيقَتِ رومي وَشْ نَحْفِظُ اللِّسَانَ
السَّاعِ مَا نَشَاكِلُ عَاشِقُ بَتَرْجِمَانُ!

وهكذا تمضي موشحات ابن خاتمة، جياشة بمثل هذه الأجواء التي
طالما حفلت أعمال الوشاحين القدامى، أمثال ابن عبادة القزاز، والتطيلي
وابن بقي .

• • •

● العقرب (محمد) — من وشاحي القرن الثامن الهجري
جاءت له في «الروضة الغناء» موشحات، ورجح د. الجراري (٥) أن
المقصود هنا شاعر من إقليم لاش، ذكره لسان الدين بن الخطيب في
«الاحاطة»، هو محمد بن علي الأوسي المدعوب بالعقرب، ومن تلك
المقطعات:

قم ترى الفجرَ بسيفٍ منتضى شقّ جلبابَ الدُّجى لما أضأ

ضحكَ الزَّهرُ بشفرِ جوهز
وانثنى الغصنُ الرطيبُ المثمرُ
وشدا الطيرُ ينغم الوترُ



● السدراتي (ابو عثمان سعيد بن ابراهيم) المتوفي نحو سنة ٧٧٠هـ:
ذكره اسماعيل بن يوسف بن الأحمر (من أمراء بني نصر، أصحاب
غرناطة) في كتابه «نثر الجمان» وقال انه من أهل فاس، وأنه كان
يعرف بـ «شهبون الأديب» ووصفه بـ «رئيس الأدباء، ونخبة الألباء، إلى
إجادة في نظم الزجل، أذهبت عنه في الشعر الخجل..»، ونجم في التوشحة
(كذا في الأصل، ولعلها: في توشححه) ولم تكن قريحته في نظمها
بشحيحة..» (٦).

وابن الأحمر (المتوفي سنة ٨٠٧هـ) ألف كتابه «نثر الجمان» سنة
٧٧٦ وتحدث عن السدراتي مردوفاً بـ «رحمه الله» مما جعلنا نقول إن وفاته
كانت نحو سنة ٧٧٠هـ.

ولا نعرف من موشحات السدراتي إلا نصاً وحيداً ورد في «نثر الجمان»
في مدح مؤلف الكتاب، أوله:

(٥) — «موشحات مغربية» ص ١٣٢

(٦) — نثر الجمان (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن) ص ٤٤٩

نشرتُ فيكم بني نَضِرَ لأبي الصّديق رايةَ النصرِ

وتدور من مطلعها إلى نهايتها حول المديح ، وآخرها

يا أبا الصّديق أنت مولانا
كم نوالٍ بذلتَ أغنّانا
رقت حُسناً وفقت إحسانا

لك جوّد كوابلِ القَطْرِ ومُقام أربى على النسرِ

ومن الجلي أنه يعارض هنا موشحة «جرر الذيل أيا جر» التي تقدم ذكرها .



● ابن الصباغ الجذامي :

ذكر المقرئ في «أزهار الرياض» (٧) بعض موشحات له ، تدور في مجموعها حول الزهديات والمدائح النبوية ، ولم نجد معلومات عنه ، وفي «الكتيبة الكامنة» (٨) للسان الدين بن الخطيب ذكر لكاتب شاعر فقيه يدعى ابن الصباغ العقيلي (توفي سنة ٧٥٨هـ) كان وزيراً لبني نصر ملوك غرناطة ، وجاءت معلومات عنه في «نثر الجمان» (٩) و«نفع الطيب» وغيرهما .

أما نيكل (١٠) فيشير إلى شاعر يدعي الجذامي ذكر أن ابن الخطيب تحدث عنه في «الإحاطة» وقال إنه توفي بعد سنة ٧٩٤هـ .

(٧) - ج ٢ ص ٣٠

(٨) - ص ٢٢٨ (٩) - ص ٢٦٨

(١٠) - في كتابه المذكور قبلاً ، ص ٣٦٣ ، ولعل التنقيب في المصادر الأخرى يعطي مزيداً من الضوء عن هذا الشاعر .

● لسان الدين بن الخطيب (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد
عبدالله بن سعيد السلماني) (١١):

أحد أعلام الشعراء والمؤرخين بالأندلس . ولي الوزارة بقرنطة في عهد بني
الأحمر، وبلغ على أيام الغني بالله محلا أثيرا، إلى أن شعر بتغيره عليه، ففر
إلى المغرب، لكن الغني بالله ظل يسعى للإيقاع به واتهم لسان الدين
بالزندقة، وسجن، ثم قتل خنقا، واحرق جثته، سنة ٥٧٦هـ.

وكانت آثاره قد احترقت. في قرنطة، وعدت أيدي الضياع على
كثير منها، ولكن ما وصل إلينا يدل على علم غزير، وبما طبع من أعماله
كتاب «الإحاطة في أخبار قرنطة» و«الكتيبة الكامنة في من لقيناه
بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»، و«أعمال الأعلام فيمن بويج قبل
الاحتلام من ملوك الاسلام» و«كناسة الدكان بعد انتقال السكان»
و«روضة التعريف بالحب الشريف» وكتابه «جيش التوشيح» الذي
ضمنه مائة وخمسة وستين موشحة، كثير منها لا يوجد في أي مصدر آخر،
وإن كان لم يقدم له إلا في سطور معدودات، هي— بعد حمد الله والصلاة
على نبيه وآله ومن اتبع هداه—:

«ورتبست هذا الكتاب ترتيبا لا يخفى إحكامه، وبوبته تبويبا
يسهل فيه مرامه، كلما ذكرت حرفا قدمت أرباب الإكثار، وأولى الاشتهار
من بعد الاختيار، والبراءة من عهدة النسبة اتهاما للأخبار، ثم أتيت

(١١) — يأتي في مقدمة ما ألف عن لسان الدين بن الخطيب كتاب المقرئ «نفح
الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» وكتب
عنه محمد بن أبي بكر التطواني كتابا من جزأين عنوانه «ابن الخطيب من خلال
كتبه» وعبدالعزیز بن عبدالله: «الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب» وكتاب
للأستاذ محمد عبد الله عنان «لسان الدين بن الخطيب: حياته وتراثه الفكري»
القاهرة ١٩٦٨م.

بالمجهول منها على الآثار، حتى كمل على حسب الوسع والاقتدار. «
وليس في «جيش التوشيح شيء من موشحات لسان الدين بن الخطيب،
فالنكتاب - في صورته التي وصلت إلينا - يقتصر على موشحات شعراء من
القرن السادس الهجري، وقد أشار ابن خلدون إلى موشحة لسان الدين :

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمِي يَازِمَانَ الْوَصْلِي بِالْأَنْدَلِيسِ
وذكر قطعة كسيرة منها، وهذه الموشحة - ولا ريب - أشهر
موشحات ابن الخطيب، بل لعلها أشهر الموشحات الأندلسية التي لا تزال
تعرف إلى اليوم على نطاق واسع، وقد نسجها على منوال موشحة ابن سهل
«هل درى»، وجاءت بتمامها في «نفع الطيب» وذكرتها عشرات
المصادر والمراجع، مثل «عقود اللآل»، و«الغزالي المائيات» و«روض
الأدب» الخ.

وهذه الموشحة تأتي أطول بكثير مما هو معهود في الموشحات، فالموشح - كما
نص على ذلك ابن سناء الملك - «يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة
أبيات»، أما موشحة «جادك الغيث» فتأتي في أحد عشر قفلاً وعشرة
أبيات، وسيسير كثيرون ممن عارضوها في هذا التيار، (١٢)، بل ويطيلون
أكثر مما فعل لسان الدين بن الخطيب، وفي هذا ما يقلل من قيمة
الموشحات كعمل غنائي بالدرجة الأولى.

والنص يدور في مجموعه حول موضوع الحب وذكرياته، مع تصوير
للطبيعة، لكنه لا يلبث أن يعرج بعد ذلك على مدح صاحب غرناطة،
ليختم بـ:

(١٢) - كان المفروض أن يقال «ممن عارضوا موشحة ابن سهل» على اعتبار أنها
الأقدم لكن شهرة موشحة لسان الدين بن الخطيب - كما أوضحنا - طغت على
الأصل، وهكذا نرى كثيرين ممن ساروا على هذا البناء يشيرون إلى موشحة ابن
الخطيب لا ابن سهل.

هاكها ياسبِط أنصار العُلا والذي إن عثرَ الدهرُ أقان
غادةً ألبسها الحُسنُ مُلاً تهر العينَ جلاءً وصيقان
عارضتُ لفظاً ومعنى وُحلاً قولٌ من أنطقه الحبُّ فقان:
هل دريَ ظبيُّ الجِمي أنْ قد حمي لعبت ريحُ الصِّبا بالقَبَسِ
فهو في حرٍّ وخفقٍ مثل ما

وهكذا تكون خرجة موشحة ابن الخطيب هي نفسها مطلع موشحة
ابن سهل الاسرائيلي.

وعمدنا المقري في «النفح» (١٣) و«الأزهار» (١٤) بنص آخر
مسبوق بـ:

«قال لسان الدين بن الخطيب، رحمه الله تعالى، : ومما قلته من الموشحات
التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها :

رُبَّ ليلٍ ظفرتُ بالبدرِ ونجومُ السماءِ لم تدرِ

حفظ اللهُ ليلنا ورعى
أثي شملٍ من الهوى جُمينا
غفل الدهرُ والرقيبُ معا

ليت نهرَ النهارِ لم يجرِ حكم اللهُ لي على الفَجْرِ
وأورد المقري كذلك قسماً من موشحة أولها (١٥) :

كم لليلِ الفراقِ من عُصّة في فؤادِ العميدِ

(١٣) - ٢٧٥/٩

(١٤) - ٣١٤/١

(١٥) - «نفح» ٢٧٧/٩

نرفع الأمر فيه والقصة
رحل الركب يقطع البيدا
حسبت ليلة اللقاء عيدا
وفي آخرها يستدير الى المدوح :

للولي الحميد
بسفين النياق
فهي ذات اشتياق

يا إمام العلاء والفخر
هاكها لا عديمت في الدهر
عارضت قول بائع التمر
غربوك الجمال يا حفصة
من سجلماسة ومن قفصة

ذا السننا المبهج
أملا يرتجي
بقال شجي:
من مكان بعيد
وبلاد الجريد

وهذه الإشارة الى «قول بائع التمر» تمثل مظهرا من مظاهر الالتفات الى الجانب الشعبي، الذي كان متقدما والشاحين يحرصون عليه، والذي ضل شأنه عند المتأخرين منهم. وهذه الخرجة يصح أن تنطق معربة أو خالية من الاعراب.

ويورد المقري بعد ذلك «من المنسوب الى محاسنه» مطلقا :

قد حرك الجبلُ بازي الصباح والفسجرُ لآخ

فيا غراب الليل حث الجناح

قال بعده : «وهذا مطلع موشح بديع له لم يحضرني الآن تمامه ، لكوني تركته وجلة من كلام لسان الدين في كتبي المغرب .. وهو معارض للموشح الشهير الذي أوله :

بنفسج الليل تذكى وفاخ بين البيطاح

كأنه يُسقى بماءٍ وراخ» (١٦)



● التلاپسي (أبو عبدالله محمد بن أبي جمعة) – المتوفى نحو سنة ٧٨٠ – (١٧):

كان طبيب السطان أبي حو (من ملوك بني عبدالواد، أصحاب تلمسان) ذكر له المقري في «النفع»، مما مدح به مدينة تلمسان، قصيدة طويلة، وكان ابن حو هذا يحتفل بالمولد النبوي الشريف احتفالا مهيبا، تردد فيه «أمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام، يخرجون فيها من فن الى فن، ومن أسلوب الى أسلوب (١٨)» وفي «أزهار الرياض» مدحه نبوية تتضمن مقطعا مدحيا في السطان – للتلاپسي، جاء أنها ألفت في مولد سنة سبع وستين وسبعمائة، أولها:

ي مدمع هتّان	ينهلّ مثل الورد
قد صير الأجفان	ما إن لها من أثر
حُوقّ له يجري	دما على طول الدوام
مُذجد في السير	ناسنّ الى خير الأنام
وعواقني وزري	ياصاح عن ذاك المقام

وتنتهي بـ:

(١٦) – نفع – ط . محي الدين ٢٩٣/٩ ولا نعرف من صاحب «بنفسج الليل» لكن هناك على كل حال – موشحة لابن سهل لها نفس البناء هي «باكر الى اللذة والاصطباح بشرب راح فما على أهل الهوى من جناح».

(١٧) – ج ٩ ص ٣٣٦

(١٨) – «نفع» ج ٩ ص ٢١٦

تَاهَتْ تِلِيْسَانُ بِمَلِكِهِ عَلَى الْبِلَادِ
صَارَ لَهَا شَبَانُ وَسَعْدُهَا حَلْفٌ أَزْدِيَادُ
قَدْ ضَلَّ أَنْسَانُ قَالَ بِهَا يَشْكُو الشَّهَادُ:
لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانُ وَالْحَبِّ تَرْبُ السَّهْرِ
وَالصَّبْرُ لِي خَوَانُ وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَيْرِي (١٩)

والخرجة استعارها من ابن سهل الاشبيلي، وهي، عنده مطلع احدى
موشحاته. (٢٠) وله موشحات أخرى وردت في «بغية الرواد» (٢١) لأبي
زكريا بن خلدون منها تبدأ بالمطلع التالي:

يَا وَيْحَ صَبِّ بَانَ عَنْهُ الشَّبَابُ وَأَوْدَعُ لَهَيْبَ وَجْدٍ عِنْدَمَا وَدَّعُوا
وخرجتها عامية: وأخرى مطلعها:

سُحِّي أَبَا مَقْلِي وَأَنْهَلِي بِدَمْعِكَ الْوَاكِيفِ الْمَنْهَمِلِ



• ابن زمرك (أبو عبدالله، محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد يوسف
الصريجي): (٢٢)

أشهر تلامذة لسان الدين بن الخطيب، وهو الذي تولي الوزارة على

(١٩) — «أزهار الرياض» ٢٤٧/١

(٢٠) — انظرها في ديوانه، ص ٢٩٦

(٢١) — نقلا عن «موشحات مغربية» ص ١٠٦ — ١٠٧

(٢٢) — أهم المصادر عن ابن زمرك: «نفح الطيب» ج ٩ ص ٤ — ١٢٧، ص
١٣٩ — ١٤١ (ط محي الدين) و«أزهار الرياض» ٢٦٣/١، ٧/٢ — ٢٠٦ واعتمد
في ذلك على كتاب لابن الأحمر (ابن يوسف الثاني ملك غرناطة) يحمل عنوان «البغية
والمذكور من كلام ابن زمرك» — وهو مفقود — وللمستشرق بلاشير دراسة عنه نشرت في
حوليات جامعة الجزائر سنة ١٩٣٦ بعنوان:

Ibn Zumruk et son oeuvre

وأفضل ما كتب عنه دراسة لايمليجوارثيا جومث ترجمها د. الطاهر مكي مع غيرها
تحت عنوان «مع شعراء الأندلس والمنتبي»

أشرف فراره من غرناطة، وكان لابن زمرك دور كبير في المحنة التي تعرض لها أستاذه. ونجد لابن الخطيب مواقف متعارضة عنه، ففي الطور الأول كان يشيد بابن زمرك، ويقول فيه: «هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس، وأفراد نجياتها.. شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه.. وامتد في ميدان النظم والنثر بآع، فصدر عنه من المنظوم في امداحه قصائد بعيدة الشأن في مدى الاجادة» (٢٣)

وفي الطور الثاني، بعد أن فسد ما بين الرجلين، نرى ابن الخطيب يقول عن ابن زمرك في «الكتيبة الكامنة»: «هذا الرجيل والتصغير على أصله، وإن لم يعب السهم صغر نصله، مخلوق من مكيدة وحذر، ومفطور اللسان على هذيان وهذر.. وإن نفذ القدر والمكتوب فأنا المعتوب.. إذ اصطفيته وروجه ولغيري ما أحوجته.. فهو اليوم لولا النشأة الشائنة والذمامة البائنة، صدر العصبه ونير تلك النصبه» (٢٤) وعنى صاحب «النفح» و«الأزهار» بابن زمرك وشعره وموشحاته أيما اعتناء، ومن بين ما أورده له خمسة في مدح ابن الأحمر عندما استرد ملك غرناطة:

أرقتُ لبرقي مثل جفني ساهراً
ينظّم من قطر الغمام جواهرها
فببسم ثغر الروض عنه أزهراً

وصبح حكى وجه الخليفة باهراً تجسم من نور الهدى وتجسدا
وتقع في سبعين دورا، وتحدث عنها جونث في ثانيا ما أورده عن
موشحات ابن زمرك فقال: «هي خمس عشرة، واحدة منها طويلة جدا،
تتألف من سبعين دورا، وكل دور يتألف من خمسة أبيات موشحية».

(٢٣) - «الإحاطة» ٣٠٠/٢ - ٣١٤

(٢٤) - «الكتيبة الكامنة» ص ٢٨٢. ط عنان

وبعد أن عرض لشكلها انتهى الى القول بأنها «ليست موشحة حقيقية والأدق أن يقال انها قصيدة مسمطة» (٢٥)

والحق أن المقرئ احتفظ بخمس عشرة موشحة من موشحات ابن زمرك، ولكن ليس من بينها هذه الخمسة الطويلة التي أوردنا مطلعها، ولعل ما أوقع جومث في اللبس أن المقرئ أورد أربع عشرة موشحة متتابعة، وكان قد ذكر قبلها هذه الخمسة، أما الموشحة الخامسة عشرة فتأتي بعد ذلك بأكثر من عشرين صفحة، وبعد أن كان المقرئ قد فرغ من الحديث عن ابن زمرك، ومضى في ترجمة تلميذ آخر من تلاميذ لسان الدين بن الخطيب هو أبو العباس السبتي، ثم رجع مرة أخرى الى ترجمة ابن زمرك، وأنهى الكلام عنه بـ: «وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك، فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي هذه:

لو ترجع الأيام بعد الذهاب لم تقدح الأيام ذكرى حبيب
وكل من نام بليل الشباب يوقظه الدهرُ بصبح المشيب
الخ وذكرها كاملة.

وإذن فإننا — وبعد استبعاد هذه المطولة التي تحدثنا عنها — نملك خمس عشرة موشحة لابن زمرك، ذكرها كلها المقرئ (وتأتي سبع منها في «الغزالي المائسات»)، ونص على أنه انتقاها من كلام ابن الأحرر، وأول هذه الموشحات قيلت «في التشوق إلى غرناطة ومدح الغني بالله:

بِاللهِ يَاقامَةِ القَضيبِ ومُخجِلِ الشَّمسِ والقَمَرِ
مَنْ مَلِكِ الخِشَنِ في القلوبِ وإيدِ اللَّحظِ بِالحَوَرِ
مَنْ لَمْ يَكُن طَبَعُهُ رَقِيقًا لَمْ يَدْر ما لَذَةُ الصُّبَا

(٢٥) — انظر: جومث، المرجع السابق، ص ٢٦٤ — ٢٦٥

فَرُبُّ حُرِّ غَدَا رَقِيقَا تَمِيلُكُهُ نَفْحَةُ الصَّبَا
نَشْوَانٌ لَمْ يَشْرَبِ الرَّحِيقَا لَكِنْ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا

وتتضمن هذه الموشحة ثمانية أفعال (فهي أطول قليلا من المعتاد) ولا تأتي
الخرجة فيها مسبوقة بـ « قال، أو قلت، أو غنى أو غنيت، أو غنت » كما اشترط
ابن سناء الملك في مقدمة « دار الطراز » بل تختم الموشحة بـ :

مَوْلَايَ يَا عَاقِدَ الْبِنُودِ تَظَلُّلِ الْأُوجَةِ الصَّبَاخِ
أَوْحَشْتَ يَا نَخْبَةَ الْوُجُودِ غَرْنَاطَةٌ هَالَةٌ السَّمَاخِ
سَافَرْتَ بِالْيُمْنِ وَالسُّعُودِ وَغَدَّتْ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاخِ
يَا مُلْهِمَ الْقَلْبِ لِلْغُيُوبِ وَمُظْلِعِمَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ
أَسْمَعُكَ اللَّهُ عَنِ الْقَرِيبِ عَلَى السَّلَامَةِ مِنَ السَّفَرِ

أما الموشحة الثانية :

نَسِيمِ غَرْنَاطَةِ عَلِيلٍ لَكِنَّهُ يُبْرِئِي الْقَلِيلِ

فتساوى في طولها مع الموشحة السابقة، أما الخرجة فهي :

أَنْجَزْ لِي وَعَدَّكَ الْقَبُولُ فَلِمَ أَقْلَ مِثْلَ مَنْ يَقُولُ:
يَا سَرِحَةَ الْحَيِّ يَا مَطْلُولُ شَرِّحُ الَّذِي بَيْنَنَا يَطُولُ

وفيا يبدو أن الشطرتين الأخيرتين مطلع (أو ربما خرجة) موشحة أندلسية،
ارتكز عليها ابن زمرك في موشحته هذه، وفي صنيعه هذا لون من الخروج على قواعد
الخرجة فالمتفق عليه — كما ذكرنا — أن الخرجة كلها تكون مقول قول وليس
قسماً منها كما هو الحال في هذا النص، على أنه في الموشحة الثالثة :

نوايسم البستان تنثر سلك الزهر والقل في الأغصان ينظمة بالجواهر

راعى الأصول المتبعة في الخرجة (وان لم يلتزم بالطول التقليدي للموشحة) اذ أنه بناها على غرار موشحة ابن سهل « ليل الهوى يقظان » وجعل من مطلعها خرجة لموشحته .

ويتوالى الخروج على تقاليد الموشحة في النص الرابع، وهو في الصبوحيات :

ريحانة الفجر قد أطلت خضراء بالزهر تزهر
وراية الصبح قد أظلت في مرقب الشمس تنشر

فالنص أطول من المعتاد، والخرجة في هذه المرة هي نفسها مطلع الموشحة، وهذا ما لم نره في موشحات السابقين.

وليس في موشحة « قد طلعت راية الصباح » ما يستوقف النظر (باستثناء طولها المسرف) أما التي تليها : « في كؤوس الثغر من ذاك اللبس » فتأتي في ثمانية أفعال، وخرجتها مطلع موشحة أندلسية مهد لها في نهاية البيت الأخير :

أخجلت من قال في الصبح الوسيم مُغَرِّمًا صَبَا:
« غرد الطير فنبهه من نعس يا مدير الأراج »
« وتعرى الفجر عن ثوب الغلس وانجلي الإصباح »

وتتكرر في بقية موشحات ابن زمرك نفس الظواهر التي أشرنا إليها من قبل، وتتمثل في الطول غير العادي للموشحة، وفي مجيء الخرجة غير مسبوق بما يدل على أنها قول أو أغنية مما يجيء على لسان العاشق أو محبوبته أو نحو ذلك، بل ان روح البساطة والحرارة والحدة اختفت من موشحات ابن زمرك، واختفت بطبيعة الحال كل السمات الخاصة بالخرجة التي كان الشرط فيها « أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة، ولغات الداصة .. » كما حدثنا ابن سناء الملك.

وربما كان أجود موشحات ابن زمرك موشحته النبوية :

لو ترجع الأيام بعد الذهب لم تقدح الأيام ذكرى حبيب
وكل من نام بليل الشباب يوقظة الدهر بصبح المشيب

ففيها صدق وحرارة وتدفق ووثبات فكرية شجية:

باراكب المعجز ألا نهضة قد ضيق الدهر عليك المَجَال
لا تحسبن أن الصببا روضة تنام فيها تحت فيء الظلال
فالعيش نوم والردى يقظة والمر ما بينها كالحَيَاك
والعُمُر قد مر كمر السحاب والمُلْتقى بالله عما قريب
وأنت مخدوع بلمع الشراب تحسبه ماء ولا تستريب

وخلاصة القول أن موشحات ابن زمرك تعد مثالا واضحا للنماذج التي لم تلتزم بقواعد هذا الفن كما تمثلت عند مجموع موشحي الأندلس، وهذا الخروج عن المألوف سيزداد مع الأيام تنوعاً على أيدي المتأخرين، وهذا ما سنتناوله فيما بعد.



● ابن العربي العقبلي (أبو عبد الله محمد) (٢٦)، من شعراء القرن الثامن الهجري:

ذكره المقرئ في «ازهار الرياض» - نقلا عن الوادي آشي (٢٧) - فقال: «إمام الصناعة، وفارس حلبة القرطاس والبراعة، واسطة عقد البلاغة والبراعة» ووصفه بأنه «شاعر العصر، ومالك زمامي النظم والنثر والفقير العالم المتقن العارف الأوحده النسبىه النبيل ..» وأتى بنماذج من رسائله وشعره

(٢٦) - انظر عنه «نفح الطيب» ط احسان عباس ٥٢٩/٤ - ٥٤٨، و«أزهار الرياض» ج ١ ص ٧٢ - ١٠٢ واعتبارا من ص ٥٤٨.
(٢٧) - انظر عنه «النفح» الطبعة السابقة ج ٦ ص ١٠١

وموشحاته. فن ذلك رسالة سماها بـ «الروض العاطر الأنفاس، في التوسل الى المولى الإمام سلطان فاس» كتبها على لسان الغنى بالله ملك غرناطة بعد خلعه في التوسل الى سلطان فاس، وهناك أبيات يصور فيها حصار النصارى لغرناطة، ويضيف المقرئ:

«وله — رحمه الله تعالى — في الموشحات اليد الطولى، فن ذلك قوله « :

بدرُ أهل الزمان الرفيع المستوى
لم تزل في امان من كسوف البدرِ

وذكر له قطعة من موشحة أخرى أولها :

هل يصلح الأمان من شبيه البدرِ
وهل مثل الزمان منتقم للفدرِ

وهاتان الموشحتان نسجتا على منوال «ضاحك عن جان» للأعمى التطيلي وفيما يبدو أن ابن العربي كان مولعا بهذه الموشحة، فقد عارضها بموشحتين أخريين مطلع احدهما:

بان لي ثم بان ذا حدود حُمُرِ
ينثنى مثل بان في ثياب خضر (٢٨)

ومطلع الثانية :

هل لمرآك ثمان في سنناه الدُرَى

(٢٨) — راجع النص في مجموعة «الموشحات والازجال» لجلول بلس وامقران ج ٢

ص ٦٠

أَوْ لِحَوْبَيَّ ثَانُ عَنْ هَوَاهَا الْمُعْذِرِي

وقد فضل المقرئ هذه المعارضات على صنيع ابن أرقم، الذي تقدم ذكره.



● اللخمي الغرناطي (أحمد بن علي)، من شعراء النصف الثاني من القرن التاسع الهجري:

له في «العذارى المائسات (٢٩)» موشحة يسبقها: «قال .. على أثر قفوله من الحج عام ٨٤٩» وأولها:

حَيَّاكَ بِالْأَفْرَاجِ دَاعِي الصَّبَاحِ قَمِ لاصْطَبَاحِ
فَالنَّوْمُ فِي شَرِّعِ الهَوَى لَا يُبَاحِ

والصَّبْحُ قَدْ جَرَّدَ مِنْهُ حُسَامُ
تَضَحَّى وَجْوهَ الزَّهْرِ مِنْهُ وَسَامُ
وَحَامُ جُنْحِ اللَّيْلِ قَدْ عَادَ سَامُ
وَخَافِقُ البَرْقِ بَدَا بِالنَّبِيَّاحِ
وَأَدْمَعُ المِزْنِ بِهِ فِي انْسِيَّاحِ

وتتضمن ثمانية أفعال، وبها مقطع مدحي (في ابن البازي القاضي) وآخرها:

وَهَا كَهَا مَوْلَايَ ذَاتَ اعْتِقَانِ
تَرْجُونَدِي يَفْضِي بِجَلِّ الْعِقَانِ
وَهَا أَنَا عَارِضَةٌ فِيهَا مَقَانِ
كَمَا يُقَانِ
لَلانْتِقَانِ
قَنْ كَانَ قَانِ:

بنفسح الليل تذكى وفاق فوق البساطاخ
أظنه يسقى بماء وراح

والخرجة مطلع موشحة أندلسية ذكرها المقرئ (٣٠)، وعلى نفس النسق
موشحة لسان الدين بن الخطيب مطلعها:

قد تحرك الجملجل بازي الصباخ
والفجر لآخ
فيا غراب الليل حث الجناخ

وهناك موشحة لابن سهل الإسرائيلي مطلعها:

باكر إلى اللذة والاصطباخ
بشرب راح
فما على أهل الهوى من جناخ

وتعد موشحة اللخمي من النصوص القليلة التي وصلت إلينا من أعمال
الوشاحين في أخريات العهد الغرناطي.



● ابن عاصم (أبو يحيى محمد بن محمد، القيسي، الأندلسي، الغرناطي) المتوفى
بعد سنة ٨٥٧هـ: (٣١)

كان أبوه (أبو بكر بن عاصم) من فقهاء المالكية، وولى القضاء في غرناطة

(٣٠) — انظر «النفح» ج ٩ ص ٢٩٣، وراجع ما ذكرناه عن لسان الدين بن
الخطيب.

جاء بعدها في «العدارى المائسات» مدح في الموشحة كتبه ابو عبد الله محمد الارزق
(المتوفى سنة ٨٩٦ هـ) وراجع عنه «الأعلام» ١٨١/٧ منه انها «موشحة حللت
السحر، وسرت نواسمها بعنبر السحر.

بعثت بها عذراء رائعة الحلا قضت أنها للمعلوات مرشحة
توشحت اللفظ البديع وأقبلت فها هي تبدو للعيون موشحة!
(٣١) — انظر عنه «الأعلام» ٢٧٧/٧ والمراجع المذكورة فيه

(وهو صاحب كتاب: حدائق الأزهار، وتوفى سنة ٨٢٩ هـ)، وتولى هو بدوره القضاء بفرناطة، وكان من وزرائها، وله كتاب يعد بمثابة الذيل على «إحاطة» لسان الدين بن الخطيب، عنوانه «الروض الأريض في تراجم ذوى السيوف والأقلام والقريض» وكتاب آخر بعنوان «جنة الرضا» نقل عنه المقرئ في أكثر من موضع - في حث المسلمين على انقاذ الأندلس.

والمقرئ يصف أبا يحيى بن عاصم بـ «قاضي الجماعة، ومنفذ الأحكام الشرعية المطاعة، صدر البلغاء، علم العلماء، ووحيد الكبراء، وأصيل الحسباء، الوزير الرئيس المعظم» (٣٢)، ويورد له في «الأزهار» (٣٣): «قصيدة تنفك منها قصيدتان أخريان بديعتان إحداهما من المکتوب الأحمر، والأخرى المکتوب الأخضر، وكل واحدة من هاتين البتتين تلد موشحة ..» والقصيدة أولها:

أما والهوى (ما كنت) مُدْبَانٌ عهدهُ أهيْمُ بِلُقيَا من (تنائس) وردة
 رعى الله (لو أنصف) الصبَّ في الهوى لما فاض منه (الدمع) مذبان صدّه
 ولو جاء من (بعد المطال) بِرَوِّهِ لما شَبَّ أشواقى وقلبي زندهُ
 كما خانَ صبرى يومَ أصبحَ (واصل) لظى) زادَ ماءَ (من جفونى) وقدهُ

وهي طويلة، وذكرها المقرئ بتمامها (ولا نرى كبير غناء فيها)،
 استخلص منها قصيدة أولى أولها:

(تنائس الدمع) من جفونى (كالذّر) من سلكه الثمين
 (مُدْ أعوز الوصل) والتلاقي (من بدر) حُسنِ بلاقيين
 (عَلِقتُ في الحُبِّ) ظبى إنسى (جماله) مرتعُ العُيون

حتى إذا اتمها استخلص منها موشحة أولها:

(٣٢) - «نفع» ط احسان عباس ج- ٧ ص ١٣

(٣٣) - ج- ١ ص ١٤٥

تسائر الدمع كالذُرّ مذ أعوز الوصل من بَدْرِ
عَلِقْتُ فِي الحُبِّ جَمَالَهُ

واستخلص قصيدة ثانية أنتجت بدورها « موشحة » أولها :

ما كنتُ لو أنصف أصلى لظى الوجد المقيم
كالقمر الزاهي عليه كالليل البهيم

ولم يكتف المقرئ بهذا القدر، بل قدم منها « موشحة » أخرى مختصرة !



● ابن سعيد الفاسي، المتوفى بعد السبعين وثمانمائة :

جاءت له في « المنتقى المقصور » (٣٤) موشحة مطلعها :

يا عُمرَيْبَ الحَيِّ من حَيِّ الجِمْي أنتم عيدي وأنتم عُرسِي
لم يحل عنكم ودادي بعدما حُلْتُم لا وحياة الأنفِسِ

والموشحة نفسها ترد في « النفع » (٣٥) على أنها « لبعض متأخري المغاربة » ، وترد في بعض المجاميع منسوبة لفخر الدين المكناسي .
وغني عن الذكر أن الموشحة ألفت على نمط « هل درى ظي الحمى » لابن سهل ، وجادك الغيث للسان الدين بن الخطيب .

والموشحة تتعرض في شطرها الأول لموضوع الحب ، على نحو شفيف عذري بعيد كل البعد عن المشاعر الحارة المتوهجة التي ألفناها في أعمال الوشاحين

(٣٤) - نقلا عن «موشحات مغربية» ص ١٤٨ (٢) - ج ٩ ص ٢٧٢

(٣٥) - أنظر عنه «الأعلام» ٢٢١/١ والمراجع المذكورة فيه

القدامى ، ذلك لأن صاحبها إنما تذرع بموضوع الحب لكي ينتقل — في الشطر الثاني من الموشحة — للمديح النبوي :

هِمَّتْ فِي أَطْلَالٍ لَيْلِي وَأَنَا لَيْسَ فِي الْأَطْلَالِ لِي مِنْ أَرْبٍ
مَا مُرَادِي رَامَةٌ وَالْمُنْحَنَى لَا وَلَا لَيْلِي وَسُعْدِي مَطْلَبِي
إِنَّمَا سَوِّي وَقَصْدِي وَالْمَنَى سَيِّدُ الْعُجْمِ وَتَنَاجُ الْعَرَبِ

ولا تنتهي بخرجة واضحة المعالم ، كما هو الحال في سائر الموشحات الأندلسية المعروفة ، والنص لا يتألف إلا من خمسة أفعال ، فهل هذا دليل على أنه مبتور؟



● الخُلوْف (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن) المتوفى سنة ٨٩٩ هـ (٣٦) :

شاعر تونسي ، له مؤلفات في النحو ، وكان من مداح عثمان الحفصي (آخر ملوك الدولة الحفصية) وهناك موشحة أولها :

قَابَلَ الصَّبْحُ الدُّجَى فَانْهَزَمَا وَمَا بِالسَّيْفِ أَفْقَ الْغَلَسِ
وَجَلَا الْغَيْمُ بِبَرْقِ رَقْمَا ثَوَّبَ دَيْبَاجَ بِهِ الْجَوْ كُوسِي

جاءت في «الدراري السبع» (٣٧) منسوبة لـ «ابن خلوف المغربي» ، كما جاءت في «الكواكب السبعة» (٣٨) على أنها للخلوفي ، ونرجح أن المقصود في كلتا الحالتين هو الخلوف الذي ذكرناه .
وله في «المجموعة النهائية» موشحة أولها :

(٣٦) ص ٢

(٣٧) — مخطوطة الظاهرية

(٣٨) — ج — ٤ ص ٤٦٦ (وهو غير ابن خلوف (المسلمي) الذي ذكره ابن رشيق في «الأتموج».)

ما جَرَّدَ عن معاطف الأَغصَانِ ثوبَ السُّورِقِ
إلا وبكْتُ بدمعِهَا الهَتَّانِ عَيْنُ الأَفْقِ



بعض وشاحي المغرب في العصور المتأخرة

● المنصور السعدي (أحمد بن محمد الشيخ المهدي بن القائم بأمر الله) المتوفي سنة ١٠١٢ هـ .

رابع سلاطين الدولة السعدية بالمغرب الأقصى . تولى الأمر سنة ٩٨٦ هـ ، وعرف ببعده وطموحه وفتح ذهنه ، وأجمع المؤرخون على أنه كان « محباً للعلم ، كتب الى بعض علماء مصر يستجيزهم فأجازوه ، ورسائله إلى الجهات ، خصوصاً ما كان منها في أخبار الفتح ، تدل على ممارسة للأدب وعلم ومعركة » (١) . وفي « نفح الطيب » من موشحات السلطان المنصور :

رِيَانٌ مِنْ مَاءِ الصَّبَا	أهيف وممتلىء البُرود
كَالْقُضْنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا	فوق رُيا الشهبِ
قَدْ قَلَّتْ لِمَا أَنْ سَبَى	بجسنيه يَسْبِي
مِنْ عَيْنِهِ سَلَّ ظُبَا	وغمدها قلبي
أَسْرَفِي مَاضِي الشَّبَا	أوظف مرزح القد (٢)

ولا ترد تامة ، وذكر له قسماً كبيراً من موشحة أخرى يعارض فيها لسان الدين ، وابن الصابوني :

وليبالي الشُّعورِ إذ تشرى ما لنهرِ النهارِ من فَجْرِ

(١) — انظر عنه «الأعلام» ٢٢٤/١ والمراجع المذكورة فيه

(٢) — «نفح» — ط عبد الحميد — ٢٨٠/٩

حبّذا الليلُ طال لي وحدي
لوتراني جعلته بُردى
فاطمياً في خلعة الجعدي

هي ليلي أختُ بني بِشْرِ فأيّن أنتَ يا أبا بذرٍ

وتنتهي بـ:—

وهلاكٌ في حُسنه اکتَمَلا
هو شمسٌ وأضلعي الحَمَلا
قام يشدو وينثي في مُلا

قسماً بالهوى لذي حجرٍ مالليلِ المَشُوق من فَجْرِ (٣)

وهذه الخرجة مستعارة من مطلع موشحة لابن الصابوني ، ونسج ابن الخطيب على منوالها . وللمنصور السعدي موشحة ثالثة على وزن « هل درى » لابن سهل و « جادك الغيث » لابن الخطيب :

عَطَّر الأرجاء لما نَسَمَا شمأل الصَّهباءِ عند الغلَسِ
وأنت شمسُ الضُّحى تنسِخُ ما يقرأ الليلُ لنا من عَبَسِ (٤)

• • •

● الفشتالي (أبو فارس ، عبد العزيز بن محمد) المتوفي سنة ١٠٣١هـ (٥) :

(٢) — المرجع السابق ، ٢٨١/٩ وجعلها له. الدراري في «موشحات مغربية» ص ١٥٣ للمسفيوري

(٤) — «الدراري السبع» ص ١٥

(٥) — أنظر عنه د. الجراي «موشحات مغربية» ص ١٥٤ والمراجع العديدة المذكورة فيه، وأنظر ماجاء في «الأعلام» ج٤ ص ١٥٢

وزير المنصور السعدي ، الذي تقدم ذكره ، أورد له المقرئ في النفع كثيراً من شعره ، وقال أنه تناول أخباره في كتابه « بعض الآس ، العاطر الأنفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام مراکش وفاس » ، ووصفه بأنه « كان أوحد عصره ، حتى أن سلطان المغرب كان يقول : ان الفشتالي نفتخر به على ملوك الأرض ، ونباري به لسان الدين بن الخطيب (٦) » .

ويذكر المقرئ في موضع آخر (٧) أن لسان الدين بن الخطيب ألف « كتابه المسمى بجيش التوشيح ، وأتى فيه بالفرائب ، وذيل عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب ، العلم الشهير المنفرد في عصره بجيازة قصب السبق في البلاغة ، سيدي عبد العزيز بن محمد الفشتالي — رحمه الله تعالى — بكتاب سماه « مدد الجيش » .. ، وأتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة ، وضمنه من كلام أمير المؤمنين مولانا المنصور أبي العباس أحمد الشريف الحسني — رحمة الله تعالى ورضوانه عليه — مازاده زينا ، وأخبرني .. أنه ذكر فيه لأهل العصر في أمير المؤمنين ولأمير المؤمنين المذكور أزيد من ثلاثمائة موشح » .

وقد ضاع « مدد الجيش » ، ولم تصل منه إلا نصوص مبعثرة في « النفع » وغيره ، وهناك — في خزانة المكتبة الناصرية بمدينة سلا — أوراق يظن أنها من « مدد الجيش » ، جاء فيها من نظم الفشتالي نفسه موشحة أولها :

سَبَّجَ الهَمَّ حَيْثَمَا حَلَا	بِالْقَلَمِ يَنْتَخِجُ
فَارْتَشِفَ مِنْ حَبَابِهَا دُرًّا	فِيهِ .. سَدَخُ
قَهْوَةٌ زَفَهَا الهَوَى بِكُرًّا	دَائِمًا خَدْرُهَا
سَبَكْتَ فِي أَكْوَابِهَا تَبْرًا	نَارُهَا نَوْرُهَا
وَجَرْتَ قَوَارِيرَهَا تَتْرَى	بَرَزَتْ شَقْرُهَا
عَدَّ عَنْ قَوْلِ مَنْ لَحِيَ جَهْلًا	دَائِمًا يَصْرُخُ
وَاجِرِي مَنْ سَلَفِهَا بَخْرًا	مَالَهُ بَرَزْخُ

(٦) — «نفع الطيب» جـ ٨ ص ١٦٨ (ط محي الدين) وفيه القشتالي. وهذا محض خطأ

(٧) — المرجع السابق جـ ٩ ص ٢٧٧

والنص الذي بين أيدينا يتركب من أربعة أقفال ، فهو — فيما نرجح — غير كامل ، وتدور الموشحة حول المديح ، وخرجتها :

بك غتّى قنْ أنشد الرملا في الذهب ينفض
ساعد الله خليفة برّا والظفر لؤاخ (٨)



● العقاد :

ينسب له نص أوله :

ليت شغري هل تُرى أروي الظما من ظمي ذاك الثغير الألعس
وترى عيتاي ربّات الحمى زاهيات بالقُدود المُيس

وقد ذكر المقري أنها من «قول أحد الوافدين من أهل مكة ، على عتبة السلطان مولانا المنصور ، وهو رجل يقال له أبو الفضل بن محمد العقاد ، وقد عارض بها موشحتي لسان الدين وابن سهل السابقتين» (٩) .

شاعرنا إذن مكّي مشرقي ، ولكننا نذكره هنا لنزيل اللبس الذي وقعت فيه بعض المراجع ، فن ذلك مجموعة «الدراري السبع» (١٠) وتسميه بـ «أحمد العقاد الاشبيلي» ومجموعة «الكواكب السبعة السيارة» (١١) وتسميه بـ «محمد بن العقاد الأندلسي الشهير بأبي العباس الاشبيلي» وفي «المجموعة النبهانية» (١٢) أن هذه الموشحة لمحمد بن العقاد «الشهير بأبي القاسم الأندلسي» .

(٨) — «موشحات مغربية» ص ١٥٤

(٩) — «نفح الطيب» ج ٩ ص ٢٧٨

(١٠) — ص ٥

(١١) النص الخامس (مخطوطة الظاهرية).

(١٢) — ج ٤ ص ٣٩٨ ، وانظر عنه دراسة لنا في «المدينة المنورة» — ملحق

التراث — بعنوان «مع العقاد شاعر مكة وموشحته اليتيمة» ، ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ —

● أبو القاسم بن محمد (الغساني ، الشهير بالوزير) :

من الشعراء الذين مدحوا الملك المنصور السعدي . أورد له المقري في « روضة الآس » (١٣) قطعة من موشحة أولها :

سَقَّنِيهَا مَسْكِيَةَ النَّشْرِ فاقمِيةَ اللونِ كالتَّبِيرِ
من كَوُوسٍ رحيقُها مَخْتومٌ بشام طرازِها مرقومٌ
تحت عِقْدِ حَبابِها منظومٌ وغزالِ جمالِه معلومٌ
مائد القد ناحلِ الخصر ساجِرُ الطرفِ بارقُ الثغرِ

وله موشحة أخرى — مدح بها المنصور — جاءت في أوراق يعتقد أنها من « مدد الجيش » .

● ● ●

● ابن ابراهيم الفاسي (محمد ، الملقب ببديع الزمان) :

من مداح الملك المنصور ، وله في الأوراق التي يرجح أنها من « مدد الجيش » موشحة أولها :

بارقُ الثُّغْرِ لَاحِ عَن دُرٍّ من خِلالِ العَمِيقِ
وعُذيبُ الرِّيقِ غِذا يَجْرِي مِثْلَ كَأْسِ الرِّحِيقِ (١٤)

ولا شك أن القارئ لاحظ أن الوشاحين المذكورين في الصفحات الأخيرة السابقة لا ينتمون إلى الأندلس ، إذ أن غرناطة — آخر المدن الأندلسية التي كانت بأيدي المسلمين — سقطت سنة ٨٩٨ هـ ، وهؤلاء الوشاحون هم — بطبيعة

(١٣) — أنظر « موشحات مغربية » ص ١٢٦

(١٤) — المرجع السابق ص ١٢٧

الحال — من شعراء المغرب لا الأندلس ، على أن القدامى ما كانوا يفصلون بين الأندلس والمغرب ، هو تقليد سرنا عليه هنا .

ومن البديهي أن هناك عدداً جماً من وشاحي العصور المتأخرة ، وقد آثرنا أن نكتفي بذكر قدر محدود منهم ، ومن حسن الحظ أن هناك دراسات تناولت موشحات هذه الحقبة في كثير من التفصيل ، ومن أهم هذه الدراسات مجموعة د . عباس الجراري « موشحات مغربية » ، وهو عمل بالغ الاتقان ، يتضمن — إلى جانب النصوص التي حققها — تحليلاً تاريخياً دقيقاً لفن التوشيح بعامة ، وللموشح في المغرب الأقصى بخاصة .

وهناك أيضاً سفر هام يحمل عنوان « الأغاني التونسية » وضعه الصادق الرزقي وضمنه العديد من النصوص النادرة التي تعكس ما طرأ على فن التوشيح الأندلسي من تطورات ، كما تبين الجوانب التي استمرت فيها التقاليد القديمة للموشحة الأندلسية .

ونشير — في إيجاز — لبعض هؤلاء الوشاحين المتأخرين ، وللخصائص العامة لأعمالهم ، فنذكر منهم — على سبيل المثال — ابن زاكور (محمد بن القاسم) المتوفي سنة ١١٢٠هـ (١٥) ، وكان شاعر مدينة فاس في عصره ، وله ديوان يحمل عنوان « الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القرىض » (نشرت مختارات منه بعنوان : المنتخب من شعر ابن زاكور) ، ومن موشحاته يبدأ نص بـ :

أدير الكاسات من خير اللّمس يالها من راح تحكي الجُلنّاز
واسقنيها خمره تجلو النفس علني أرتاخ من حرّ الأواز (١٦)

وله موشحة طويلة قالها بمناسبة المولد النبوي ، أولها :

(١٥) — أنظر عنه مقدمة «المنتخب من شعر ابن زاكور» و«الأعلام» ٢٣٠/٧

(١٦) — للموشحات المغربية ص ١٦٥ وما بعدها

يا ليلة الميلاذ ما كان أحلى سمرك
شفييت ذا أنكاد بات يثيمم عُورك
فالله بالاسماد بين الليالي نصرك

ومن هؤلاء الوشاحين المتأخرين محمد بوجندار، وله موشحة طويلة أولها :

عنبر الليل وكافور الصباح بها طاب اغتباقي واصطباخ (١٧)

قم بنا فالوقت وقت الطرب
وإلى الحانات باكر واخطب
بننت دق من عصير العنب

ما على صب تعاطاها جتاخ إن الصبا والليل مسود الجتاخ

ولا يلبث أن يتغزل في الساقى ، و يصف لوعة الحب التي حلت به ، والداء الذي لا شفاء له منه غير... مدح المصطفى ، حتى اذا ما استوفى من المديح النبوي غاية اثنى إلى مدح أحد أبناء الأسرة العلوية الحسنية ، وأنهى موشحته بـ :

وسلام ترتضيه مُستدام
طاب مِن طيبك يامسك الختام
فارضة مني يا بدر التمام

ما حلا لي مدحك العذب وفاخ عنبر الليل وكافور الصباح

وهذه الموشحة على نسق :

(١٧) - موشحات مغربية ص ٢٠٩

فَيْتَكَ الْمَيْسَكُ بِكَافُورِ الصَّبَاحِ ووشت بالروضِ أعرافُ الرِّياحِ

التي يظن أنها من موشحات ابن زهر (١٨) ، لكنها أكثر تأثراً بموشحة لتقي الدين السروجي (المتوفي سنة ٦٩٣هـ ، وهو من الوشاحين المشاركة) :

عَنْبَرُ اللَّيْلِ وَكَافُورُ الصَّبَاحِ شعرةٌ والفرقُ سلطانُ المِلاخِ (١٩)
فقد استعار منها قسماً كرره في المطلع والختم (وهو أمر لا نظير له في تواشيح
القدامي) .

ومن الموشحات الأخرى ، من نظم حمدون بن الحاج :

إِنْ جُجِنَ لَيْلٌ دَاجٌ وخاتني الإضْبَاخِ
فَأَحْمَدُ الْوَهَّاجِ يُغْنِي عَنِ الْمَضْبَاخِ

وغني عن القول أنه أخذ المطلع من قول أبي حيان الذي سقناه قبلاً :

إِنْ كَانَ لَيْلٌ دَاجٌ وخاتنا الإضْبَاخِ
فَنورُهَا الْوَهَّاجِ يُغْنِي عَنِ الْمَضْبَاخِ (٢٠)

لكن الوشاح المغربي أدار النص كله حول التوسل والمديح النبوي .
ولأبي محمد حمودة بن عبدالعزيز نص يذكر ، من بعض الوجوه ، بصنيع ابن
عاصم الغرناطي في موشحته المتكلفة التي عرضنا لها قبلاً . وقد وصف جامع
«الأغاني التونسية» موشح ابن عبد العزيز بأنه «غريب التنضيد والتركيب
والتنسيق والترتيب ، فتحذف الكلمات الأولى من مصراعي أبياته وبقى الموشح

(١٨) — ذكرها المقرئ في «نفتح» ٢٠/٣ (ط محي الدين) وقال: «لأدري هل هو

لابن زهرام لا» وانظر ياقوت: «إرشاد» ٢٣/٧

(١٩) — يرد النص في «الدر المكنون» (مخطوطة باريس) ورقة ٤٩

(٢٠) — «موشحات مغربية» ص ١٨٢

صحيح المعنى والمبنى ، و يتجمع من الكلم المحذوفة من كل بيت بيت ، ثم اذا اقتصر على الحذف من الأشرطة الأول صح ، أو أبقيت وحذفت أولى الأشرطة الثانية صح كذلك ، أو أبقيت أول الثانية وحذفت ما بعدها صح أيضاً ، إلى غير ذلك من الأوجه .

وأول الموشحة :

بفؤادي جذوة القَبَسِ	حُرُّ الهَوَى
من فتورِ الأَعْيُنِ الشُّقْسِ	لا يَنْطَفِي
مذ بدا فالقلبُ أحرَقَهُ	قَلْبِي كَوَى
وجفوني منه في عُرسِ (٢١)	تَلَهُ فِي

وليس لمثل هذه الألاعيب من قيمة فنية تستحق الذكر، ولكنها تفصح عن بعض الزوايا التي اتجهت لها موشحات المتأخرين من الشعراء . ولا بن عبد العزيز هذا موشحات أخرى لا تتكىء على مثل هذا العبث ، منها ماقاله في مدح شيخه أبي عبدالله الغرياني من علماء القيروان :

بات يرعى زهراتِ الأَنْفُسِ	إنَّ ظبياً حول كِثبانِ الحِمَى
بفؤادي جذوة المقتبِسِ (٢٢)	فهو مذ لآخ سَنَاهِ أَضْرَقَا

وهذه الموشحة ، كما هو بين ، على غرار قول ابن سهل « هل درى ظني الحمى » وموشحة لسان الدين بن الخطيب « جادك الغيث » .

ولصطفى بن الإمام محمد بيرم الحنفي موشحة أولها :

يَسَالِبُ الأرواحِ	مهما أنثنى القَدُّ
--------------------	--------------------

(٢١) - «الأغاني التونسية» ص ٣٢٤

(٢٢) - المرجع السابق ص ٣٢٠

وَمَخْجِلَ الْأَلْبَابِ بِمَا حَوَى الْخَيْدُ (٢٣)
بناها على غرار ابن سهل :

بِمُهَجَّتِي تِيَّاهُ أَحْوَى أَحْمَمَ (٢٤)
تَسَاقِنِي عَيْنَاهُ كَوُوسَ سَمَمَ
وبلغت النظر في أعمال متأخري الوشاحين كثرة معارضاتهم لـ «هل
درى ظبي الحمى» لابن سهل ، و «جادك الغيث اذا الغيث همي» لابن
الخطيب ، فن ذلك أكثر من موشحة لأبي الثناء محمود قابادو، منها قوله :

صاحَها شملُ السَّرورِ انتظما واغتنمنا فُرصةَ المختليسِ
وتناولنا مصابيحَ السَّما فأدزناها مكانَ الأكؤسِ
وتلاقنا تباشيرُ الربيعِ يهداياها على هامِ الرُّبى
وأنا الدهر منها بشفيعِ فغفرنا له ما قد أذنبنا
وتحللنا في جِمي جِضني منيعِ وأمانٍ من عيونِ الرُّقبا (٢٥)
وأخرى مطلعها :

هاجَ أجفاني وقلبي المُغرما بارقَ آنستةَ من تونسِ
ويحهُ لولم يلُح ما عُليما ما أوارِي من أوارِي الموجسِ (٢٦)
والموشحتان تحتمان بمطلع موشحة ابن سهل ، وتختلفان في أنها طويلتان
طولاً مسرفاً ، وصل فيه عدد الأفعال في الموشحة الى نحو عشرين قفلاً .
وشاع لون عرف باسم «المألوف» ويسمى في بعض أرجاء
المغرب باسم «الغرناطي» وهو — بحسب تعريف الصادق الرزقي — :
«أشعار غنائية ، انتخب من قصائد وموشحات وأزجال شتى من كلام

(٢٣) — شرحه ص ٣٢٥

(٢٤) — في النص : أحورأحم

(٢٥) — الأغاني التونسية ص ٣١١

(٢٦) — المرجع السابق ص ٣١٣

الأندلسيين وأهل المغرب وبعض التونسيين، قد رصفت ونضدت بصفة تميل إليها الخواطر، وتستحسنها الأذواق (٢٧)»، وقد استعرضنا عدداً منها فوجدنا فيها، إلى جانب مقتطفات من أعمال أهل الأندلس والمغرب، استشهادات من نتاج الشعراء والوشاحين المشاركة، ففي «المألوف» الذي أوله :

لَكَ الدَّلَالُ وَأَنْتَ بَدْرٌ كَامِلٌ وَحَقُّ لِلْمَحْبُوبِ أَنْ يَتَدَلَّلَا (٢٨)
مقطع مستتل من موشحة لصفي الدين الحلبي :

شَقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنِ نَحْرِ الصَّبَاحِ أَيُّهَا السَّاقُونَ (٢٩)
وفي نص آخر أوله :

صَادَ الْقُلُوبَ بِمَقْلَةٍ وَسَنَاءِ وَسَبَى الْعُقُولَ بِطَلْعَةِ وَسَنَاءِ (٣٠)
ورد مطلع موشحة لتقي الدين السروجي :

بِالرَّوْحِ أَفْدِيكَ يَا حَبِيبِي إِنْ كُنْتُ تَرْضَى بِهَا فِدَاكَ (٣١)
وفي نفس النص بيتان من شعر بهاء الدين زهير :

يَعَاهِدُنِي لَا خَانِي ثُمَّ يَنْكُثُ وَأَحْلِفُ لَا كَلِمَتُهُ ثُمَّ أَحْنِثُ
وَذَلِكَ دَأْبِي لَا يَزَالُ وَدَأْبُهُ فَيَا مَعْشَرَ الْعُدَّالِ عَنَا تَحْدَثُوا
وليس «المألوف» - في نهاية المطاف - من الموشحات، وإن كانت

(٢٧) - نفسه ص ١٩٤

(٢٨) - نفسه ص ٢٢٠

(٢٩) - ديوان صفي الدين الحلبي ص ١٥٢

(٣٠) - «الأغاني التونسية» ص ٢٢٣

(٣١) - ترد كاملة في «الوافي بالوفيات» - مخطوطة بودليان - ج ١٥ ورقة ٨٧،

وفي «الفوات» ط. محي الدين ٤٧٤/١

أجزاء منها تدخل في تركيبه، وهو يرتبط ارتباطاً أساسياً بالغناء والموسيقى، وأما معنى لفظة المؤلف فإن ظاهرها يدل على أنها تعني «المألوف»، والذي نرجحه نحن أن أصلها «المؤلف» — بفتحة اللام المشددة — لأن نص «المألوف» — كما عرفنا — يؤلف من أشعار مختلفة تتضمن الموشح والزجل وكذلك الشعر (القريض).



موشحون تقدر تحديد العصر الذي عاشوا فيه

* اسماعيل اليهودي :

انظر : قسمونة .



* قسمونة اليهودية :

لا نعرف شيئاً عنها ولا عن عصرها ، وجاء عنها في « النفع » :
« وكان بالأندلس شاعرة من اليهود ، يقال لها قسمونة بنت
اسماعيل اليهودي ، وكان أبوها شاعراً ، واعتنى بتأديبها ، وربما صنع من
الموشحة قسماً فأتمتها هي بقسم آخر » وأورد أن أباهام امتحنها يوماً في
الارتجال ، فلما أظهرت براعة : « قام كالخبتل وضمها إليه ، وجعل يقبل
رأسها ويقول : أنت والعشر كلمات أشعر مني » (١) .

(١) - نفع الطيب (ط احسان عباس) ٥٣٠/٣

وقد رجح د. الشكعة في «الأدب الأندلسي» ص ٢٣٤ أنها «كانت غرناطية
عاشت في القرن السابع لأنه - يعني المقرئ - ذكرها بين مجموعة من شعراء القرن
السابع الغرناطين ولأن غرناطة نفسها كانت مليئة باليهود المتجمعين فيها» وفي رأينا أن
المقرئ لم يذكر قسمونة هذه بين مجموعة من شعراء القرن السابع الهجري ، فقد ذكر
قبلها حكاية عن ابن المرغوي الاشبيلي - من معاصري المعتضد بن عباد - وذكر شيئاً
عن شاعريدعى نسيم الاسرائيلي، وهو من تحدث عنهم الحجارى في «المسهب»
اما محمد المنتصر الريسوني في كتابه «الشعر النسوي في الاندلس» - بيروت
١٩٧٨ - ص ١٠٤ فيقول عن قسمونة : «يمكن لنا ان نجعلها ضمن شاعرات عصر
الطوائف ذلك أن هذا العصر تميز بازدهار الموشحات، وشاعرتنا قسمونة كانت وشاحة
ولا يتكىء هذا الرأي على سند علمي واضح.

● ابن أبي الرجال :

من الوشاحين الذين ذكرهم الصفدي في «التوشيع» ، ورجح محقق الكتاب أن يكون «الذي قال عنه ابن الأبار: نكبه المعز بن باديس الصنهاجي، وكان هو وأهل بيته برامكة أفريقية» (٢)



● ابن ملوك (أبو بكر):

عده صاحب «التوشيع» من بين مشاهير وشاحي الأندلس (٣)



● تلل الغد (٤) (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي) من الوشاحين الذين ذكرهم الصفدي في «التوشيع» (٤)



● الفليشي (أبو عمران، موسى بن محمد بن بهيج، الكفيف):

جاء عنه في «معجم السفر» للسلفي (المتوفى سنة

٥٧٦هـ) (٥):

«حدثني أبو عبدالله بن محمد بن ملوك (هل هو أبو بكر بن ملوك المذكور قبلاً؟) التنوخي الفليشي بالأسكندرية، بعد رجوعه من مكة، وفليش قرية من قرى لرقه بشرق الأندلس قال: غاب أبو عمران الفليشي موسى بن محمد بن بهيج الكفيف الربيع مدة بالمشرق، فعمل بمصر موشحاً أوله:

(٢) - «توشيع التوشيع» ص ١٨٩ وأحال على «إعتاب الكتاب» ص ٢١٤ -

٢١٥

(٣) - «توشيع التوشيع» ص ٢٢ ولعله ابن ملوك التنوخي تلميذ الحافظ السلفي انظر

«معجم السفر» ص ١٧٠

(٤) - المرجع السابق ص ٣٢ وقرأ شترن الاسم من المخطوطة على الوجه التالي: تلك

الغد

(٥) - «معجم السفر» ص ١٧٠ والنص نفسه في أخبار وتراجم أندلسية ص ٢١

ياؤنَّجِّمِينَا هل للغريب سبيل
نحو الظاعنينَا فالقلبُ منه عليل
لا يلقى مُعيناً إلاّ دموعاً تسيل
ويُجرها هُتُونَا من جفنيه ويُدِيلُ»



● ابن جودي :

تضم مخطوطة «الكواكب السبعة السيارة» موشحة أولها :

لا تلمني يا عدولي تأثماً ما ترى جسمي بسقم قد كُسي
مثل ما شرح غرامي علماً حيث أشكو وحثّة من مؤسي
وآخرها :

فتنزه في رياض خُضِرِ وغصون غرّدت فيها هَزَارُ
وانتِشِقْ عرفَ زهورِ عَطِرِ ياسمين زينته الجلنارُ
وشذا الزهرِ كمسكٍ أذِفِرِ وأقبل العذّر لابن البزدادِ
طامِعُ في رحمة الله وما خاب عبدٌ طامِعٌ لم ييأس
يا إلهي جُد علينا كرمًا يا كريمًا قبل أخذِ الأنفِسِ (٦)

ونسبت هذه الموشحة لأبي الحسن بن جودي ، ويرد النص نفسه في مجموعة «الدراري السبع (٧)» منسوباً لـ «علي بن الحوري الأندلسي» وفي اسم «الحوري» ما يوحي بأنه محرف عن «الجودي» .

والحق أن الأندلس عرفت أديباً اسمه أبو الحسن علي بن جودي ، ذكره المقري في «النفح» وقال إنه برز في الفهم ، وأحرز منه أوفر سهم ، وعانى العلوم بقريحة ذكية .. وله أدب واسع مداه ، .. ونظم أرق من دمع العاني (٨) وأورد له نماذج كثيرة تتسم بصدق الشاعرية والعذوبة ،

(٦) - النص السادس

(٧) - ص ١٣

(٨) - ج ٧ ص ٥٧ (ط احسان عباس)

منها تخميس قال إنه «مطروق بالمغرب عند أهل التلاحين وغيرهم» ، كما ذكره أخباراً مع الفيلسوف ابن بواجه (٩) (المتوفي سنة ٥٣٣ هـ).

وتجسّىء ترجمة ابن جودي في «النفح» وسط خضم من الاستطرادات ، فقد ذكر له شعراً مما جاء في «المطمح» لابن خاقان ، ثم ذكر خطبة كتاب «المطمح» وأورد بعد ذلك موشحة «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل ، تتلوها معارضة «بعض متأخري المغاربة» ، لموشحة ابن سهل ، وجاء بعد ذلك : «وقال في مباراة هذه الموشحات السابقة» ثم أورد النص الذي ذكرنا أوله وخاتمته ، فهل تعني : «وقال ..» رجعة الى ابن جودي أم لا ؟

إننا نرجح أن صاحب «الكواكب السبعة» اطلع على ما في «النفح» ، واعتبر أن النص المذكور لأبي الحسن علي بن جودي ، ولا نوافقه على هذا الرأي ، وعندنا أن هذه الموشحة أقرب الى أن تكون من نظم بعض متأخري الوشاحين المغاربة ، وبحسبك أن تنظر لمثل قوله «مثل ما شرح غرامي علماً» أو «وانتشق عرف زهور عطر» لتستدل على صحة ما نقول .

ومن جانب آخر فإن هذه الموشحة لو كانت لابن الجودي (المتوفي في القرن السادس الهجري) لما صح أنها معارضة لموشحة ابن سهل «هل درى» وابن سهل — كما هو معروف من أدباء القرن السابع الهجري ، ولوجب القول بأن ابن سهل (ومن عارض موشحته «هل درى» مثل لسان الدين بن الخطيب) هو الذي عارض ابن الجودي ، وهذا ما لم يقل به أحد .



● ابن عيسى الاشبيلي :

شخصية مجهولة ، لم نجد لها ترجمة ، وأورد له ابن سعيد في «المغرب» موشحة جميلة مطلعها :

(٩) — شرحه ، ج ٣ / ٣٣٤

عرف الروض فاح والاطر قد غنى
والصباح أضاح فباكر الدنيا (١٠)

ونستبعد أن يكون ابن عيسى هذا هو أبو بكر محمد بن عيسى المشهور بابن اللبانة - وقد سبق الحديث عنه - لأن ابن اللبانة وعلى الرغم من أنه أقام في اشبيلية طويلاً (في كنف المعتمد بن عباد) إلا أنه لا ينسب في العادة لها بل الى دانية .

• • •

• ابن البنا التلمساني :

جاءت في «العداري المائسات» موشحة مطلعها :

من أطلع فوق مائس الرياح بـ بدر الأفق
هتز منعماً على كئبان تحست القسق

نسبت «للفقيه الأديب أبي عبدالله محمد بن البنا، كاتب شاعر متخلق ظريف، من أهل تلمسان» (١١)، فهل المعنى هنا «أبو عبدالله بن العباس التلمساني» من علماء القرن الثامن الهجري، وقد ذكره المقرئ في «نفع الطيب» وقال : «إنه كان رجلاً صالحاً» (١٢) ؟ لسنا على ثقة من ذلك، لأننا لم نجد له ما يدل على أنه كان شاعراً .
وخرجة الموشحة :

ما أخجل قده غصون البان بين الورق
الا وسبا المها مع الغزلان سود الحادق

وهي بعينها مطلع موشحة مشرقية شهيرة (١٣) لصدر الدين بن الوكيل (المتوفي سنة ٧١٦ هـ) ألفها على نسق موشحة «مذ شمت سنا

(١٠) - «المغرب» ٢٨٢/١

(١١) - ص ٨٣

(١٢) - ج ٥ ص ٢٦٧ (ط احسان عباس)

(١٣) - انظرها في «الوافي بالوفيات» ٢٨٠ / ٤

البروق من نعمان (١٤) « للسراج المحار، وعلى غرار موشحة الشهاب
الموصلي « مذ غردت الورق على الأغصان » (١٥)



(١٤) — ترد في «توشيح التوشيح» ص ٨٥
(١٥) — نحيء في «الوافي بالوفيات» ٢٨٠ / ٤

مسك الختام

لعل الموشحات أهم الأشكال التي تفتقت عنها القريحة العربية، في سعيها الحثيث نحو الابتكار والتجديد فقد ظهرت قبلها وواكبها ألوان أخرى متنوعة، بالفصحى وبالعامية، مثل المسمطات والدوبيت... الخ، ولكن كثيراً منها انطوت صفحته منذ أمد بعيد، أو عاش مغمور الشأن ضئيل الأثر، أما الموشحات فإنها ازدادت مع الأيام رونقاً، وشمل تأثيرها العالم العربي كله، بل والأكثر من هذا أنها تعدت نطاق العالم العربي، وظهرت على غرارها موشحات بالعبرية، فضلاً عن أن جمهرة من علماء الغرب تذهب إلى أن الموشحات (والأزجال) تمثل الركيزة التي بنيت على أساسها أغاني التروبادور، إلى غير ذلك من قضايا تتجاوز نطاق هذه الكلمة.

والموشحات — في واقع الأمر — فن أندلسي خالص، بمعنى أنه لم يعرف في صورته الناضجة المكتملة إلا على أرض الأندلس، وليس في هذا الرأي ما يتعارض والقول بأن هناك أعمالاً ظهرت بالشرق، يعدونها بمشابة الإرهاص أو التمهيد لظهور هذا اللون الجديد، الذي بزغت شمس في أخريات القرن الثالث الهجري، على يد شعراء مثل محمد بن محمود (أو حمود) القبري، ومثل مقدم بن معافي، الذي ينتسب بدوره إلى قبيلة، إحدى القرى الواقعة قرب قرطبة.

ويضم كتاب «الذخيرة» لابن بسام أقدم إشارة وصلت إلينا عن طور نشأة هذا الفن:

«وأول من صنع هذه الموشحات بأقننا واخترع طريقها — فيما بلغني — محمد بن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار من الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريف المهيمة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو العجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان».

وهذه الفقرة غاصة بالمصطلحات غير محددة الدلالة ، وفيها إشارة عابرة إلى أوزان الموشحات الأولى وما كانت عليه من ارتكاز على مقطع عامي - شعبي ؟ أو اعجمي (بالرومانث ، لغة الأسبان الأصليين) ، وبها تلميح إلى شكل لا «تضمين» فيه ولا : «أغصان ، الصورة كلها تتسم بالغموض ، ومع ذلك فإنها تترك في النفس انطباعاً ما بأن شكل الموشحة القديم كان شديد البساطة ، ليس فيه هذا الإكثار من الأجزاء في الأقفال والأبنيات ، الذي يلحظ في كثير من النصوص التي ألفت في فترات لاحقة ، ومعنى آخر إن صورة الموشحات في مرحلة تكوينها كانت أقرب إلى طبيعة الأغنية الشعبية من حيث بنائها على «الأعاريض المهمة غير المستعملة» ، وارتكازها على «اللفظ العامي أو العجمي» ، ولا خلاف على أن المقصود بكلمة «اللفظ» هنا ذلك المقطع الختامي ، الذي تصل فيه الموشحة إلى ذروة توهجها ، وهو ما أطلقت عليه تسمية الخرجة .

ويتلاقى هذا الفهم مع قول ابن سناء الملك :

«والخرجة هي ابزار الموشح وملحه ، وسكره ومسكه وعنبره ، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة ، والختامة بل السابقة وإن كانت الأخيرة ، لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها ، ويعملها من ينظم الموشح في الأول ، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية» .

ثم يجيء فريق من الشعراء يجددون في هيكل الموشحة ، منهم يوسف بن هارون الرمادي ، الذي يذكر ابن بسام أنه «أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز» ، ومنهم عبادة بن ماء السماء الذي «أحدث التصفير» - ؟ - «ذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمونها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز» .

وتكون النقلة التالية إلى عبارة شهيرة لابن خلدون تقول :

«وأما أهل الأندلس ، فلما كثرت الشعر في قطره ، وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح ، ينظمونه أسماطاً وأسماطاً وأغصاناً وأغصاناً ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، فيسمون المتعدد منها بيناً واحداً ، ويلتزمون عدد قوافي

تلك الأغصان وأوزانها، متتاليا فيها بعد الى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان، عددها بحسب الأغراض والمذاهب» .

وعند هذا الحد تكون قد تجمعت بين يدي القارىء معظم الخيوط المتصلة بهيكل الموشحة ومصطلحاتها، ولكن ينبغي ملاحظة ما تتميز به الموشحات من مرونة، كذلك فإن المصطلحات التي تتردد (التصغير، التصغير، التضمين - هل تعني كلها معنى واحداً؟ - الأغصان، الأسماط) مجال لاختلاف وجهات النظر إلى حد بعيد، يضاف الى هذا ما يظهر في حقب لاحقة من مصطلحات جديدة مثل «الدور» وقدر موفور من التعبيرات المستمدة من الاصطلاحات الموسيقية، بحكم الصلة الوثيقة بين الموشحات والغناء، ولا يبقى إلا الإشارة لاستقرار دلالات «القفل» و«الخزجة»، فقد أفلتا - أو كادا - من دوامة الجدل والخلاف .

ولا تثير مسألة الموضوعات التي تعالجها الموشحات كثير الجدل، وقد حسم ابن سناء الملك القضية عندما قال إنه «يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد، وما كان فيها في الزهد يقال له المكفر» وساق ابن خلدون رأياً مشابهاً: «وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد» ولكن هذه الأقوال لا تبين طبيعة التطور الذي طرأ على الموضوعات، كما أنها لا تحدد مدى مناسبة هذه الموضوعات لطبيعة الموشحات .

والتصور الطبيعي أن الموشحات بدأت أول ما بدأت بمعالجة موضوعات الغزل والوصف والحنين والخمريات، أي تلك الفنون شديدة الصلة بالموسيقى والغناء، ثم جاء طور لاحق أخذت تعالج فيه بقية الأغراض المألوفة في القصائد، كالمديح مثلاً (أما الرثاء والهجاء فإنها لم يشغلا إلا مكانة ثانوية)، ولا يأتي - في العادة - إلا مسبوقة بتمهيدات غزلية أو وصفية أو نحو ذلك .

أما الموشحات الزهدية والدينية فإنها تمثل طوراً تالياً تبرز فيه أسماء عديدة مثل أبي مدين وابن عربي والششتري وابن الصباغ...، وعلى أيدي

هؤلاء يعود للموشحة جانب من انتمائها للبيئة الشعبية وللغناء ، وتنداح هذه الموشحات في حلقات الذكر والمتدروشين ، منفلة في أحيان كثيرة من قواعد الفن وفصاحة اللغة ، مرتحلة في ركاب هذه المواكب الهائلة في فجاج الأرض .

ولربما كان من الضروري أن تعرج هذه الكلمة على أعلام التوشيح في الأندلس، وهنا ستكون لنا أكثر من وقفة:

وقفة أولى تتناول مرحلة النشأة، حيث تبرز ثلاثة أسماء:

محمد بن محمد القبري، ومقدم بن معافي، ثم ابن عبد ربه صاحب «العقد الفريد»، فالمصادر تؤكد أن هؤلاء هم الرواد الأوائل لهذا الفن الجديد، وإن كان الملحوظ أن ابن بسام يسوق اسم محمد بن محمود على اعتبار أنه «المخترع» الأول ثم يضيف:

«وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا» ويعني آخر أن ابن بسام لا يذكر اسم مقدم بن معافي في هذا الصدد (بل أن اسم مقدم لا يرد على الإطلاق في جميع أجزاء الذخيرة)، بينما يجيء في «المقتطف من أزهار الطرف» لابن سعيد، ونقل عن الحجارى صاحب «المسهب».

«أن المخترع لها — للموشحات — بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري، من شعراء الأمير عبد الله بن الروائي، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب كتاب العقد».

ويبقى بعد هذا أن المعلومات عن محمد بن محمود وعن مقدم بن معافي من الندرة بمكان، وإذا كان الاسم الثالث — اسم ابن عبد ربه — ملء السمع والبصر بفضل كتابه «العقد الفريد» فإن صلته بفن التوشيح تبدو شديدة الغموض، والشيء المؤكد — على كل حال — أن المصادر لم تحتفظ البتة بأي نموذج من تأليف هؤلاء الرواد، مما يجعل الحديث عن الموشحات الأولى محفوفًا بالصعاب، لا يعتمد فيه إلا على بعض العبارات الموثقة في «الذخيرة» و«المقتطف».

ومن الطبيعي أن الصورة، في المرحلة التالية، تأتي أكثر وضوحاً، والإشارة هنا للجيل الثاني من الوشاحين الذي حل الراية بعد جيل الرواد، وهذا الجيل الثاني يضم أسماء شهيرة في تاريخ الأدب الأندلسي مثل يوسف بن هارون الرمادي، وابن ماء السماء، وابن عبادة لكن تظل هناك — مع ذلك — ملامح يشوبها الغموض، فإننا لا نملك نماذج الا لاثنين من سبعة وشاحين يذكرون في هذه المرحلة، فضلاً عن أن قدراً من الاضطراب يسيطر على المعلومات والنصوص المعروفة لهذين الوشاحين (ابن ماء السماء وابن عبادة)، وربما أدى المزيد من التنقيب في التراث الأندلسي الى الكشف عن معلومات تزيل ما يرين من لبس في هذه الناحية.

ومن حسن الحظ أن الموشحات في المرحلة الثالثة — التي تستغرق فترة القرن السادس الهجري كله — تكون قد نضجت كل النضج، واستقامت لها كل قواعدها الفنية وبرزت أسماء رنانة مثل ابن بقي والأعمى التطيلي وابن زهر (الحفيد)، ولعت نصوص فياضة بالسحر والوهج
مثل:

بأبى ظبى جى
تكنف أسدغيل
ومثل:

ضاحك عن جمان
سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان
وحواه صذرى

وتنساب نغمات شاردة، يمتزج فيها الجوى والغزل والافتتان بالطبيعة كما في موشحة ابن زهر:

حتى الوجوه الملاحا
وحى نجل العيون
أو قطعتة الشهيرة:

أيها الساقى اليك المُشْتكى كم دعوناك وإن لم تسمع

والخلاصة أن هذا الفن يصل الى قمة تمامة في القرن السادس الهجري، وقد احتفظت مجموعات مختلفة مثل «دار الطراز» و «توشيح التوشيح»، و«جيش التوشيح» بقدر وفير من النصوص الجميلة التي تنتمي لهذه الفترة. ونجىء مرحلة تالية – فى القرن السابع الهجرى – تبدأ فيها الموشحات الصوفية في التدفق، وتظهر هنا وهناك بعض سمات الخروج عن القواعد المتفق عليها، على أن التقاليد الأصيلة تظل ماثلة عند عدد من المبرزين في التوشيح، مثل ابن سهل الإشبلى صاحب النص المعروف:

هل درى ظننى الحمى أن قد حمى
قلب صبّ حله عن مكْنس

وصاحب موشحة «رحب بضيف الأنس» التي لم تشتهر شهرة «هل درى»، ومع ذلك فانها لا تقل عنها جمالا، فضلا عن أنها تخلف في النفس أثرا يشبهه – من بعض الوجوه – ما تخلفه قراءة «رباعيات الخيام» من أصداء وعبق وحرارة.

وآخر حلقة تشمل شعراء القرنين الثامن والتاسع، وهي حقبة تنتهي سنة ٨٩٨هـ بانتهاء الهيمنة الاسلامية على آخر مدينة أندلسية هي غرناطة، وهكذا يقدر لأصداء الموشحات أن ترتحل بعيدا عن أجواء الحمراء ومغاني غرناطة، كما ارتحلت من قبل عن قرطبة واشبيلية وطليطلة وغيرها من مدن الاندلس.

ولم تخل هذه المرحلة من وشاحين مجودين مثل أبى حيان الغرناطى وابن خاتمة الأنصارى وأبن زمرك، على أن أشهرهم جميعا لسان الدين بن الخطيب الذي يتألق في فن التوشيح على نحو فريد، وبحسبه أنه صاحب:

جادك الغيث إذا الغيث همي
يا زمان الوصل بالأندلس

وقد عارض فيها موشحة «هل درى ظبى الحمى» لابن سهل، لكن

المعارضة فاقت الأصل شهرة، وأصبحت معلما بارزا من معالم فن التوشيح إلى يومنا هذا.

وللرجل نفسه نصوص أخرى لا تقل براعة عن «جارك الغيث» مثل موشحته:

قد حرّك الجُلُجُلُ بازي الصّباح والفجر لآخ

فيا غراب الليل حُثَّ الجناح

ومن الغريب حقا أن موشحته:

رُبَّ ليلٍ ظفِرتُ بالبدرِ ونجومُ السّماء لم تَدِرِ

تجىء في نفع الطيب مصدرة ب :

قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: ومما قلته من الموشحات التي انفراد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها «فهل طمس رسم الموشحات حقا في الحقبة التي عاش فيها ابن الخطيب؟ لا نظن، ولعل الرجل كان يقصد أن الأيام عدت على ذلك العهد الزاهي الذي كانت فيه الموشحات تتردد في أبهاء القصور، ومجالى اللهو والطرب، وأنه يقصد أن الأجيال اللاحقة لم تعد تبذل في هذا الفن نصوصا من غمط ما أبدع من قبل ابن بقی والتطيلي وابن زهر.

وهكذا تكون رحلة الموشحات على أرض الأندلس قد انطوت بعد فترة دامت زهاء خمسة قرون، استطاعت فيها أن تضيف لقيثارة الشعر العربي وترا جديدا قوامه التوهج والصفاء، والتعبير عن خوالج النفس، والإحساس العارم بالحب والطبيعة والحياة.

ملاحق

- * نماذج من الموشحات
- * نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

* التعليقات التي على النماذج والتي على النصوص من وضع صاحب هذا الكتاب.

نماذج من الموشحات

● عبادة بن ماء السماء (المتوفى نحو سنة ٤٢٠ هـ):

— ممن ولسى في أمة أمرا ولم يعدل
— حب المها عبادة من كل بسام السواري
● ابن عبادة القزاز (المتوفى نحو سنة ٥٠٠ هـ):

— رح للراح وبياكر بالمعلم المشوف
— كم في قدود البان تحت اللشم
● ابن اللبانة (المتوفى سنة ٥٠٦ هـ):

— شاهدي في الحب من حرقى أدمع كالجمر تنذرف
— هلا عذولي قد خلعت العذار لا اعنتنذار
● ابن أرفع راسه (أوائل القرن السادس الهجري):

— من علق القرطا في أذن الشعرى
● ابن لبون (أوائل القرن السادس الهجري):

— من أطلع البدر في كمال غصن اعتدال
● الكيت البليوسي (النصف الأول من القرن السادس الهجري):

— لاح للروض على غر البعاطح زهر زاهر
● ابن عيسى المرسى الحجازي (النصف الأول من القرن السادس الهجري):

— من لي بظبي ربيب يصيد أسد القياض
● الأعمى التليلي (المتوفى سنة ٥٢٥ هـ):

— دمع سفوح وضلوع حرار مساء ونهار
— ضاحك عن جان سافر عن بدر

● أبو بكر الأبيض (المتوفى بعد سنة ٥٢٥ هـ):

— من سقى عينيك كأس المدام يامننى المهام
● ابن الزقاق (المتوفى سنة ٥٣٠ هـ)

— خذ حديث الشوق عن نفسي وعن الدمع الذي همعا

- ابن رحيم (المتوفى نحو سنة ٥٣٠ هـ):
— نسيم العبا أقبل من نجد لقد زادنى وجدا على وجد
- أبو بكر بن بقل (المتوفى سنة ٥٤٥ هـ):
— ساعدونا مصباحينا نرتشفها قد ظمينا
- أبو جعفر بن سعيد (المتوفى سنة ٥٥٠ هـ):
— مالى شمول إلا شـجـون
- ذهبت شمس الأصيل فضضة النهار
● أبو عبد الله بن شرف (المتوفى سنة ٥٧٠ هـ):
— ياربية العقيد مقي يـقـلد
- ابن مالك النرقنطى (المتوفى سنة ٥٧١ هـ):
— ما إذا حملوا فؤاد الشجى يوم ودعوا
- ابن زهر الحفيد (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ):
— أما الساقى اليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع
— حى الوجوه الملاحا وحى سود العميون
- عمى الدين بن عريى (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ):
— عندما لاح لعينى المتكا ذبت شوقا للذى كان معى
- ابن سهل الإشبلى (المتوفى نحو سنة ٦٥٠ هـ):
— هل درى ظلى الحمى أن قد حى قلب صب حله عن مكس
- ابن خاتمة الأنصارى (المتوفى سنة ٧٧٠ هـ):
— قم هاتها قهوة كدمع مهجور
- لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة ٧٧٦ هـ):
— يا حادى الجمال عرج على سلا
- ابن زمرك (المتوفى سنة ٧٩٥ هـ):
— نسيم غرناطة حليل لكنه يرى العليل
- اللخمي الغرناطى (من شعراء القرن التاسع الهجرى):
— حياك بالافراج داعي الصباح قم لاصطباح
- المنصور السعدى (المتوفى سنة ١٠١٢ هـ):
— عطر الأرجاء لما نسما شمأل الصهباء عند الغلس

● عبادة بن ماء السماء (نحو سنة ٤٢٠ هـ):

٠ ١

مَنْ وُلِيَ فِي أُمَّةٍ أَمْرًا وَلَمْ يَعْدِلْ يُعْزَلْ إِلَّا لِحَاطِظِ الرَّشَاءِ الْأَكْحَلِ

جُرْتُ فِي (١) حَكِيمِكَ فِي قَتْلِي يَا مَشْرِفُ
فَانصِفْ فَوَاجِبٌ أَنْ يَنْصِفَ الْمَنْصِفُ
وَأَرَأَيْ فَإِنَّ هَذَا الشُّوقَ لَا يَرَأْفُ

عَلِّي قَلْبِي بِذَلِكَ الْبَارِدِ السَّلْسَلِ يَنْجَلِي (٢) مَا بِفَوَادِي مِنْ جَوِّي مُشْعَلِ

إِنَّمَا يَبْرُزُ كَيْ يَوْقَدُ نَارَ الْفَتَنِ (٣)
صَصْتُمَا مَصُورًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ
إِنْ رَمَيْ لَمْ يُخْطِ مِنْ دُونَ الْقُلُوبِ الْجُنُنِ
كَيْفَ لِي تَخَلُّصٌ مِنْ سَهْمِكَ الْمُعْزَلِ فَصَلِّ وَاسْتَبِقْنِي حَيًّا وَلَا تَقْتُلِي

يَا سَنَا الشَّمْسِ وَيَا أَبْهَى مِنَ الْكُوكَبِ (٤)
يَا مُنَى النَّفْسِ وَيَا سَوْلَى وَيَا مَطْلِبِي
هَذَا أَنَا حَلٌّ بِأَعْدَائِكَ مَا حَلَّ بِي
عُدَّتِي مِنْ أَلَمِ الْهَجْرَانِ فِي مَعْرِي وَالْحَلِّي فِي الْحُبِّ لَا يَسْأَلُ عَمَّنْ يَلِي

● ترد في «التوشيع» ص ١١٣ و«الفوات» (ط إحصان عباس) ١٥١/٢
منسوبة لابن ماء السماء وفي «الوافي» ١٨٩/٢ منسوبة لابن القزاز

(١) توشيع : جزت

(٢) التوشيع : ينجل

(٣) الوافي : يبرد. الفوات : تبرز. توقد

(٤) الوافي : وياسني

أنت قد صيرت بالحسن من الرشد غنى
 لم أجسد في طرفي (٥) حبك (٦) دينا على
 فاتئد وان تشا في قتلي شيئا فئسي
 أجل وواليني منك يد المفضل (٧) فهى لى من حسنة الزمن المقبل

ما اغتذى طرفى إلا بسنا ناظرىك
 وكذا فى الحب ما بي ليس يخفى عليك
 ولذا أنشد والقلب رهين لديك:
 يا علي سلطت جفنيك على مقتلي فابق لى قلبي وجد بالفضل يامولى

٢

حُب المَهَا عِبَادَة من كل بسام السوار
 قر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنة إبداع
 لله ذات حسني مليحة المَحَيَا
 لها قوائم غصن وشئفها الثريا
 والشفر حُب مُزِن رُضابُه الحُمَيَا
 من رشفه سمادة كأنه صرف العقار
 جوهر رصع يسقيك من حلو الزلال طيب المشرع
 رشيقة المعاطف كالغصن في القوام
 شهيدة المرافف كالذر في نظام
 دعصية الروادف والخضر ذو انضمام
 جواله القلادة محلولة عقْد الإزاز
 حسنها إبداع من حسن ذياك الغزال أكحل المدمع

(٥) الفوات : طرفي (٦) الوافي : حبيك (٧) الوافي : ندى

• ترد في «الفوات» (ط احسان عباس) جـ ٢ ص ١٥٢ ولم نجدها في اي مصدر آخر

لسلية الذوائب ووجهها نهاز
مصقولة الترائب ورشفها عمار
أصداعها عقارب والحذ جلتار
ناديت: وافوادة من عادة ذات اقتدار

لحظها أقطع من حد مصقولة الجمال من الفتى الأشجع

سفرجل النهود في مرمير الصدور
يُزهى على المقود من لذة النحور
ومقلية وجيد من عادة سفور
حبي لها عبادة أعود من ذا الفخار
برشاً يرتع في روض أزهار الجمال كلما أبتغ
عفيفة الذبول نقيبة الثياب
سلاية المقول أرق من شراب
أضحى بها نحولى في الحب من عذابي
في النوم لى شرادة وحكمها حكم اقتدار
كلما أمنع منها فإن طيقت الخيال زارنى أهجع



• ابن عبادة القزاز (نحو سنة ٥٠٠ هـ)

نَحُّ لِلرَّاحِ وَبَاكِرٍ بِالْمُعَلِّمِ الْمَشْوَفِ غَبُوقًا وَصَبُوحٍ عَلَى الْوَتْرِ الْفَصِيحِ
لَيْسَ اسْمُ الْخَمْرِ عِنْدِي مَأْخُودًا فَاعْلَمْ وَمَيْمِ الْمَبْسَمِ
إِلَّا مِنْ خَاءِ الْخَدِّ وَرَاءَ رِيْقِ الشَّهْدِ الْعَاظِرِ الْقَمِ
فَكُنْ لِلْهَمِّ هَاجِرٍ وَصِلْ هَذَا الْحُرُوفِ كَيْ تَغْدُو وَتَرُوحَ بِجِسْمِ لَهُ رُوحِ
بِاللَّهِ سَقَّنِيهَا فِي وُدِّ الْوَائِقِ شَبَّةَ الْخَلَائِقِ
فَإِنَّ مِنْهُ فِيهَا مِنْ أَعْدَمِ الشَّبِيهَا فِي الْمَجْدِ الْبَاسِقِ
لَهُ مِنَ الْمَفَاخِرِ تَلِيدٌ وَطَرِيفٌ دَوْحٌ مِنْ عَهْدِ نُوْحِ
هَلْ تَخْشَنُ الْمَدَائِحِ مِنْ كُلِّ مَادِحِ وَرَوْضَةٌ تَفُوحِ
إِلَّا عَلَى الْجَحَاجِحِ بَنَى صِمَادِحِ
أَكَارِمِ أَكَابِرِ فَايَهُمْ مَصَابِيحِ عَلَى سَوَائِحِ
صَيْدُ شُمِّ الْأَنْوَفِ حَازُوا الْمَجْدَ الصَّرِيحِ فَخُصُّوا بِالْمَدِيحِ
مَحْمَدٌ بِعَيْدِ مِرَائِهِ قَرِيبِ مِنْ آلِهِ تُجِيبِ
وَحَوْلَهُ جَنُودٌ فِي حَوْمَةِ الْخُرُوبِ وَالنَّصْرُ وَالْفَتْوُخِ
إِذَا سَلُّوا الْبَوَاتِرِ فَالْحَيْنُ وَالْحُتُوفِ فِي جَيْشِهِ اللَّجِبِ
إِذْ لَاحَ ابْنُ مَعْنٍ وَنَادَى كُلَّ قَرْنٍ بِاسْمِهِ فِي اللَّعِبِ
فَالهَيْجَا تَغْنِي وَالسَيْفُ قَدْ طَرِبَ وَالْوَائِقُ يَا مَلِيحِ
وَتَرْتِيبَ الصُّفُوفِ وَالْأَبْطَانَ تَصِيحِ

• دار الطراز، ص ٧١، وأشار إلى الخرجة ص ٣٢، ونسبها لعبادة.

كم في قدود البان تحت اللمن من أقر عواط
بأنمل وبئان مثل العنم لم تنبر ليعاط

هُنَّ الْقَطْبَاءُ الشَّمْسُ	فَنِيضُهُنَّ الضَّيْفُ
مَا إِنْ لَهَا مِنْ كُنْسٍ	إِلَّا الْقَلْبُوبُ الْهُيْمُ
الْقَرْبُ مِنْهَا عَزْزٌ	وَالْبَعْدُ عَنْهَا مَاتَمُ
تِلْكَ الشِّفَاءُ الثَّمَنُ	يَخْتَبِي بِهِنَ الْمُفْرَمُ
لَهَا لِحَاظٌ نُفْسُ	تَرْنُو إِلَى مَنْ يَسْقَمُ

بأعين الغزلان وتبتسم عن جوهري الأسماط
قضى لها الغيران أن تكتنم في مضمر الأنبياط

أهوى رشاً ساحراً	هواه لي ما أقتله
قد مسخت طائراً	أحاطه قلبي وكه
لم يسزك سادراً	على هوى ما علته
لما غدا قادراً	غدا قليل المعدلة
ياحايكا جائراً	ظلمت من لا ذنبت له

خف سطوة الرحمن اذا حاكم بين البري والحاطي
سطوت بالهيمن ظلم ولم يستنصر باساطي

يا ويح من شوقنا	إلى حبيب قد سلا
قضى بأن يُفارقنا	في الدمع من قد أمحلا
ظلمنا وأن يخفنا	منه الفؤاد المبتلى
كأنما غلقتنا	منه على تلك الظلى
فقلت مستنطقنا	من ذا الذي أهدي الى

• ترد في «دار الطراز» ص ٦٠ (ومقطع منها ص ٢٩) وجاء قسم منها في «ازهار الرياض» ٢٥٤/٢ و«نفح الطيب» ٣٨٠/٤

فَوَادِي الْخَفَقَانِ فَقَالَ قُمْ فَلْتَنْظُرْ فِي الشَّاطِي
إِلَى بَنُو الشَّوَانِ عَذْوَاكَ نَمَّ وَاسْتَخْبِرَ أَقْرَاطِي

أَمَا تَرَاهَا مَثُونٌ عَلَى قَنَاهَا خَافِقَةٌ
فِي جَارِيَاتِ تَجُونِ مِثْلَ الْجِيَادِ السَّابِقَةِ
إِنْشَاءً مَن فِي الْمُجُونِ يُنْشِي السَّحَابَ الْوَادِقَةَ
سَمَتْ عَلَى النَّجْمِ ظُلُونِ مِنْهَا فَرُوعٌ بِأَسْبَقَةِ
إِنَّ الثَّرِيَا تَقُونِ وَإِنَّمَا لَصَادِقَةُ

مَا فَوْقَ هَذَا الْمَكَانِ مِنَ الْهَمَمِ فِيهِ يَرَى مَنَاطِي
سَمَتْ عَلَى كِبْرَانَ مِنْهُ الْقَدَمُ وَالْمُشْتَرَى مَوَاطِي

أَفْلَاكَ مُلْكٍ تَنْبِيزُ سَعَادَةً لِلْمُسْلِمِينَ
تَسْرِي الدَّجَى وَتَسِيرُ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ
يَسُوءُ بَعْدَ النَّذِيرِ مِنْهَا صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ
تُخَدَى بِمَدْحِ الْأَمِيرِ إِلَى بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ
أَنْبِي نَحَا فَتَطِيرُ بِمِثْلِ أَشْفَارِ الْجُفُونِ

وَقَبَسْتُمْ الْخَرْصَانَ قَدْ انْتَضَمَ كَأَسْطَرِ الْأَمْشَاطِ
وَالْبَحْرُ كَالْبِرْكَانِ قَدْ اضْطَرَمَّ بِمُشَقَّرِ الْأَنْفَاطِ

وَمَهْرَجَانٍ لِي يَوْمَ أَنْبِقُ مَتَّظِرَةٌ
بِحُرِّ حَكِي رَمْلَةٍ مِنْ كُلِّ طَيْبِ عُنْبُرَةٍ
وَالشَّاطِ قَدْ حَلَّتْ مَحْمَدٌ وَعَسْكَرُهُ
مَرَّجَبًا رَجَلَةٌ فُلُكًا حَكَّتْهَا ضَمْرَةٌ
فَقَالَ عَبْدٌ لِي مَتَسَحِّينُ مَا يَبْصُرَةٌ:

مَا أَمْلَحَ الْمَهْرَجَانَ رَمْلَ يَبْنَمِ كَالْعَنْبِرِ لِلْمَوَاطِي
وَالْفُلُكُ كَالْعِقْبَانَ وَالْمَعْتَصِمِ بِالْعَسْكَرِ فِي الشَّاطِي

• ابن اللبانة (المتوفي سنة ٥٠٧ هـ):

• ١

شاهدي في الحُبِّ حُرقي أدمع كالجمرِ تنذرك

تعمجز الأوصاف عن قَمَر (١)
خَدَه يدمي من السنظير
بشْرُ يسمو على البَشَرِ

قد يراه الله من علق ما عسى في حسنه أصف

كيف للصبِّ الكئيب بقا
والسكرى عن جفنه أبقا
هل يطيق الصبر من عَشِقَا

شادناً يرمي من الحدق أسها قلبي لها هَدَق

ياأولى التفنيد وكم (٢)
أنا لا أصفي لنصيحكم
في ثلاثٍ قد عصيتكم

عَسَقُ داج على قَلَق في قضيب زانه الهَيْف

بأبي من فاق شمس ضحى
وكسا بذر الأجي ملحا (٣)

• ترد في «التوشيع» ص ١٣١ وفي «عقود اللاك» مخطوطة «الاسكوريال - ورقة ٩ وفي «العذارى المائسات» وقال إنها لجمال الدين بن نباته وقيل لابن عزلا (ولعل الاسم الاخير تحريف لابن غرلة الذي كان ذكرناه من قبل وليست هذه الموشحة من جنس ماوصل اليها من موشحاته، اما ابن نباته فان ديوانه لايتضمن هذه الموشحة ولا حتى معارضة لها).

(١) توشيع: قرى (٢) توشيع: التنفيذ (٣) التوشيع: لها

فدليلي فيه قد وَضَحَا
لوجود الشمس (٤) في الأفق عَدَمٌ والبدرُ يَنكسِفُ
رُبَّ راضٍ بعمد ما غَضِبَا
زارني في غفلة الرُّقْبَا
عندها غنيتُ: واطربا
ياحبيباً بات معتنقي ها أنا بالوصلِ مُغْتَرِفُ

٢

هلاً عدولي قد خلعت العِذارُ لا اعتِذارُ عن طبا الإنسِ وشُرْبُ العَقَارُ
ما العيش إلا حُبُّ ظبي أنيس
مهفوف أحوى وحث الكؤوس
من قهوة تحكي شعاع الشموس

كأنها في كأسها إذ تُداز شعله ناز يقتلها الإبريق قبل السواز

شيئان قلبي فيما ذو غرام
القولُ بالغيدِ وشربُ المُدام
فلستُ أصغي فيها للسوَام

لا والذي تُوجَّح تاج الفخار بحر البحار ببحر جدواه وحامي الديار

المَلِكُ المأمونُ ذو المَكْرُمَاتِ
الوَاحِدُ الفِرْدُ الجَزِيلُ الصِّفَاتِ
كم مادح أحيا وكم قَدْ أَمَاتِ
تنهلُ يَمْنَاهُ عَلَيْنَا بِجَارِ ثُمَّ اليَسَارُ تجلودجى العُشْرِبِيدِلِ اليَسَارُ

(٤) عقود: البدر

• النص في «جيش التوشيح» ص ٧٠

ففي اسمه للنصر والفتح فان
قد عم أهل الارض ظمراً نوا
أصبح في الجود بغير مثال

أنجد ذكره الكرم وغاز في الأمصار حتى حدث فيه حداً القطار

وغادة تشكو بعماد الخليل
غُدَّوها تبكي ويوم الرحيل
بصفة البحر وظلت تقون

ياقرجوني ككرس بون امار ليش الفرار و ليش دمار(١)



(١) الخرجة فيه : «اما الفرار و ليش دمار» وهي - ولا شك - مبتورة، ولا تتفق مع بقية الاقوال. وفي نسخة حسن حسني عبدالوهاب (صفحة ١٤١).
ياقرجوني ككرس بون امار الفرار ليش و ليش دمار
ولا تستقيم على هذه الصورة

• ابن رافع راسه (أوائل القرن السادس الهجري ؟) :

مَنْ عَلِقَ الثَّرَظَا فِي أذُنِ الشَّعْرَى وَأَكْفَفَ المَرَطَا الغُضْنَ النَّضْرَا
الحَسَنُ مَرَجُومٌ عِنْدِي وَمَأْتُومٌ
وَالطَّرْفُ ظَلُومٌ وَالقَلْبُ مَظْلُومٌ
بِأَبِي رِيْمٍ يَمِشِقُهُ الرَّيْمُ

لم يأكل الخَمَطَا ولا رعى السَّذْرَا ولا رعى الأُرْطَى (١) مذ سَكَنَ القَصْرَا
ياقُومٌ بي تَيَّاهُ لِماهِ مَعْسُوكُ
الهِجْرَمِ مِنْ هِجْرَاهُ (٢) وَالذَّنْبُ مَحْمُوكُ
يَدْرِي الَّذِي يَهْوَهِ أَنَّهُ مَقْتُوكُ
أَمَاتَنِي غَبَطَا (٣) وَمَا اتَّقَى الوِزْرَا لَمْ أَعْرِفَ الشَّرَطَا - فَكُنْتُ مُغْتَرَا
قَدْ هَمَّتْ فِي وَشْنانِ أَشَدِّ الشَّرَى يَسْبِي
بِلِحْظِهِ القَتَّانِ فِي مَعْرَكِ الحَرْبِ
عَلَى الطَّبِيِّ سُلْطَانِ بِقَدْرَةِ الرَّبِّ
سَبْحَانَ مَنْ أَعْطَى جَفْوَنَكَ السَّخْرَا وَالقَبْضَ والبِسطَا وَالنَّهْيَ والأَمْرَا
عَلَيَّ مَا أَعْدَى سَيُوفَ عَيْنِيكَ
كَمْ أَتَبَّ الأَعْدَا بَعْدَ لِيهِمْ فِيكَ
وَالحَسَنُ قَدْ أَبْدَى مَحْذَرِي بِخَدَيْكَ
بِأَحْرِيفِ خَطَلَا لَمْ تَعْرِفِ الحِجْرَا أودَعَهَا نَقْطَا بِالْحِجْرِ كِي تُقْرَا
ضَنَّ بِإِسْعَادِي (٤) وَالشَّمْسُ تَحْكِيهِ
مِنْ بَعْدِ مِيعَادِ أَبْدَى الرِّضَا فِيهِ
فَكَانَ إِنْشَادِي خَوْفَ تَجَنُّبِهِ
حَبِيبِي قَدْ أَبْطَا (٥) مِنْ أَمْسَكَ البَدْرَا عَنِي لَقَدْ أَخْطَا وَأَشْغَلَ السَّرَا

• ترد في «توشيع» ص ١٥١ ونسبها لابي الحسن علي بن عبدالغني الحصري، وهي في «جيش» ص ٧٤ ضمن موشحات ابن ارفع راسه، ورجحنا انها له.

(١) جيش: ولا درى الابطا (!) والارطى: شجر الاثل

(٢) توشيع: هجيره

(٣) جيش: أماتني غبطا. وعبطا: نحرا

(٤) جيش: باسعاد

(٥) جيش: حيث قد ابطا (!).

• ابن لبون (أبو عيسى) – أوائل القرن السادس الهجري:

من أطلع البدر في كمالٍ غصني اعتدالٍ

بمهجتي شادئ غريز
يجوز (١) حكما ولا يُجيز
وما سوى أدمعي نصير

تفعل عيناه بالرجالٍ فعل العوالي

غلقته أو طفاً كنجيل (٢)
يحسده الغصن اذ يميل
تجول في ثغره شُمون
يمج في ثغره لال بزد الزلال

يا أيها العاذل الخلي
بي من بنى الليث بابلي
قلبي به مفرم شجني

عذلك عندي – إذ لست سالي من المُمحال

كم قلت لا أدعي بحبة
لطول إعراضه وعتيبة
حتى إذا لاح صبح قربة

• النص في «جيش التوشيح» ص ١٦٨
(١) في الاصل: يجوز حكما (٢) في الاصل: اوطف

أبديتُ من عِزةِ الجمالِ (٣) ذلَّ السَّـوَالِ

مازلتُ أشكولُه ببعيدة
حتى أروعى حافظاً لِعَهْدِهِ
كأنه إذا أتى لوعيدة

يختالُ في ظُلْمَةِ الدَّلَالِ طيفُ الخيالِ

لله يومٌ به نعمنا
راق أصيلاً فراق حسنا
عاتبته مازحاً فغنى

إياك يغرركِ صرف مالِ (٤) يامن بدالي



(٣) في الاصل: غرة الجمال (٤) في الاصل صرف رمال ياقد بدالي

• الكميت (أبو عبد الله محمد بن الحسن البطليوسي) – النصف الأول من القرن السادس الهجري :

زَهْرٌ زَاهِرٌ زَاهِرٌ
نَوْرُهُ النَّاصِرُ
أَرْجُ عَاطِرٌ
أَيُّ عَقْدِ
وَجَنَّةُ الْوَرْدِ

لاح للروضِ على عُزِّ البَطَاخِ
وثنَا جِيداً مُنْعَمَ الْأَقَاخِ
زارني منه على وجهِ الصَّبَاخِ
نشرَ الظَّلَّ عليها حينَ قَاخِ
حبذا البشرُ لي عندَ افتتَاخِ

مَلءَ أَجْفَانِي
فوقَ غَدْرَانِي
عندَ تَهْتَانِي
وسطَ الرَّعْدِ
سُلِّ منَ غَمْدِ

يضحكُ الروضُ مسابِلَ السَّحَابِ
ومشتُ فيه لآلِيءِ الحَبَابِ
فتراه كيفَ (١) يكشفُ النَّقَابِ
ينتهي طولُ تناوِحِ الرِّيَاخِ
وتسرى البرقُ كصَارمِ مُشَاخِ

رَقِصَ نَشْوَانِ
كَلَّ إِحْسَانِ
وشي صنْعَانِ (٢)
في ذرى سَعْدِ
نِعَمَ الحَمْدِ

رَقِصتُ وسطَ رِيَاضِهَا الغُصُونِ
وأرتنا منَ لطائفِ المَجُونِ
فنسينا عندَ وشيهِ المَمْضُونِ
كنجومٍ أطلعتُ والجوُّ صَاخِ
فسعى الناسُ بآلسِنِ فِصَاخِ

• يرد النص في «جيش التوشيح» ص ٩٤.

(١) كذا في المطبوع، ولعلها: حين

(٢) صنعان: صنعاء

واخلع العُذرا
مـزة صـفـرا
عـتـقت دـهـرا
ناعـم القـد
شـب بالشـهد

وتـثـنـيـها
حـين يُـؤذـيـها
ومـغـانـيـها:
قـد كـسـر نـهـدي
ونـثـر عـقـدي

فاغتنيـم ما قد صفا من الزمان
واشرب الراح على سمع القيان
واغتبيقها من سلافة دنان
كأشها جسم طفلة رداخ
تمزج الراح بريقها القراخ

وفتاة فتنـت بحسنيها
تشتكي طول جفاء خذنها
وتغني برفيع لحنها
ذبت والله أسي نطلق صياخ
وعمل لي في شفيفاتي جراح

• • •

• ابن عيسى المرسي الخباز (ابو الوليد يونس): النصف الأول من القرن السادس الهجري:

مَنْ لِي بظبي ريبب يبيدُ أشدَّ الغياضِ (١) لوى بذينَيَّ لما أملتُه للتقاضي

جعلتُ حظِّي منه بين الرجا والتمني
لم أظهر اليأسَ عنه لما أطالَ التَّجَنِّي
بل قلتُ يا قلبُ ضنُّه لديك عن سوءِ ظنِّي

وأنتِ يانفسي ذوبي وبيا مطيلَ اعتراضي نَقَدَ بما شئتُ حُكماً إنني بحكيمك راضي

ما حالُ قلبٍ لديك لا تنقضي حساته
يشكو جِوَاهَ اليك وليس تُجدي شكائهُ
مهلاً ففي راحتك حياتهُ ومئاتهُ

بامرِضي وطيبني بفيك براء المراضِ ومنك قد ذبتُ سقماً فلتقض ما أنتِ قاضِ

يامن ينافر ظلماً مَنْ ليس عنه بصابِرُ
ماضر إذ ذبت سقماً لو لم تكن لي هاجِرُ
رفقاً فبي منك ألمي وسنان ساجي النواظِرُ

رام بسهم مصيبٍ من الصحاح المراضِ يرزوفيرسل سها والقلبُ في الاعتراض

• ترد كاملة في «جيش التوشيح» ص ١٤٧ وهي في «عدة المجلس» — بدون ذكر قائلها — ونقل د. الأهواني «الزجل في الاندلس» ص ١٨ المطلع والخرجة عن مقال غومث (الاندلس سنة ١٩٥٢) الخاصة بالخرجات الأعجمية في مجموعة ابن بشرى (١) جيش: يسطوباسد

مَنْ لِي بِتَفْتِيرِ جَفِينِهِ وَالْمَوْتُ مِنْ لِحْظَاتِهِ
إِنْ مَرَّ ثَانِي عِطْفِهِ فَالْحُسْنُ فِيهِ بِذَاتِهِ
أُورِمْتُ إِدْرَاكَ وَصْفِهِ أَعَيْتَنِي بَعْضَ صِفَاتِهِ

يجوزُ لِحْظَ الكُتَيْبِ مِنْ خَدِّهِ فِي رِيَاضِ لَكِنْ عَنِ القُطْفِ تُحْمَى بِمَرْهَفَاتِ مَوَاضِي

لِلَّهِ ظَبِيئَةٌ خِذْرِ قَدْ رَوَعْتُ بِالفِرَاقِ
بَنَنْتُ ثَلَاثَ عَشْرَ تُسَيِّلُ دَمْعَ المَآقِي
تَقُولُ فِي حَالِ سُكْرِ لِأَقْمَهَا فِي اشْتِيَاقِ

يَا مَمِّ مَوَالِحِيْبِ تَيْبِشِ انْ نَزْتَرِبَاضِ غَارِ كَفْرِي يَا مَمَّا انْ بِيْجِنَالِ لِلشَاضِ

• • •

● الأعمى التطيلي (المتوفي سنة ٥٢٥ هـ):

دَفَعُ سَفُوحَ (١) وَضَلَّوْحَ جِرَّازَ مَاءٍ وَنَارَ مَا اجْتَمَعَا إِلَّا لِأَمْرِ كِبَازِ

بئس لعمري ما أراد العذون
غمراً قصيراً وعناءً طويلاً
يا زفراءت نطقت عن غليل (٢)
ويادموعاً قد أصابت مسيل (٣)

امتنع النومُ وشظ المَرَّازُ ولاقراز طرت ولكن لم أصادف (٤) مطار

يا كعبةً حجّت إليها القلوب
بين هوى داع وشوقٍ مُجيب
دعوة (٥) أواه إليها مُنيب
لبيك لا ألوي لقول الرقيب (٦)

● الموشحة في جيش ص ١٠٦ وديوان الأعمى التطيلي ص ٢٦١
والتوشيع ص ١٠٦ .

(١) الديوان : مسفوح .

(٢) توشيع : عليل .

(٣) الديوان : ويا دموع قد أعانت .

(٤) ط الديوان : أصادق .

(٥) جيش : حسنت . الديوان : حسنة .

(٦) الديوان : لبك الا الهو وقل للرقيب . جيش : لبك لا الوى .

جد لي بحج (٧) عندها واعتماد ولا اعتذار قلبي هدي ودموعي جمار

أهلاً وإن عرض بي للمنون
بمئس الأعطاف ساجي الجفون (٨)
ياقسوة يحسبها الصب ليين
علمتني كيف تُساء الظنون (٩)

مذبان عن تلك اللبالي القصار دمي غراز (١٠) الكاتا بين جفوني غراز (١١)

حكمت مولى جار في حكمه
أكنى به لا مفيصحا باسمه (١٢)
وأعجب (١٣) لإنصافي على ظلمه
واسأله عن وضي وعن صرمه

ألوي بحظي (١٤) عن هوى واختياز طوع النفاذ وكل (١٥) أنس بعده بالخيار

(٧) الديوان والحس : مرني .

(٨) في جيش : وسن الجفون . وفي الديوان يشير المحقق «الى أن الأصل لم يكن واضحاً، ولعله : «فما بصر ماتصون الجفون» .

(٩) في الديوان والجيش : كيف أسىء .

(١٠) الديوان والجيش : نومي غراز .

(١١) الجيش : بين جفوني غراز .

(١٢) الوشيع : أهذي به .

(١٣) الديوان والجيش : فاعجب .

(١٤) الديوان : بحقي .

(١٥) الديوان والجيش : فكل .

لا بُدَّ لي منه على كلِّ حانٍ
مولى تجنى وجفا واستطآن
غادرني زهنَ أسي واعتلان

ثم شدا بين الهوى والدلال :

ما والحبيب دموا صار مادر شنار بنفيس رامش كف دموعار(١٦)

• • •

٢

ضاحكٌ عن جُمانٍ سافرٌ عن بَدْرِ ضاقَ عنه الزمانُ وحواهُ صدري
آه مما أجندُ شقني ما أجدُ
قام بي وقَعَبَدُ بَاطِشٌ مُتَيَّدُ
كلما قلتُ قدُ قال لي أينَ قدُ

(١٦) كذا جاءت الخرجة في الديوان (وهي بالأعجمية أي بلغة الرومانت) وترد في التوشيع «مر الحبيب انفرم دموار.. كان دشتار.. تنفس اميت كسادمواتار» وفي الجيش «ما والحبيب دموصار.. فادر شنار.. بنفس آست كساد موعار» وأوردها د. احسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج ٢ ص ٢٤١ نقلا عن مقالة عن الخرجات كان الأستاذ غومث قد نشرها في «الأندلس» سنة ١٩٥٤ ، وفيه : موا الحبيب انفرم ذي موامر كن دشترننفيس اميب كسد نوليفر ومعناها «حبيبي مريض بسبب الحب - وكيف لا يكون ذلك - ألا ترى أنه لن يرجع إلتي أبداً» ؟

• انظرها في «ديوان الأعمى التطيلي» ص ٢٥٣ وترد في «المغرب» ٤٥٣/٢ و«دار

الطراز» ص ٤٣

وانتني حُوط بان(١) ذا مِهَزْ نَضِير(٢) عَابْتَه يَدَان(٣) لِلصَّيْبَا وَالْقَطِيرِ
ليس لي منك بُد(٤) خذ فَوَادِي عَن يَدِ
لم تَدْعُ لِي جَلَدٌ غَيْرَ أَنِي أَجْهَدُ
مَكْرَعٌ مَن شَهْدٌ وَاشْتِيَاقِي يَشْهَدُ
مَا لِي بِنَتِ الدَّنَانِ وَلِذَاكَ التَّنْفَرُ أَيْنَ مَعْيَا الزَّمَان(٥) مَن حُمَيَا الخَمِيرِ(٦)
بِي هَوَى مَضْمَرُ(٧) لَيْتَ جَهْدِي وَفَقْدُهُ
كَلِمَا يَظْهَرُ(٨) ففَوَادِي أَفْقُهُ
ذَلِكَ المَنْظَرُ لَا يُدَاوِي عَشْقُهُ
بِأَيِّ كَيْفٍ كَانَ فَالْكَيْيُ دُرِّي رَاقٍ حَتَّى اسْتَبَانَ(٩) عُذْرُهُ وَعُذْرِي
هَلْ إِلَيْكَ سَبِيلٌ أَوْ إِلَى أَنْ أَيْسَا(١٠)
ذُبْتُ إِلَّا قَلِيلٌ عِبْرَةٌ أَوْ نَفْسًا
مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ سَاءَ ظَنِّي بِعَسَى
وَأَنْقَضَى كُلُّ شَانٍ وَأَنَا اسْتَشِيرِي خَالِعًا مِنْ عِنَانٍ جِزْعِي أَوْ صَبْرِي
مَا عَلَيَّ مَنْ يَلُومُ لَوْ . تَنَاهَى عَنِي
هَلْ سَوَى حُبِّ رَمٍ دَيْئُهُ التَّجْنِي
أَنَا فِيهِ أَهْمٌ وَهَوِي يَغْنِي
قَدْ رَأَيْتُكَ عِيَانِ آشٍ عَلَيْكَ سَاتَدْرِي(١١) سَيَطُولُ الزَّمَان(١٢). وَسَتَنْسَى ذَكَرِي(١٣)



- | | |
|---|----------------------------|
| (١) المغرب: غصن بان | (٦) الديوان: من محيا الجمر |
| (٢) المغرب: ذا فني | (٧) المغرب: بن جوى |
| (٣) المغرب: لاعبته | (٨) المغرب: كلما يذكر |
| (٤) المغرب: لي فيك | (٩) المغرب: رق |
| (٥) المغرب: ليس محيا | (١٠) المغرب: إلى أن أيسا |
| (١١) دار: ليس عليك ساتدري وفي الديوان: ليس عليك ستدري | |
| (١٢) المغرب: سايطول | |
| (١٣) المغرب: وتجرب غيري | |

● الأبيض (أبو بكر محمد) المتوفى بعد سنة ٥٢٥هـ:

مَنْ سَقَى عَيْنِكَ كَأْسَ الْمُدَامِ يَا مُنَى الْمُنْسَتِّهَامِ

رَشَاءُ أَسْهَرَنِي وَهُوَ نَائِمٌ
رَقَّ لِي وَالْمَوْتُ بَيْنَ الْحَيَازِمِ
عَجَباً مِنْ دَمْعِهِ وَهُوَ بِاسْمِ

خَنِثٌ يَمِزُجُ لِي تَحْتَ اللَّثَامِ (١) عِبْرَةٌ بِابْتِسَامِ

قَلْبَ دُنْيَايَ تُسْقَى زُوَيْدُ
تَحْتَ إِحْسَانِ الْوَزِيرِ ابْنِ زَيْدِ
فَأَنَا أَرْبَعِ فِي خَبْرِ قَيْدِ (٢)

بَيْنَ بَرٍّ وَعَطَايَا جِسَامِ أَخْوَاتِ الْغَمَامِ

بَائِسُ الْغَوْرِ بِعَمِيدِ الْمَسَافَةِ
قَدْ كَفَى قَرْطَبَةَ كُلِّ آفَةِ
كَمْ يَدٍ أَوْلَيْتَ دَارَ الْخِلَافَةِ

طَوَّقْتَ جِيدَكَ طَوَّقَ الْحَمَامِ فِي حُلِيِّ الْكِرَامِ

● يرد النص في «جيس النوشيج» ص ٥٤ (غير مقابل على أي مصدر آخ)

(١) اخذنا بقراءة نسخة حسن حسني عبدالوهاب

(٢) كذا في المطبوع ونشك في صحة القراءة ولعلها: «وانا اربع في غير قيد»

بِكَ يَا مُشْرِفُ صَبَّحَ الْيَقِينُ
أَنْتَ صَبِيحُ الْمِشْكَاةِ الْمُبِينُ
أَيُّ نَصَلِي سَلِّهِ مَا (يَلِينُ) (٣)

مَلِيكَ شَرْفِهِ فِي الْأَنْامِ حَمَلُ ذَاكَ الْحُسَامِ

شَرُفَ الْمَلِكِ بِهِ حِينَ حَاظَهُ
فَشَدَّتْ وَجَدًا بِهِ غَرْنَاطَهُ
إِذْ تَوَخَّى بِسِوَاهَا ارْتِبَاظَهُ

كُلَّ يَوْمٍ اقْرَبِكَ يَا حَبِيبَ السَّلَامِ وَنَسِيتَ أَنْتَ ذِمَامَ

• • •

(٣) بياض في الاصل، وملأناه بما يناسب المعنى

• ابن الزقاق (أبو الحسن علي) المتوفي سنة ٥٣٠هـ :

خُذْ حَدِيثَ الشَّوْقِ عَنِ نَفْسِي وَعَنِ الدَّمْعِ الَّذِي هَمَّعَا

مَا تَرَى شَوْقِي قَدْ آتَقَدَا
وَهَمِّي بِالدَّمْعِ وَأَطْرَدَا
وَاعْتَدَى قَلْبِي عَلَيْكَ سَدَى

أَهْ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ قَبَسِ بَيْنَ طَرْفِي وَالْحِشَا جُمِعَا

بِأَبِي رَيْمٍ إِذَا سَفَقَرَا
أَطْلَعْتَ أَزْرَارَهُ قَمَرَا
فَاحْذَرُوهُ كَلَّمَا نَظَرَا

فَبِالْحَاظِ الْجَفُونِ قَيْسِي أَنَا مِنْهَا بَعْضٌ مَن صَرَعَا

أَرْتَضِيهِ جَارَ أَوْ عَدَلَا
قَدْ خَلَعْتُ الْعَدْلَ وَالْعَدَلَا
إِنَّمَا شَوْقِي إِلَيْهِ فَلَا

كَمْ وَكَمْ أَشْكُو إِلَى اللَّعْسِ ظِمْمَايَ لَوْ أَنَّهُ نَفَعَا

• ترد الموشحة في توشيح التوشيح منسوبة لابن الزقاق (وألحقها محققة ديوان ابن الزقاق الى الديوان استنادا الى ذلك) كما تجيء في «عقود اللاك» مخطوطة الاسكوريال ورقة ١٠ منسوبة كذلك لابن الزقاق بينما نسبتها صاحب «نفح الطيب» ج ٥ ص ٣٦٩ إلى ابن بقی

ضَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بِالْحَوْرِ
وَبَطْرِفِ فَاتِرِ النَّظْرِ
حُكْمَهُ فِي أَنْفَسِ الْبَشَرِ

مثلُ حكمِ الصَّبِجِ فِي الْغَلَسِ إِنْ تَجَلَّى نُورُهُ صَدَعَا

شَبَّهَتْهُ بِالرِّشَا الْأُمِّ
فَلَعَمْرِي إِنَّهُمْ ظَلَمُوا
فَتَفَنَّى مِنْ بِهِ السَّقَمُ

أَيْنَ ظَبْيِي الْقَفْرِ وَالْكُنُوسِ مِنْ غَزَالٍ فِي الْحَشَا رَتَعَا



● ابن رحيم (ابوبكر) المتوفي نحو ٥٣٠ هـ (?):

نسيمُ الصَّبا أقبَلَ من نَجْدٍ لقد زادني وَجْداً على وَجْدِ

يا رِيحَ الصَّبا بالكِ دارِيني
بِعَرْفِ شَذَا مَسْكَ دارِينِ
ووصفِ رِشا بِالهِجْرِ يَبْرِينِ
وسلِ بِاللَّوى عَن كُثْبِ يَبْرِينِ

هل استوحشتُ بالنأي والبُعدِ وما صنعتُ بشينتهُ مِن بَعْدِي

لئن هَجَرَ الشَّادِنُ أوطاني
وضغِبُ العِزَا في النأيِ أوطاني
وضاقتُ بهِجْرِ الحَبِّ أَعْطاني
وضننتُ بما في الحَبِّ أَعْطاني

فيا عاذلي عن عذلي عَدِّ فما حبُّ ذا الحَبِّ قد يُعْدي

حَمَامِ اللَّوى بِالنَّوْحِ أَرشاني
بِقُمْرِيَّةِ نَاحَتِ بَورْشَانِ
تَهَيِّمُ بِهِ وَهُوَها شَانِي
فَقَلْتُها شَانِكِ مِن شَانِي

● النص في «جيش التوشيح» ص ١٧٥

وسعدك يا ورقاءُ من سَعْدِي وفي كلِّ وادٍ من بني سَعْدِ

بنفسي الذي قد بَرَّ أشرفاً
وحازت به الأيامُ إشرافاً
أيا ابن سعيد سدتِ ابلاقاً
بذلت لهم جودك آفاقاً

أَجْرَيْتَ (١) إِذْ سَمِيتَ بِالْحَمْدِ وَقَمْتَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْمَجْدِ

حبيبٌ بدأ بدأ أنساني
على أنه أسكنُ إنساني
غزال عن التمنيق أغناني
وأصق إذ زادَ وغتاني

لأَيِّ قِصَّةِ تَبَيْتِ وَحَدِّكَ وَأَبَيْتِ وَحَدِّي كَمَا بَتَ عِنْدَكَ حَتْمًا (٢) تَبَيْتَ عِنْدِي

• • •

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : أَجْرَيْتَ

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ : حَتَّى

ابن بقى (أبو بكر يحيى ، المتوفى سنة ٥٤٥هـ) :

سَاعِدُونَا مَصِيحِنَا نَرْتَشِفْهَا قَدْ ظَمِينَا (١) كَثُضَارِي فِي لُجَيْنِ نِعَمَ أَجْرِ الْعَامِلِينَا

فَمُ بِنَا نَجْلُوا الْكُوُوسَا تَحْتِ أَظْلَالِ السَّحَابِ
نَتَعَاطَاهَا عَرُوسَا حَلِيهَا ذُرُّ السَّحَابِ
قَهْوَةٌ تُعْطَى النَفُوسَا عِزَّ أَيَّامِ الشُّبَابِ

تَفْصِيْبُ اللَّيْثِ الْعَرِيْنَا وَيُرَى كَسْرِي قَرِينَا حِينَ يُسْقَى بِالْيَدَيْنِ جَامَهَا حِينَا قَحِينَا

يَوْمُنَا يَوْمٌ أَنْيِقُ يَوْمٌ شُرِبَ وَالتَّذَادِ
طَرَزَتْ فِيهِ الْبُرُوقُ لَا بِسَاءَ أَنْوَابَ لَاذِ
وَسَقَى السَّمِيمُ الرَّقِيقُ مَاءً وَرِدَ بِرِذَادِ

أَطْفَرَ السَّحَرَ الْمُبِينَا حِينَ رَشَّ الْيَاسْمِينَا وَبَكَى مِنْ دُونَ عَيْنِ فَضَحِكُنَا فَكَيْهِنَا

أَيُّهَا السَّاقِي الْمُحَيَّا بِرِيَّاحِيْنَ التَّمَنِّي
يَسْخَرُ عَيْنِيكَ الْحُمَيَّا فَاصْرِفِ الصَّهْبَاءَ عَنِّي
لَا تَسَلِّظْهَا عَلَيَّا فَاهْوَى قَدْ نَالَ مَنِّي

قَدْ نَفَثْتَ السَّخْرُفِينَا قَرَضِينَا الْحُبَّ دِينَا قَمُنَائِي دُونَ مَيْنِ أَنْ تَرَى ذَاكَ الْجَبِينَا

لِي حَبِيبٌ يَوْشِفِي وَصَلُّهُ فِي الْحُبِّ مِنَّةٌ
وَجْهَةٌ صَبِيحٌ وَضَمِيٌّ قَدْ تَبَدَّى فِي الدُّجْنَةِ
دَلَّتِي مِنْهُ الْأَبْيُ فَاَعَادَ النَّارَ جَنَّةً

• ترد في « جيش التوشيح » ص ١٣ ولم نجدها في غيره من المصادر
(١) في المطبوع : قد ضمينا

بَدَلَتِ الْوَرْدَ الْمُضَوَّنَا بَعْدَمَا كَانَ ضَمِينًا فَكَأَنِّي ذُو رَعِينٍ أَوْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

سَاءَ مَا لَمَّا اتَّضَلْنَا كُلُّ مَفْتَابٍ حَسُودٍ
وَكَذَلِكَ الْوَجْهَ قَلْبَنَا لَا لِتَدْنِيَسِ الْبُرُودِ
لَمْ نُرِدْ فِيمَا امْتَثَلْنَا غَيْرَ اقْتِلَاقِ الْحَسُودِ

قَدْ بَلِينَا وَابْتَلِينَا وَاشْ يَقُولُ النَّاسُ فِينَا قَمِ بِنَا يَانُورِ عَيْنِي نَجْعَلُ الشُّكَّ يَقِينَا

٥٢

مَالِي شَمُونٌ إِلَّا شُجُونٌ مِزَاجُهَا فِي الْكَاسِ دَمْعٌ هَتُونٌ
لِلَّهِ مَا بَدَّزَ مِنَ الدَّمْعِ
صَبٌّ قَدْ اسْتَعْبَرَ مِنَ الْوُلُوعِ
أَوْدَى بِهِ جُودُزٌ يَوْمَ الْبَقِيْعِ (١)
فَهُوَ قَتِيلٌ لَا بِلَ ظَمِيمٍ بَيْنَ الرَّجَا وَالْكَاسِ لَهُ قَتُونٌ
جَرَّخَتْ لِلْحَيْنِ كَفِّي بِكَفِّي
وَحِيلَ مَا بِنِي وَبَيْنَ الْفِي
لَا شُكَّ بِالْبَيْنِ يَكُونُ حَتْفِي
حَانَ الرَّحِيلِ (٢) وَلِي دُبُونٌ إِنْ رَدَّهَا الْعَبَاسُ فَهُوَ الْأَمِينُ
أَمَا تَرَى الْبَدْرَا بَدَرَ الشُّعُودِ
قَدْ اِكْتَسَى خُضْرًا مِنْ الْبُرُودِ
إِذَا انْثَى نَضْرًا مِنْ (٣) الْقَدُودِ

• النص في «دار الطراز» ص ٦٧ وذكر الخرجة ص ٣١ ونسبها لابن بقي وترد الموشحة في نفح الطيب ٣٠٢/٩ مسبقا بما يطربني من الموشحات قول بعضهم «وترد الخرجة في توشيع التوشيع» ص ١٧٥ في خاتمة موشحة للصفدي بناها على

نسق موشحة ابن بقي

(١) نفح : يوم الطلوع

(٢) نفح : حال

(٣) دار : من

أضحى يَفُونَ	مُتَّ ياحزِينُ	قد اكتسى بالأس	الياسمينِ
	قلتُ وقد شَرَّلا	النومَ عني	
	وأبأس العُودِ	الشقمُ مِنِّي (٤)	
	صد. فلما صد	قرعتُ سني	
جسمي نَحِيلُ	لا يستبينُ	يطلبهُ الجَلَّاسُ (٥)	حيثُ الآنِينُ
	تجاوز الحدَّ (٦)	قلي اشتيافا	
	وكلف الشهدا	مَنْ لو (٧) أطافا	
	قلت وقد مدَّ (٨)	ليلي رُواقا:	
ليلٌ طويلٌ	ولا مُعِينُ	ياقلبَ بعضِ الناسِ	أما تَلِينُ؟

• • •

(٤) دار: للسقم
(٥) دار: تطلبه
(٦) نفح: الحد
(٧) نفح: من لا
(٨) نفح: وقد مد

● أبو جعفر بن سعيد (المتوفى سنة ٥٥٠هـ):

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ فِضَّةَ النَّهْرِ

أَيُّ نَهْرٍ كَالْمُدَامَةِ
صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامَةَ
نَسَجَتُهُ الرِّيحُ لَامَةً
وَتَنَّتْ لِلْفَصْنِ لَامَةً

فَهُوَ كَالعَضْبِ الصَّقِيلِ حُفَّتْ بِالسُّمْرِ

مَضْحِكاً ثَغَرَ الكِمَامِ
مُبْكِيَا جَفَنَ القَمَامِ
مُنْطِقاً وُزِقَ الحَمَامِ
دَاعِيَا إِلَى المُؤَدَامِ

فَلِهَذَا بِالقَبُولِ نُحِطُّ كَالسَّظْرِ

حَبَبْنَا بِالحَوْرِ مَعْنَى
هِيَ لِفِطْرٍ وَهُوَ مَعْنَى
مَذْهَبُ الأشْجَانِ عَنَّا
كَمْ دَرِينَا حَيْثُ سِرْنَا

ثم في وقتِ الأصِيلِ لم نكنْ نُدْرِي

● النص في «المغرب» ١٠٣/٢

قَلْبْتُ وَالْمَرْجُ اسْتَدَارَا
بِذُرَى الْكَأْسِ سِوَارَا
سَالِبٌ مِنْهُ الْوَقَارَا
دَائِرًا مِنْ حَيْثُ دَارَا (١)

صَادَ أَطْيَارَ الْعُقُولِ شَيْكَ الْخَمْرِ

وَعَدَ الْجِيبُ فَأَخْلَفَ
وَأَشْتَهَى الْمُظْلَ فَسَوَّفَ
وَرَسُولِي قَدْ تَمَرَّقَ
مِنْهُ مَا أَدْرِي فَحَرَّقَ :

بِاللَّهِ قُلْ يَا رَسُولِي لَشْ يَغِيبُ بِدْرِي

• • •

• ابن شرف (أبو عبدالله) المتوفي نحو سنة ٥٧٠ هـ :
 يَارَبَّةَ الْعِقْدِ مَتَى تَقْلَدُ بِالْأَنْجُمِ الزَّهْرِ ذَاكَ الْمَقْلَدِ

مِنَ أَطْلَعِ الْبِدْرَا عَلَى جَبِينِكَ
 وَأُودِعِ السَّحْرَا بَيْنَ جَفُونِكَ
 وَزَوِّعِ السُّمْرَا بِفَرْطِ لَيْبِكَ
 يَا لَكَ مِنْ قَدِّ مَهْمَا تَأْوُدُ أَهْدَى إِلَى الزَّهْرِ خَدًّا مُورِدًّا

قَمِ فَاقْتَدِيحِ زَنْدَا مِنْ الْمُتَقَارِ
 قَدْ قَلَدْتَ عَقْدَا مِنْ الدَّرَارِي (١)
 وَأَلْبَسْتَ بُرْدَا مِنْ السُّنُضَارِ
 وَاشْرَبْتَ عَلَى وَدِّ (٢) عَلِيَا مُحَمَّدٍ نَاهِيكَ مِنْ سِرِّ وَطِيبِ مُورِدِّ

السَّنْصُرُ يَلْتَاخُ عَلَى عُغْلَاةِ
 وَالزَّهْرُ يِرْتَاخُ إِلَى نَعْدَاةِ
 مَا الصَّبْحُ وَضَاخُ لَوْلَا سَتَاةِ
 فَالْبِشُّ مِنَ الْمَجْدِ بُرْدَا مَعْضَدِ وَانظِمُّ مِنَ
 السُّنْفَرِ (٣) دُرَّأُ مُنْتَضَدِ

لِلَّهِ مَا أَعْلَى فِي كُلِّ حَالِ
 مَلِكٌ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى الْكَمَالِ
 مُقْلَدٌ نَضَلَا مِنْ الْجَلَالِ

• يرد في «جيش التوشيح» ص ١٠٥، و«المغرب» ٢/٢٣٢ (وأهمل محقق الجيش
 - لأمر ما - أن يقابل بين النصين)

(١) الجيش : الدرار

(٢) المغرب : علي ورد (وذكر المحقق أنها في الأصل : علي ود)

(٣) الجيش : من الفخر

يَهْرُ لِلْحَمْدِ (٤) نَضْلًا مُهْتَدٍ يَهْبُ بِالنَّصْرِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

انْعِمَ مِنَ الْحُسْنَى بِكُلِّ حُسْنٍ
فِي الشَّرَفِ الْأَسْنَى وَظُلْمِ أَمْنٍ
بِاصْدَقَ مِنْ غَنَى وَأَنْتَ يَسَعْنِي
مَا كَوَكِبُ الْمَجْدِ فَرَايَةُ الْأَمْرِ عَلَيْهِ تُعَقِّدُ



(٤) الجيش : يهز

ابن مالك السرقسطي (أبو بكر أحمد) المتوفي سنة ٥٧١ هـ :
 ماذا حنَّسوا فؤاد الشَّجِي يومَ ودَّعوا
 مالي بالثَّوى يذُّ تستطاع
 ونارُ الجَّوى يُذكيها السَّوداع
 وسرُّ السَّوى بدموعي يُذاع (١)
 بالخبِّ تهمل (٢) عيونٌ وتلتاع أضلعُ
 هل يُرجى إيابُ لعهدِ الحبائبِ
 إذ غصنُ الشَّباب (٣) مطلوكُ الجوانبِ
 ووصل الكيماب مبدوكُ المطالبِ
 فلا تبخلُ بالوضلي ولا الصبُّ يقنعُ
 لا أسألو ولا أصغي للواجي
 بل أصبُّوا الى هضمِ الشَّواج
 فجيل الظَّلا (٤) ما بين الأجاج
 فلو يعدُّ مابت (٥) أظها وينقعُ
 كم ذا تهجعُ وجفني ساهز
 بدرُّ يطلُّ (٦) في الصُّبح لناظر (٧)
 له بُرقُّع من سود الضَّفائر (٨)
 إذ تُسبِّل فشمسٌ بليل تقنعُ
 قد ذُو اعتدال منه الغصنُ اللدنُ

- النص في «المغرب» ٤٤٦/٢ هـ «جيش التوشيح» ص ٢١٨
- (١) جيش : بالدمع
 (٢) جيش : فكم تهمل
 (٣) جيش : اذ غض
 (٤) المغرب : يجيل
 (٥) المغرب : لمابت
 (٦) جيش : ظي يطلع (٧) جيش : لنافر (٨) جيش : الظفائر

معمشوقُ الدلال بسنا (٩) ثم يرنو
بسميتي غزال فاحذر حين يذنو
لحظ يرسلُ سهاماً لها القلبُ موقعُ
مُنَى النفسِ كم تُزهي بالتَّجَنِّي
فيا بذرَّتكم صل بمض التني
لمن لم يمتنم وبيات پغني :
أسمر حلو بياض كل عاشق يبيت معو (١٠)

• • •

(٩) كذا في النص ، ولعلها بنأى
(١٠) في المغرب : مع

٤ ابن زهر (الحفيد) المتوفي سنة ٥٩٥ هـ :

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ المَشْتَكِي ٥١
قد دعوناكَ وإن لَمْ تسمع
ونسديم همسٌ في عُزْرَتِهِ
وبشربِ الرَّاحِ من راحِيَتِهِ
كلما استيقظ من سُكْرَتِهِ
جذبتِ الرِّزْقَ اليه واتَّكَى
وسقاني أربعا في أربَعِ
مالعيني عَشِيَّتْ بِالنَّظَرِ
أنكرتِ بعدك ضوءَ القَمَرِ
وإذا ما شئتِ فاسمعي خَبْرِي
عَشِيَّتْ عيناي من طولِ البُكا
وبكى بعضي على بعضي معي
غصنُ بان ماله من حيثُ استوى
بات مَنْ يهواه في فرطِ الجوى
خفقُ الأحشاء موهونُ القوى
كلما فكر في البينِ بكى
ويحه يبكي لِمَا لَمْ يَقع
ليس لي صبرٌ ولا لي جَلْدُ
يالقومي عذلوا واجتهدوا
أنكروا شكواي مما أجْدُ
مثلُ حالي حقُّها أنْ تشتكي
كمد اليأسِ ودُكَّ الظمَعِ
كبيدي حرَّى ودمعي يسكفُ
تعرف الذنبَ ولا تعترفُ
أيها المعرضُ عما أصفُ
قد نما حُبِّي بقلبي وزكا
لا تخلُ في الحُبِّ أني مُدَّعي

• ترد الموشحة في العديد من المصادر من بينها «المغرب» ٢٦٧/١ و «دار الطراز» ص ٧٣ (غير منسوبة) و «معجم الادباء» ٢١٩/١٨ و «المطرب» - غير كاملة - ص ٢٠٠ و «الموافي» ٤٠/٤ و «توشيح التوشيح» ص ١٢٦ (وقابل محقق التوشيح النص على المصادر السابقة ومن ثم لم نر ضرورة لرصد كل الخلافات) كما ترد في: «عيون الأنباء» - ص ٥٢٦ وفي «جيش» ص

حَتَّى الْوَجْوهِ الْمِلاحا وحَيِّ سَوْدَ (١) الْعُيُونِ
 هل في الهوى من جُتاج
 وفي (٢) نـديم وراج
 رام النصوح (٣) صلاحِي

وكيف أرجو صلاحا بين الهوى والمُجُونِ
 ياغائباً لا يغيبُ
 أنت البميدُ القريبُ
 كم تشتكيك (٤) القلوبُ

أثخننهن جراحا واسأل سهمَ الجُفُونِ (٥)
 أبكى العميونَ البواكي
 تذكارة أختِ السِّمَّاءِ
 حتى حنمنا الأراكِ

بكي بِشَجْوٍ وناحا على فروع الغصونِ
 ألقى إليها زمامه
 صبب يداوى غرامه
 ولا يطيقُ السَّلامه

٢٠٢ وديوان ابن المعتز (ط . القاهرة ١٨٧١)، بعناية عزيز زند والنسبة لابن
 المعتز غير صحيحة كما بينا وتحيء كذلك في «العداري المائسات» ص ٥ وفي
 «عقود اللال» - مخطوطة الاسكوريال - ورقة ٦ وسنذكر الفروق بين النسخ
 عند تحقيقنا للكتاب الاخير

• ترد الموشحة في «المغرب» ٢٧٣/١ وفي «توشيح» ص ١٠١ وفي «عيون
 الانباء ص ٥٢٧

(١) المغرب : نجل . طبقات : كحل (٢) المغرب : اوفى (٣) المغرب : النصيح

(٤) عيون : تشتكيك (٥) المغرب : فاترك . عيون الانباء : سهام العيون

غدا بشوقٍ وراحا ما بين سببي الظنون
ياراجلا لم يودّع
رحلت بالأنس أجمع
والعجزُ يُعطي ويمتع
مروا وأخفوا الرّواحا عني وما ودّعوني (٦)



(٦) عيون : سحر وماودعتني

• محيي الدين بن عربي (المتوفي سنة ٦٣٨ هـ):

عندما لاح لعيني المتكا ذبت شوقا للذي كان ممي

أها البيت العتيق المشرف
جاءك العبد الضعيف المسرف
عيثته بالدمع دوما تذرّف

فريئة منه ومكّر فالبكا ليس محموداً إذا لم ينقج

كلما عددت فيه قال لي
ليس هذا فيّ بل في أيس لي
سأرى حكم قليب قد بُليّ

بهواها مستغيثاً قد شكّا وأنا أعلم شكوى الجرع

أشرقفت شمس له ما شرقفت
فرأينناها إذ شرقفت
أرعدت سحب لها ما أبرقت

فعلّمنا أنه حين بكى ما بكى إلا لأمر موجع

مرّبي في ليلة ليس لها
آخر والضُّبح قد جالّها

• النص في «الديوان الأكبر» ط. حجر (بومباي) ص ٢٠٢ وغنى عن الذكر
ان الموشحة على نسق قول ابن زهر «أها الساقى اليك المشتكى»

والسذي حرّمها حلّها

وانتدى بطلبٍ وصلي وانكى ومضى اذ وقضا لم يرجع

أها السّاقى اسبقني لا تأتلي
فلقد أتعبت فكري غدلي
ولقد أنشدت ما قيل لي:

أها السّاقى اليك المشكّي ضاعت الشكوى إذا لم تنفع

•••

• ابن سهل الإشبيلي (المتوفي نحو سنة ٦٥٠ هـ) :

هل درى ظبي الجمي أن قد حمى
فهو في حرّ وخفق مثلاً
يابدوراً أشرق يوم النوى (١)
ما لنفس في الهوى ذنب سوى (٣)
أجتني اللذات مكلوم الجوى
كلما أشكوه وجدي بسمما (٦)
إذ يقيم القطر فيه ماثماً
غالب لي، غالب بالتؤدة
ما علمنا مثل ثفرنضة
أخذت عيناه منه العربة
فاجم اللمة معسوك اللمي
وجهه يتلو «الضحى» مبتيماً
أها السائل عن جرمي لديه
أخذت شمس الضحى من وجنتيه
ذهب الدمع بأشواقيه

قلوب صبت حله عن مكس
لعبت ربح الصبا بالقبس
غراً تسليك، نهج الغرر (٢)
منكم الحسنى ومن عيني النظر (٤)
والتداني من حبيبي بالفكر
كالربي بالعارض المنجس (٧)
وهي من بهجتها في غرس (٨)
بأبي أفديه من جاف رقيق
أقحواناً عصرت منه رحيق (٩)
وفؤادي سكره ما إن يفوق (١٠)
ساجر الغنج شهى اللبس (١١)
وهو من إعراضه في «عيس»
لي جزاء الذنب وهو المذنب
مشرقاً للشمس فيه مغرب
وله خد بلحظي مذهب

• النص في ديوانه (ط. احسان عباس) ص ٢٨٣، وفي «نفح الطيب»
٢٧١/٩، وعقود اللاك - مخطوطة الاسكوريال - ورقة ٦٧، وهناك بعض
اختلاف في ترتيب الأقفال والأبيات.

- (١) نفح والديوان : اطلعت
- (٢) الديوان : تسلك بي. عقود : غرر تسلك
- (٣) الديوان : ما لنفس وحدها
- (٤) عقود : الحسن
- (٥) الديوان : التذاذي
- (٦) الديوان : واذا اشكو بوجدي. عقود: كلما اشكو بوجد باسا
- (٧) الديوان : والعارض
- (٨) عقود : فهي (٩) عقود : أقحوان (١٠) عقود : لا يطيق
- (١١) عقود : الجملة اكحل الطرف (وينقض بعدها القفل والبيت التاليان)

لاحظته مقلتي في الخُلسِ
ذلك الوردة على المُغتَريسِ
غادرتني مقلته دَنفًا (١٢)
أثر النملِ على صمِّ الصفا (١٣)
لستُ أجاه على ما أتلفًا
وعذولي نطقه كالخرسِ
حل من نفسي محلّ النفسِ
تلتظي كلّ حينٍ ماتشا (١٦)
وهي ضرّ وحريقٌ في الحشا (١٧)
أسدا وّرّدا وأهواه رَشَا (١٨)
وهو من الحافظه في حرسِ :
اجعل الوضلَ مكانَ الخُمسِ

ينبئتُ الوردةً بغريسِ كلما
ليت شعري أنّي شيءٌ حرقًا
كلما أشكّو إليه حرقتي
تركت الحافظه من رمقي
وأنا أشكره فيما بقي (١٤)
فهو عندي عادِلٌ إن ظلمًا
ليس لي في الأمر حُكمٌ بعد ما (١٥)
أضرم الدمعُ بأحشائي ضرام
هتّى في خديهِ بردٌ وسلام
أتقي منه على حكم الغرام
قلتُ - لما أن تبدى مُغلّمًا
أبها الآخذُ قلبي مغمًا



(١٢) الديوان : من اذا املى عليه حرقى طارحتى مقلته الدنفا

(١٣) الديوان : تركت اجفانه (١٤) الديوان : وانا اشكره

(١٥) عقود : ليس لي في الحب

(١٦) الديوان : تقدت دمعي نار في ضرام تلتظي... مايشا . عقود : منه للنار.

(١٧) عقود : وهي منار (١٨) عقود : اسد الغاب

● ابن خاتمة الانصاري (المتوفى سنة ٧٧٠ هـ)

فَمَ هَاتِيهَا قَهْوَةٌ كَدَمِجٍ مَهْجُورٍ هَذِي الرَّبِّي تَخْتَالُ
 قَد سَحَبْتُ أَذْيَانُ وَرَقَّتِ الْأَصَالُ
 فَافْتَرَّ عَنْ حُوهٍ (١) ثَمْفَرُ الْأَزَاهِيرِ فَهَاتِيهَا قَد بَانَ
 فِي نَعْمَةِ الْعِيدَانُ وَالنِّمِ ظَلِي الْقُطْعَانُ (٢)
 رُضَابَةٌ حَلْوَةٌ كَذُوبٍ بَلَّورٍ يُدِيرُهَا تَيَّابَةٌ
 إِنْ أَخْطَأْتُ كَفَّاهُ لِلَّهِ مَا أَبَاهُ
 غَصْنٌ عَلَى رَنُوءِ الْحَاظِ يُعْفُورٍ (٣) آهُ وَمَنْ يُبْلِي
 لَشِدَّةً مَا حَلَّاهُ يَاعَاذِلِي مَهْلَاهُ
 مَا أَبْعَدَ السَّلْوَةَ عَنْ قَلْبِي مَذْعُورٍ رَفَقَا مُنَى قَلْبِي
 قَد زَادَ فِي كَرْبِي اللِّتَّةُ فِي صَبِّ
 يَبِصَابِ السَّظْوَةِ وَارْفَقْ بِمَهْجُورٍ

قَد أَفْرَطْتُ إِفْرَاطِي اللَّطْفِ وَالنُّورِ فِي حُلَلِي الزَّهْرِ
 بِرُودِهَا الْخُضْرِ لَعَبْرَةَ الْقَيْظِ
 وَنَمَّ عَنْ أَخْلَاطِ مَسْكِ وَكَافُورٍ لِعَاذِلِي عُذْرِي
 وَرَنَّةَ الزَّمْرِ وَأَرْشَفَ لَمِي الْخَمْرِ
 تَخْتَالُ فِي أَسْمَاطِ مَنْ جَوْهَرِ الثُّورِ كَالصُّبْحِ مَرَّاهُ
 سَقْتِكَ عَيْنَاهُ وَمَا أَحْيَاهُ
 مَجْوَهْرُ الْأَقْرَاطِ طَلِقُ الْأَسَارِيرِ حَرْبَانَ يَبِيدِي
 بِالصَّصَبِ مِنْ وَجْدِي فَالْعَدْلُ لَا يُجْدِي
 تُيِّمَ فِي فُسْطَاطِ بَدْرِ دَيْجُورٍ بِقَلْبِ هَيْمَانِكَ
 فَتَوْرُ أَجْفَانِكَ بِنَيْلِ إِحْسَانِكَ
 أَضْفَظْتَنِي إِضْغَاطِ (٤) يَافْتَنَةَ الْحُورِ

- من ديوان ابن خاتمة الأنصاري تحقيق د. محمد رضوان الداية (١٩٧٢م) ص ١٦٢، وعلق المحقق على النص بقوله إن: الموشح تام من ستة أفعال وخمسة اغصان وهو موشح غير شعري والخرجة عامية ولانتفق معه في تعبير «اغصان» ولا في قوله: ان الخرجة بالعامية فهي خرجة فصيحة ونوتر تسمية «الابيات» بدلا من الأغصان لأنها هي التي عليها ابن سناء الملك.
- (١) الحوة: السمرة في الشفة (٢) لعل المراد هنا: صغار الطباء (٣) اليعفور: ولد الظبي (٤) لاشك في أن التعبير سيء ولعل لقافية الطاء اثرا في هذه الركائفة

● لسان الدين بن الخطيب (المتوفي سنة ٧٧٦ هـ) :

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمِي
 لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلْمًا
 إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمُنَى
 زُمْرًا بَيْنَ فِرَادَى، وَثُنَا
 وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرُّوضِ سَنَا
 وَرَوَى النِّعْمَانُ عَنِ مَاءِ السَّمَاءِ
 فَكَسَاهُ الْحَسَنُ ثَوْبًا مُغْلًا
 فِي لَيْالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الْهَوَى
 مَالِ نَجْمِ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى
 وَطَرِ مَافِيهِ مِنْ عَيْبِ سَوَى
 حِينَ لَدَّ الْأَنْسُ شَيْئًا أَوْ كَمَا
 غَارَتْ الشَّهْبُ بِنَا أَوْ رَتَا
 أَيُّ شَيْءٍ لَمْ يَرَى قَدْ خَلَصَا
 تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ مِنْهُ الْفُرْصَا (٣)
 فَإِذَا الْمَاءُ تُنَاجَى وَالْحَصَا
 تَبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بَرْمَا
 وَتَرَى الْآسَ لِبَيْبَاءَ قَهَا
 يَا أَهْيَلِ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْفَضَا
 ضَاقَ عَنِ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا
 فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنْسٍ قَدْ مَضَى

يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلِسِ
 فِي الْكُرَى أَوْ خُلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ
 يَنْقُلُ الْخَطْوَةَ عَلَى مَا يَرْسُمُ
 مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوَفُودَ الْمَوْسُمُ
 فَتَغُورُ الزَّهْرُ مِنْهُ تَبَسُّمُ (١)
 كَيْفَ يَرُوي مَالِكٌ عَنْ أَنَسِ
 يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَزْهَى مَلْبَسِ (٢)
 بِالذُّجَى لَوْلَا شَمْوُسُ الْفُرْرِ
 مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثْرِ
 أَنَّهُ مَرَّ كَلِمَجِ الْبَصْرِ
 هَجَمَ الصَّبْحُ هَجُومَ الْخَرَسِ
 أَثَرَتْ فِينَا عِيُونَ النَّرْجِسِ
 فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مَكَّنَ فِيهِ
 أَمِنْتُ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَنْقِيهِ
 وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
 يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَتَكْتَسِي
 يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأَدْنَى فَرَسِ (٤)
 وَيَقْلِبِي سَكَنُ أَنْتُمْ بِهِ (٥)
 لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
 تَعْتَقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ

● يرد النص كاملا في «النفح الطيب» ٢٢٥/٩ (ويأتي معظمه في «مقدمة» ابن خلدون ٣/٣٩٩) وفي مصادر أخرى منها «عقود اللاك» - مخطوطة الاسكوريال -

(١) عقود : ومقدمه : فسنا الازهار فيه

(٢) عقود ومقدمة : باجي

(٣) عقود ومقدمة : فيه الفرصا

(٤) «مقدمة» : يأذني فرس

(٥) مقدمة : مسكن

واتقوا الله وأحيوا مُغْرَمًا
 حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا
 وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مَقْتَرِبٌ
 قَرُّ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ
 قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مَذْنِبٌ (٧)
 سَاحِرِ الْمَقْلَةِ مَعْسُوكُ اللَّمِي
 سَدَّدَ السَّهْمَ وَسَمِّي وَرَقِي
 إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الْأَمَلُ
 فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوْ
 أَمْرُهُ مَعْتَمَلٌ مُتَثَلٌ
 حَكَمَ اللَّحِظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا
 مَنْصِيفُ الْمَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَا
 مَا لِقَلْبِي كَلِمًا هَبَّتْ صَبَا
 كَانَ فِي اللُّوحِ لَهُ مَكْتَعَبًا
 جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَصْبَا
 لَا عِجْ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرَمَا (٩)
 لَمْ يَدْعُ فِي مُهَجَّتِي إِلَّا ذِمَا
 سَلَّمِي يَا نَفْسُ فِي حَكِيمِ الْقَضَا
 دَعَاكَ مِنْ ذِكْرِي زَمَانٌ قَدْ مَضَى (١١)
 وَاصْرِفِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرَّضَا
 الْكَرِيمُ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَمَى
 يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا
 مِصْطَفَى اللَّهِ سَمِي الْمِصْطَفَى

(٦) عقود : خراب

(٧) مقدمة : ومذنب

(٨) عقود : وفؤادي

(٩) مقدمة : لاجع من

(١٠) مقدمة : الا الدما، عقود : الا دما كبقايا

(١١) عقود : من ذكر

(١٢) ينتهي هنا النص في المقدمة

مَنْ إِذَا مَا عَمَّدَ الْعَهْدَ وَفِي وَإِذَا مَا قُبِحَ الْخَطْبُ عَمَّدَ (١٣)
 مِنْ بِنِي قَيْسِ بْنِ سَعِيدٍ وَكَفَى حَيْثُ بَيْتُ النَّصْرِ مَرْفُوحُ الْعَمْدِ
 حَيْثُ بَيْتُ النَّصْرِ مَحْمِيُّ الْجِمَى وَجَنَى الْفَضْلِ زَكِيُّ الْمَغْرَسِ
 وَالْهَوَى ظِلُّ ظَلِيلٍ خَيْمًا وَالنَّدَى هَبَّ إِلَى الْمُغْتَرِسِ (١٤)
 هَاكُنَّهَا يَأْسِبُظُ أَنْصَارِ الْعُلَا وَالَّذِي إِنْ عَثَرَ الدَّهْرُ أَقَالَ
 غَادَةُ أَلْبَسَهَا الْحَسَنُ مُلَا (١٥) تَهْرُ الْعَيْنِ جَلَاءٌ وَصِيقَانِ
 عَارِضَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى وَحَلَا قَوْلَ مَنْ أَنْطَقَهُ الْحَبُّ فَقَالَ:
 هَلْ دَرَى ظَبْيِي الْجِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبِّ حَلَّةٍ عَنْ مَكْنَسِ
 فَهَوْ فِي حَرٍّ وَخَفَقَ مِثْلَ مَا لِعَبَّتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

• • •

٠٢

يَا حَادِي الْجَمَالِ عَرَّجْ عَلَيَّ سَلَا (١) قَدْ هَامَ بِالْجَمَالِ قَلْبِي وَمَا سَلَا
 عَرَّجْ عَلَيَّ الْخَلِيجِ وَالرَّمْلِي فِي الْحَمَى
 فِي الْمَنْظَرِ الْبَيْجِ بِالْبَيْضِ كَالدُّمَى
 وَالْأَبْطُجِ النَّسِيجِ مِنْ صَنْعَةِ السَّنَا

(١٣) عقود : فتح

(١٤) عقود : نهب

(١٥) عقود : حلا

* النص في «نفاضة الجراب في علالة الإغتراب» لابن الخطيب، تحقيق
 د. أحمد مختار العبادي، ص ١٦٩. ويضم الكتاب موشحة أخرى لابن
 الخطيب، مطالعها :

قد قامت الحجة فليعذر العاذر فالعذر لا يجدي

شيئاً سوى الكرب وشقوة الخاطر وشدة الوجد

(ص ١٦٧) وصدورها ابن الخطيب بقوله :

«ونظمت في هذه الأيام (ورجح المحقق في المقدمة، ص ٤ أن
 الكتاب لم يؤلف في الفترة ما بين سنة ٧٧٣ - ٧٧٦ أي الفترة الأخيرة من
 حياة ابن الخطيب التي قضاها في منفاه الاختياري بالمغرب الأقصى بل أكد =

لِلَّهِ مِنْ جَلَالِ تَخْتَالٍ فِي حُلَاةٍ
وُطِفَ مِنَ الرَّبَاطِ
بِمَنْزِلِ اغْتِبَاطِ
مَقَدَّسِ الْمَوَاطِ
كَمْ مِنْ سِتَا هِلَالٍ بِأَفْقِهِ أَنْجَلَى
جَنِي النَّعِيمِ دَانٍ
أَهْلَةُ الشَّوَانِي
وَقَهْوَةُ الدَّنَانِ
أَغْرُ كَالْفِزَالِ مَقْلُدُ الْقَلَا
بِسْطُورِ لَا يَبَالِي بِالْأَشْدِ فِي الْفَلَا

أَوْلَى السِّبْكَ أَوْلَا
أَكْثَرَتْ فِيهِ قَوْلَا
خَذَفِي امْتِدَاحِ مَوْلَى
مُتَجَدِّ الْجَلَالِ مُشْهَرِ الْعُلَا
مَنْ ذَكَرَ مَعَهْدِ
فِي كُلِّ مَشْهَدِ
نَدْبِ مَوْيَدِ
قَدْ فَاقَ فِي كَمَالِ وِرَاقِ مُجَنَّلَا

مُؤَافِقُ الْخَلِيلِ
ذِي الْمَنْظَرِ الْجَمِيلِ
مُكْرَمِ الدَّخِيلِ
وَمَحْيِبِ النَّوَالِ لَمَنْ تَوَسَّلَا
فِي الْأَسْمِ وَالسَّمَاتِ
الرَّائِقِ الصِّفَاتِ
وَمُجْزِلِ الْهَبَاتِ
وَرَافِعِ الْمَعَالِي سُخْبَا مُظَلَّلَا

يَأْمَنُ عُلاهُ دَرَّتْ
خُذَهَا إِلَيْكَ جَرَّتْ
وَفِي حُلَاكِ أَزْرَتْ
يَا مَنْزِلَ الْغَزَالِ حَيَّتْ مَنْزِلَا
بِكُلِّ نَائِلِ
ذَيْلِ الْخُمَائِلِ
بِقَوْلِ قَائِلِ:
فَمَا أَرَى بِسَالٍ عَنْهُ وَإِنْ سَلَا

« أن الكتاب ألف خلال المدة التي كان فيها ابن الخطيب برفقة السلطان محمد الخامس الغني بالله عندما خلع وأقام بالعدوة. أي من سنة ٧٦٠ الى سنة ٧٦٣) موشحتين استطردت فيما الى مدح السلطان، تنويماً في الوسائل، وسيراً للقرحة».

(١) مدينة بالمغرب الأقصى على المحيط، وأقام بها ابن الخطيب فترة في خلال مدة عزل السلطان، الغني بالله.

● ابن زمرك (المتوفى سنة ٧٩٥ هـ) :

نسيمُ غرناطةٍ عليلُ
وروضُها زهرٌ بليلُ
سقى بنجدٍ رُبا المُصلَى
فجفنه كلما استهلاً
والروضُ بالحُسنِ قد تجلَى
ودوحُها ظلُّه ظليلُ
والبرقُ والجوُّ مستطيلُ
عقيلةٌ تاجها السبيكةُ
كأنها فوقه مليكةُ
تطبَعُ من عسجدٍ سبيكةُ
أبدعها الخالقُ الجليلُ
قلبي إلى حسنه يميلُ
وزاد للحسنِ فيك حسنا
جددٌ للفخرِ فيك معنى
تُدعى رشاداً وفيك معنى
فالنصرُ والسعدُ لا يزولُ

لكنة يبرىءُ العليلين
ورشفة ينقَعُ القليلين
مباكيراً روضه الغمام
تبسم الزهرُ في الكمام (١)
وجرد النهرَ عن حُسام
يحسُنُ في ربه المقييل
يلعب بالصارم الضيقيل
تُطلُّ بالرقبِ المنيف
كريئها جنة العريق
شموشها كلها تُطيف (٢)
يامنظرا كلُّه جميل
وقبلنا قد صبا جميل (٣)
محمدُ الحمدِ والسَّمخ
في طالع اليمين والنجاج (٤)
يخضك الفالُ بافتاخ (٥)
لأنه ثابتٌ أصيل

● النص في «نفع الطيب ١٠٤/١٠ يتصدرها»: وقال أيضا من الموشحات الرائقة، في مثل هذه السابقة (إشارة لموشحة: «بالله يا قامة القضيب» في التشوق الى غرناطة ومدح الغنى بالله) وأشار الى محاسن، من وصف الرشاد. ويرد النص في «العداري المائسات» ص ٣٤ يتصدرها: «وقال متشوقا الى غرناطة ومادحا السلطان ايده الله بنصره»

- (١) في النفع: «فجفنه كلما استهلاً» في العذارى يتسم
- (٢) في النفع: كلما تطيف
- (٣) في النفع: وقلبنا
- (٤) في النفع: فيك مبنى
- (٥) في العذارى تدعى دثارا

أَبَاؤُهُ عِثْرَةُ الرَّسْمُونَ
 وَتَوَّجَ الرُّوْحَ بِالقَبَابِ
 وَزَيْنَ الزَّهْرَ بِالقَبَابِ (٦)
 مَا أَوْلَعَ الحُشْنَ بِالقَبَابِ
 وَطَرَفُهَا بِالشَّرَى كَلِيلُ (٧)
 حَتَّى تَبَدَّتْ لَهُ حُجُوكُ
 تَلُوحُ لِلعَيْنِ كَالنَّجُومِ
 عِقْدُ النَّدى فَوْقَهَا تَظِيمُ (٨)
 وَلَمْ يَزَلْ حَوْلَهَا يَحُومُ
 وَالتَّيْنُ الفِ الْمَسْتَنِيلُ (٩)
 مِنْ فَوْقِ خَدِّ لَهُ أَسِيلُ (١٠)
 تَطْفُولُهُ فَوْقَهَا شُورُ
 مَا بَيْنَ نُورٍ وَبَيْنَ نُورِ
 تُدِيرُهَا بَيْنَ البُدُوزِ (١١)
 يَاهِلْ إِلَى رَشْفِهَا تَبِيلُ
 وَصِبْغُهُ صَفْرَةُ الأَصِيلِ
 كَمْ نَلْتِ فِي ظِلِّكَ المُنَى
 يُجَنِّى بِهَا أَطْيَبُ الجَنَى
 مَا زَالَ بِالقَفِيثِ مَحِيناً
 فَلَمْ أَقْلَ مِثْلَ مَنْ يَقُولُ:
 شَرِحُ الَّذِي بَيْنَنَا يَطُولُ

سَعْدٌ وَأَنْصَارُهُ قَبِيلُ
 أَبَدَى بِهِ حُكْمَةَ القَدِيرِ
 وَدَرَعَ النُّهْرَ بِالقَدِيرِ
 فَمِنْ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرِ
 هَبَّتْ عَلَى رَوْضِهَا القَبُولُ
 فَلَمْ يَزَلْ بَيْتُهَا يَجُولُ
 لِلزَّهْرِ فِي عِظْفِهَا رُفُومُ
 وَالتَّنْدَى بَيْنَهَا رُشُومُ
 وَكَلُّ وادٍ بِهَا يَمُومُ
 شُنْبُلُهَا مُدَّةٌ مِنْهُ نَيْلُ
 وَعَيْنُ وادٍ لَهُ تَسِيلُ
 كَمْ مِنْ ظِلَالٍ بِهِ تَرِفُ
 وَمِنْ زَجَاجٍ بِهِ يَشِفُ
 وَمِنْ شَمُوسٍ بِهِ تَحْفُ
 مَزَاجُهَا العَذْبُ سَلْسَبِيلُ
 وَكَيْفَ وَالشَّيْبُ لِي عَذُولُ
 يَأْسِرْحَةُ فِي الجِمَى ظَلِيلَةُ
 رَوْضِكَ اللُّهُ مِنْ خَمِيلَةُ
 وَبَرَقُهَا صَادِقُ المَخِيلَةُ
 أَنْجَزَ لِي وَعَدَكَ القَبُولُ
 يَأْسِرْحُهُ يَأْمَطُولُ

(٦) فِي النْفَحِ: وَدَرَعَ الزَّهْرَ ... وَزَيْنَ النُّهْرِ

(٧) فِي النْفَحِ: كَبَتِ عَلَى رَوْضِهَا

(٨) نَفْحٌ: فَوْقَهُ

(٩) فِي النْفَحِ: شَنِيلُهَا

(١٠) نَفْحٌ: بِهَا تَسِيلُ

(١١) فِي النْفَحِ: بِهِ تَصِفُ

• اللخمي الغرناطي (أحمد بن علي)، من شعراء القرن التاسع الهجري:

حيّاك بالأفراج داعي الصّباح قم لاصطباخ

فالنوم في شرع الهوى لا يُبّاخ

والصبيحُ قد جرّدهُ منه حُسام	باد القسام
تضحّى وجوه الزّهرِ منه وسام	ذات ابتمام
وحامُ جنج الليل قد عادَ سام	مما يُسام
وخافقُ البرقُ بدا بالنيّاخ	سامي الأياخ

وأدُمع المُزِنِ به في انسيّاخ

والروضُ من ذاك الهتون البليل	ظِلُّ ظَلِيل
يفغدو نسيم الزهر منه عليل	يشفي الغليل
وساجعُ البلبيل يُبدي أليل	على الخليل
لما رأى تلك الغياض الفسّاخ	غنى وصّاخ

وكاد يزري بالطيور الفصّاخ

إنني بذكري للتاصبي أطيّب	عن كلّ طيب
كأنما تذكّاره لي مطيب	غصّ رطيب
حتى إذا ما قتُ فيه خطيب	بما يطيب
رأيتُ مدحي للصفات اليلّاخ	عين الصّلاخ

• ترد في «العذارى المائتات» ص ١٨ تسبقها جملة «قال .. على أثر قوله من الحج عام ٨٤٩»

فللم اصيخ فيه إلى قول لآخ

أما ترى ابن البازي استمان قلبي فتمان
غيتك ولكن ليس فيه انهمان إلا بيمان
بدر ولكن ليس إلا الكمان ثم الجمان
نه بأفق المعلوات التماخ إلى الطماخ

وشائه البذل وفرط السماخ

قد حاز فضل (١) السبق بين الوجود جلماً وجمود
تهوي السما كأن النيه سجد مسهما بجمود
وذاته السمليناء روض جمود عالي التجمود
شذاه للمأمول (٢) والسؤال راخ والاقستراخ

ومورذ العباين منه قراخ
بمثل هذا الذخير يُشقى الغرام مما يُرام

(١) في المطبوع: خصل

(٢) في المطبوع: بالمأمول

وقد جاء في «نفع الطيب» ج ٩ ص ٢٩٣ مطلع موشحة للسان الدين بن الخطيب

قد حرك الجلجل بازي الصباح والنفجر لاح
فيا غراب الليل حث الجناح

وذكر أنه «معارض للموشح الشهير الذي اوله:

بنفسح الليل تذكى وفاح بين البسطاح
كأنه يسقى بمسك وراح»

ومن المعارضات الاخرى له قول ابن سهل الاشيلي «باكر الى اللذة والاصطباح»
وموشحة لابن نباته المصري أولها «ماسح محمر دموعي وساح» وتردان في «عقود
اللاك» - مخطوطة الاسكوريال - ورقة ٥، وتسمى الاخيرة في «نفع الطيب».

فإنه فخرُ القضاةِ الكرامِ بلا انصرامِ
وجاهتهُ أزرى بكلِ احترامِ صبغُ المرامِ
وجودهُ في الناسِ خافي الجناحِ بالامتناخِ

فهل على مُدّاجه من جُناخِ

وهاكها مولاي ذاتِ اعتقانِ كما يُقّانِ
ترجوندى يقضي بحلِ العقانِ للإنتقانِ
وها أنا عارضتُ فيها مقانِ مَنْ كان قال:
بنفسِجِ اللَّيلِ تزكّى وفاخِ فوقَ البِطاخِ

أظنُّه يُسقى بماءِ وراخِ



• المنصور السعدي (المتوفي سنة ١٠١٢هـ):

عظُر الأرجاء لما نَسَمَا
وأنت شمسُ الضُّحَى تنسِخُ ما
طافَ بالكأسِ منَ التُّركِ فتى
فَتَن الألبابَ لما التفتا
وأنا بالحميماً فتى
وكؤوسُ الرّاحِ بين التُّدَمَا
خمره صفراءُ في البَلُورِ ما
بادِر اللذاتِ واجمَع شملها
ذي عيونِ ناعساتِ كم لها
وافر الأردافِ عانى حملها
كلما أفرغَ كأساً قال ما
فابذل الجهدِ وكن مغتنيماً
فرصُ اللذاتِ كن منتَهزاً
وليالي الأيسِ كن منتَجِزاً
واجتني زهرَ الهوى محترزاً
لا تكن يوماً جباناً حيثما
ما مضى يومٌ ووافى مثلما
للرياضِ اذهب ترى بلبلها
وتُحدوهُ الرّوضِ قد كَلَّلها

شمأة الصهباء عند الغلسِ
يقراً الليلُ لنا مِن عبَسِ
مولع بالصَّدْ عنى ما فتِن
واجتني منه بعضُ الشَّفَةِ
صدّه نيةُ الهوى عن ألفتي
أرّجت بالعرفِ أفقَ المجلسِ
أشبه الرّاحِ بروضِ التُّرجِسِ
بمِدامِ وغلامِ مطربِ
من فنونِ السُّحرِ ما يلعبُ بي
ناجل الخصرِ وذا من عَجَبِ
أنتك بالشاربي حياةُ الأنفَسِ
لنعيش العيشَ طيبُ الأنفَسِ
بشذاها قبل حذفِ الحَبَرِ
قبل أن تمضي كلمج البَصَرِ
من جناباتِ همومِ الكبرِ
لاحت اللذاتُ كالمحتلِسِ
كان فالدهرُ لنا بالحَرَسِ
يتفنى بين زهرِ يثجلي
دمعُ طلٍّ لاشتياقِ البَلِّ

• يرد النص في «الدراري السبع: الموشحات الأندلسية» ص ١٥، وعلى رأسه: «لابي العباس المصور سلطان الأندلس»، كما يرد في «الكواكب السبعة السيارة» - مخطوطة الظاهرية - النص السابع، يتصدره «لأبي العباس المنصور مولاي أحد، سلطان الأندلس».

والموشحة - كما هو واضح - مما نسج على منوال موشحتي ابن سهل وابن الخطيب اللتين مرتا من قبل، وموشحة المنصور السعدي نموذج لموشحات متأخري المغاربة، وقد سقناها - على علاقتها - لتوضيح صنيع هؤلاء المتأخرين في حرصهم - وفي عدم حرصهم - على محاكاة صنيع القدامى.

يَايُحُ الْفُصَيْنِ مَقَامَ الْأَسَلِ
وَعَلَيْهَا مِنْ ثِيَابِ السُّنْدُسِ
زَرَّ بِالْفُضَيْةِ ثَنُوبُ الْأَطْلَسِ
مَائِسَاتٍ فِي قِبَاءِ أَخْضَرِ
تَتَلَلًا كَمَقْرُودِ الْجَوْهَرِ
فَعَدَا كَالصَّبْحِ بَاهِي الْمَنْظَرِ
فَنِي شَفَاءِ الْغَيْدِ حَسَنَ اللَّعْسِ
فَبَدَا لِلْعَيْنِ لَا لِلْمَلْمَسِ
وَعْيُونُ الشَّيْبِ فِي سَهْوِ الْوَسْنَجِ
لِصُرُوفِ حَدِّ حَدِيثِهَا وَسَنِّ
وَاقْتَفَى شَرَحَ شَبَابِ وَطَعْنِ
وَاعْتَرَاهُ لَاعِجٌ مِنْ هَجْسِ
وَاعْتَنَامُ الْوَقْتِ فَعَلُّ الْأَكْيَسِ
أَنْتَ إِذْ ذَاكَ جَبَانٌ غَافِلٌ
وَاجْتِهَدُ فَالْدَهْرُ ضَيْرُغٌ حَافِلٌ
وَالجِرْيَةُ الشُّهُمُ لَيْثٌ بَائِلٌ
بَارِدًا لِلْأَسَدِ الْمُفْتَرِسِ
وَلَهُ عَزْمٌ أَضْمًا كَالْقَبَسِ

وَقُدُودَ الْبَيَانِ قَدْ قَامَ لَهَا
وَالرُّبَى فَاحَتِ تَحَاكِي خُزْمًا
جِيْبُهَا زَرَّرَ بِالزَّهْرِ كَمَا
وَجَلَا الرُّوْحُ لَنَا أَشْجَارَةٌ
وَتَرَى فِي جِيْدِهَا أَنْوَارَةٌ
خَلَعَ اللَّيْلُ بِهِ أَطْمَارَةٌ
وَبَقَايَاهُ زَهَتْ فِيهِ كَمَا
كَمِذَارِ فِي مُحَيَّا عِلْمَا
حَبِذَا الْعَصْبُوهُ أَيَّامَ الصُّبَا
فَإِذَا أَيَقْظُوهَا دَهْرُ صَبَا
جَرْدَ الشَّيْبِ بِيَاضًا أَشْيَبَا
وَغَدَا الْإِنْسَانُ شَيْخًا هَرِمَا
فَإِذَا مَا فَاتَ يَقْضِي نَدْمَا
لَا تَدْعُ عَمْرُكَ يَمْضِي هَدْرَا
وَأَرْقَ بِالْجَهْلِ مِنَ النَّبْلِ ذَرَى
إِنَّمَا الْإِيْمَامُ أَمْثَالُ الشَّرَى
وَوَحْشُ الْأَنْسِ تَسْبِقِي مَغْنَا
تَرَكَ الْوَهْمَ وَخَافَضَ الطُّلْمَا

فصُوصٌ تُتعلّقُ بالموشحات وتاريخها

- من «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام
 - ● ●
- من مقدمة «دار الطراز» لابن سناء الملك
 - ● ●
- من «المقتطف من أزهار الطرف» مقابلا على «مقدمة» ابن خلدون،
و «نفع الطيب»
 - ● ●
- من مقدمة «توشيح التوشيح» للصفدي

من «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام

فصلٌ في ذكرِ الأديبِ أبي بكرِ عبادة بنِ ماءِ السماءِ واثباتِ جليته من شعره، ما يتعلق به من ذكره: قال ابن بسام

هو عبادة بنُ عبدالله الأنصاري، من ذريةِ سعيد بنِ عبادة، وقيل له ابنُ ماءِ السماءِ لجدهم الأول. ولحق بقرظبة (في أيام) (١) الدولةِ العامرية والحَمُودِيَّةِ، ومدح رجالها، وكان أبو بكر في ذلك العصر شيخَ الصناعة وإمامَ الجماعةِ، سلك السبيلَ السَّعِيرَ مسلِكاً سهلاً، فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً.

وكانت صنعةُ التوشيح التي نهج أهلُ الأندلسِ طريقتها، ووضحوا (٢) طريقتها غيرَ مرقومةِ البرود، ولا منظومةِ العقود، فأقام عبادةُ هذا مناداًها وقوم ميلها وسنادها فكأنها لم تُسمع إلا منه، ولا أخذت إلا عنه، واشتهر بها اشتهاً غلبَ على ذاته، وذهب بكثيرٍ من حسنة.

وهي أوزان كثيرةٌ كثر استعمالُ أهلِ الأندلسِ لها في الغزلِ والنسيبِ، تُشقُّ على سماعها مصوناتُ الجيوبِ، بل القلوبِ،

وأولُ من صنعَ أوزانَ هذه الموشحاتِ بافقنا، واخترعَ طريقتها — فيما بلغني — محمد بن محمود (٣) القَبْرِي الضَّرِير، وكان يصنعها على أشطارِ

● النبذة عن عبادة بن ماء السماء ترد في القسم الأول من المجلد الثاني، ص ١ — ٢ وأما حديث ابن بسام عن ابن عبادة القزاز فيجىء في ص ٢٩٩ — ٣٠٠.

وأورد ابن شاکر في «الفوات» ج ٢ ص ١٤٩ من ط. احسان عباس — نبذة مختصرة لما جاء في الذخيرة، وأما الصفدي في «التوشيح» ص ٢٠ فإنه لا ينقل عن «الذخيرة» الا عبارة واحدة تقول: «وقال ابن بسام أول من صنع هذه الموشحات بافقنا، واخترع طريقها — فيما بلغني — محمد ابن محمود القبري الضرير، وقيل ابن عبد ربه، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي وأكثر منها»

(١) زيادة (عن المطبوع) يقتضها السياق.

(٢) في «الذخيرة»: ووضعوا. وأخذنا بما جاء في «الفوات»

(٣) في «الذخيرة»: محمد بن حمود: وفي كثير من مخطوطات «الذخيرة» وكذلك في «الفوات» و«التوشيح» ابن محمود، وهو الأقرب للصواب. وانظر «الزجل في

الأندلس» هامش ص ٤.

الأشعار غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي العجيب ويُسَمِّيه المركز، ويضع عليه الموشحة، دون تضمين (٤) فيها ولا أغصان.

وقيل إن ابن عبد ربّه صاحب كتاب العقْدِ أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا.

ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز، يُضَمَّنُ كلَّ موقف يقف عليه في المركز خاصة، فاستمر على ذلك شعراء عصره (٥) كمكرم بن سعيد وابن أبي الحسن، ثم نشأ عبادة (ابن ماء السماء) هذا، فأحدث التغيير (٦)، ذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان، فيضمّنها، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز.

وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان، إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب، وقد أثبت من شعر عبادة في هذا الفصل ومن سائر كلامه، ما يدل على تقديمه وإقدامه..

.....

فصل: في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن عبادة، المعروف بابن القزّاز: من مشاهير الأدباء الشعراء. وأكثر ما ذكر اسمه، وحفظ نظمه في

(٤) اختصرت العبارة في «الفوات» فجاءت على النحو التالي:

«.. ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التفسير وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في المراكز». ولاحظ أن كلمة (التضمين) — جاءت في عدد من أصول كتاب «الذخيرة» — كما يقول محققو الكتاب — في صورة تشبه «التصير» وجعلوها «التضمين» أما د. احسان عباس في تحقيقه لـ «الفوات» فجعلها «التفسير» والكلمة نفسها تحيىء في ط. الشيخ محيي الدين من «الفوات»: «التصير»

(٥) جاء في النسخة المطبوعة من «الذخيرة»: «عصرنا. وعلق د. الأهواني على هذا في «الزجل في الأندلس» هامش ص٤ بقوله: «وهو سهو من الناشرين، ففي الأصلين المخطوطين: عصره.»

(٦) كلمة (التغيير) تبدو لنا غامضة، ولعلها نفس الكلمة التي وردت قبلا في صورة «التضمين» أو «التصير» أو «التفسير» .. الخ.

أوزان الموشحات، التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس. وقد ذكرت فيما اخترت في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء من برع في هذه الأوزان من الشعراء. وهذا الرجل ابن القزّاز مِمَّنْ نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديباجة ورضع تاجه، وكلامه نازك في المديح، أما الفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف، وتلك الأعاريفُ خارجة عن (غرض) (٧) هذا التصنيف».

من مقدمة «دارالطراز» لابن سناء الملك

«إن الموشحات مما ترك الأول للآخر، وسبقَ بها المتأخّرُ المتقدم، وأجلبَ بها أهل المغرب على أهل المشرق، وغادَرَ بها الشعراء من مُتَرَدِمٍ، مُلْحَهُ الدهر، وبابلُ السحر، وعنبرُ الشحر، وعودُ الهند، وخرُّ القفص، وتبرُّ الغرب، ومعيارُ الأفهام وميزانُ الأذهان ... صار المغرب بها مُشْرِقًا لشروقها بأفقه، وإشراقها في جوه، وصار أهلُه بها أغنى الناس لِظَفْرِهِمْ بِالكَنْزِ الذي دَخَرْتَهُ لهم الأيام، وبالمعدن الذي نام عنه الأنام..»

حد الموشح :

الموشحُ كلامٌ منظومٌ على وزنٍ مخصوص. وهو يتألف في الأكثر من ستّة أفعال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع. فالتام ما ابتدئ فيه بالأفعال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.

فقال التام موشح الأعمى وهو الذي سارت به الركبان:
هَاجِكْ عَنْ جَانِ سَافِرٍ عَنْ بَدْرِ ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ وَحَوَاهِ صَدْرِي (١)

(٧) في المطبوع: «خارجة عن هذا التصنيف».

فهذا الموشح ابتدئء بقفله. ومثال الأقرع:

سَظْوَةٌ الحَبِيبِ أَحَلَى من جَنِي التَّحَلِ
وعلى الكَثِيبِ أن يَخْضَع للذَّلِ
أنا في حروبِ مع الحدوقِ الشُّجَلِ
ليس لي يدانِ بأحورِ فتانِ من رأى جفونَهُ فقد أفسدتُ دِينَهُ (٧)

فهذا الموشح ابتدئء ببيته.

والأقفالُ هي أجزاءٌ مؤلفةٌ يلزمُ أن يكونَ كلُّ قفْلِ منها مُتَّفِقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعددِ أجزائها.

والأبياتُ هي أجزاءٌ مؤلفةٌ مُفْرَدَةٌ أو مُرَكَّبَةٌ، يلزمُ في كل بيت منها أن يكونَ متفقاً مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعددِ أجزائها لا في قوافيها، بل يحسن أن تكونَ قوافي كلِّ بيتٍ منها مخالفةً لقوافي البيت الآخر. والقفلُ — كما تقدم — يترددُ في الموشح ست مراتٍ في التام، وخمس مراتٍ في الأقرع.

وأقلُّ ما يتركبُ القفلُ من جزأين فصاعداً الى ثمانية أجزاء، وقد يوجدُ في التادرِ ما قفله تسعةُ أجزاءٍ وعشرة أجزاء، ولم أجِدْ للمغاربةِ منه ما أثقُ بتسببه، فلهذا لم أذكرُ مثالا منه.

والبيت لا بد أن يترددَ في التام وفي الأقرع خمس مرات. وأقلُّ ما يكونُ البيتُ ثلاثةَ أجزاءٍ. وقد يكونُ في التادرِ من جزأين، وقد يكونُ من ثلاثة أجزاءٍ ونصفٍ، وهذا لا يكونُ إلا فيما أجزاءه مركبة. وأكثرُ ما يكونُ خمسةَ أجزاءٍ.

والجزء من القفل لا يكونُ إلا مفرداً، والجزء من البيت قد يكونُ مفرداً وقد يكونُ مركباً. والمركبُ لا يتركبُ الا من فقرتين أو من ثلاث فقر، وقد يتركبُ في الأقلِّ من أربع فقر.

وسنكتبُ هاهنا مثالا لكل ما ذكرناه ليتلخص ويتشخص، وينتقل ما ندرُكُه بالقولِ سماعاً الى أن تراه بالخطِّ عياناً. فأمثلة الأقفال:

القفل المركب من جزأين :

شمس قارنت بَدْرًا رَاحَ وَنَدِيْمٌ (٣)

المركب من ثلاثة أجزاء:

حَلَّتْ يَدُ الْأَمْطَارِ أَرْزَةَ السَّوَارِ فَيَاخِذْنِي (٤)

المركب من أربعة أجزاء:

أدزلنا اكواب يُنسى بها الوجدُ واستحضر الجلّاس كما اقتضى الودُّ (٥)

المركب من خمسة أجزاء:

يا من أجودُ ويبخلُ عليّ شحّي وافتقاري
أهواكُ وعندي زيادةً منها شوقي واذكاري (٦)

المركب من ستة اجزاء:

قيتاتُ الدّقنِ أختينَ كزبي وهل يتمكّن
عزاءٌ لقلبي مت يا عزاه شَاه (٧)

المركب من سبعة أجزاء:

الموشحُ المعروف بالقرّوس، وهو موشحٌ ملحونٌ، واللحنُ لا يجوزُ استعماله
في شيءٍ من ألفاظِ الموشح، إلا في الخرجية خاصة، فلهذا لم نوردْ مثاله (٨)،

المركب من ثمانية أجزاء:

على عيونِ العينِ زهى الدارِي مَنْ شَغِفَ بِالْحُبِ
واستعذبَ العذابَ والتدحّالِيه من أسفٍ وكزبٍ (٩)

وقد يندر في بعض الموشحات الشاذة التي لا يعول عليها أن تكون
أقفاها مختلفة أعداد الاجزاء، كالموشح الذي أوله:

بأبي علقُ بالنفسِ عليق (١٠)

وهذا الموشحُ لِعُبادة، فَإِنَّ قَفْلَهُ الْأَوَّلَ جِزْءَانِ، وَبَقِيَّةَ أَقْفَالِهِ ثَلَاثَةٌ..

امثلة الأبيات

أمثلة ما أجزاءه مفردة:

ما هو منها على ثلاثة أجزاء:

أَرَى لَكَ مُهْتَدٍ أَحَاطَ بِهِ الْإِئْمَادُ فَجَرَّدَ مَا جَرَّدًا

فِيَا سَاجِرَ الْجَفْنِ

حُسَامُكَ قِطَاعَ (١١)

ما هو منها على أربعة أجزاء:

قَدْ بَاخَ دَمْعِي بِمَا أَكْتَمْتُهُ وَحَنَّ قَلْبِي لِمَنْ يَظْلِمْتُهُ

رَشَأُ تَمَرَّنَ فِي لَافْتُمُهُ كَمْ بِالْمُنَى أَبْدَأُ الشُّمَّةُ

يَفْتَرُّ عَنِ لَوْلُؤِ مَتَّسِقٍ مَنْ لِلْأَقْحَاقِ بِنَسِيهِ الْعَبْقِ (١٢)

أمثلة الأبيات التي أجزاءها مركبة:

ما تركب بيته من فقرتين وثلاثة أجزاء:

أَقِيمْ عُذْرِي فَقَدْ آتَى أَنْ أَعَكِفَ

عَلَى خَمِيرٍ يَطْوِفُ بِهَا أُوْظِفَ

كَمَا تَذَرِي هَضِيمَ الْحَشَى مُخْطَفَ

إِذَا مَا مَادَ فِي مَحْضَرَةِ الْأَبْرَادِ رَأَيْتَ الْآسَ بِأَوْرَاقِهِ قَدْ مَاسَ (١٣)

ما تركب من فقرتين وثلاثة أجزاء ونصف:

مَنْ أَوْدَعَ الْأَجْفَانَ صَوَارِمَ الْهِنْدِ

وَأَنْبَتَ الرَّيْحَانَ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ

قَضَى عَلَى الْهَيْمَانَ بِالدَّمْعِ وَالشُّهْدِ

أني وللكتمان

للهايم المُفَرَمَ بدمج تم اذ يسجَم بما يكتم من السَّر

في عاطلِ حالٍ غريِرٍ سايطِ على الدّعج (١٤)
ما تركب من فقرتين وأربعة أجزاء:

ما حوى محاسن الدهر إلا غزال

مُتَرَق الخدين من فهِرٍ عَمَّ وخال

نسبةً للنائل الفَمِرِ وللنَزَال

فأنا أهواؤه للفَخِيرِ وللجَمَال

وجهة وجه طليق للضيوف مُشْرِقٍ ويد تسطو على الأسيد فتشرق (١٥)
ما تركب من فقرتين وخمسة أجزاء:

قنيصُهُنَّ الضيفم

إلا القلوبُ الهيم

والبُغْدُ عنها ماتم

يحيا بهن المُفَرَم

ترنو الي من يسقم

هُنَّ الظباءُ الشمس

ما إن لها من كُنس

القُرْبُ منها عُرس

تلك الشفاهُ اللُغس

لها لحاظُ نُفس

بأعين الغزلان وتبتيم عن جوهري الأسماط

قضى لها الفيران أن تكتم في مُضمَرِ الأنبياط (١٦)

وقد يندر في بعض الموشحات ما يكون بينه جزأين مركبين من فقرتين،

وهو شاذ جدا وهو:

واستنشق الزهرا

مالم يكن سُكُرا

بايكر الي الخمر

فالمُفَرَمُ فني بخمر

وسامرُ الظرفِ مُساعدُ الجلانس

فقل ما أسلو عن مرشفِ الأكواس

فسقيني بنت الزاجين (١٧)

ما تركب من ثلاث فقر وثلاثة أجزاء:

مَنْ لِي بِهِ يَرْتُو بِمَقَلَّتِي سَاحِرِ إِلَى الْعَبَادِ
يَنَآيَ بِهِ الْحُسْنُ فَيَنْثَنِي نَافِرُ صَعْبَ الْقِيَادِ
وَتَارَةً يَدْنُو كَمَا أَحْتَسِي الطَائِرُ مَاءَ الثَّمَادِ
فَجِيْدُهُ أَغْيِدُ وَالخَدُّ بِالخَالِ مُنْتَمِقُ
تَكْتُمُهُ الْحُبُّبُ فَلِي إِلَى الْكَلَّةِ تَشْوُقُ (١٨)
ما تركب من أربع فقر وثلاثة أجزاء:

بِأَبِي ظَبِي جِمِي تَكْنِفُهُ أَسْدُ غَيْلِ
مَذْهَبِي رَشَفٌ لَمَّا قَهْرَقُهُ سَلْسَبِيلِ
بِسْتَبِي قَلْبِي بِمَا يَعْطِفُهُ إِذْ يَمِيلِ

ذُو اعْتِدَالٍ يُفْرَى إِلَى ذِي نَعْمَةٍ ثَابِتٍ
فِي ظِلَالٍ تَحْتَ حُلِيِّ قَطْرِ التَّدْيِ بَاثِتٍ (١٩)
(الخرجة):

والخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح. والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبيل السخف، قزمانية من قبيل اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة ولغات الدأصة، فإن كانت معربة الألفاظ، منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقوال، خرج الموشح من أن يكون موشحاً، اللهم إن كان موشح مدح وذكر المدوح في الخرجة، فإنه يحسن أن تكون الخرجة معربة كقول ابن بقي:

إِنَّمَا يَحْيِي سَلِيلُ الْكِرَامِ وَاجِدُ التَّنِيَا وَمَعْنَى الْأَنَامِ (٢٠)
وقد تكون الخرجة معربة وإن لم يكن فيها اسم المدوح، ولكن بشرط أن تكون ألفاظها غزلة جداً، هزازة سخارة خلافة، بينها وبين الصباية قرابة، وهذا معجز معون وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة،

كقول ابن بقي:

ليلٌ طويلٌ ولا معينٌ يا قلبَ بعضِ الناسِ أما تليينُ؟ (٢١)
فَمَنْ قَدَّرَ أَنْ يَقُولَ هَكَذَا فَلْيَعْرَبِ وَالْأُفْلَيْغُرْبُ .

والمشروعُ بل المفروضُ في الخرجة أن يجعلَ الخروجُ إليها وثباً
واستطراداً، وقولاً مستعاراً على بعضِ الألسنة، إما السنةُ الناطقُ أو
الصامتِ، أو على الأغراضِ المختلفةِ الأجناسِ. وأكثرُ ما تُجَعَلُ على السنةِ
الصَّبِيانَ والنسوانِ، والسكرى والسكرانِ، ولا بدُ في البيتِ الذي قبلَ
الخرجةِ من: قال أوقلتُ، أو غنى أو غنيتُ أو غنيتُ (٢٢)
فما جعلَ على لسانِ الحمامِ : قولُ عبادة:

إِنَّ الْحَمَامَ فِي أَيْكِهَاتِ تَشْدُو

قُلْ هَلْ عَلِمَ أَوْ مَلَّ عَهْدُ أَوْ كَانَ كَالْمُعْتَصِمِ وَالْمُتْعِضِ مَلِكَانَ (٢٣)
وَمَا تُجَعَلُ عَلَى لِسَانِ الْغَرَامِ قَوْلُ ابْنِ بَقِي:

أَنَا وَأَنْتَا	أَسْوَةٌ هَذَا الْهَجْرِ
وَبِالصَّبْرِ بِنْتَا	عِنْدَ انْصِدَاعِ الْفَجْرِ
وَمَذُوحِ لَنَا	غَنَى الْجَوَى فِي صَدْرِي

سَافِرُ حَبِيبِي سَحَرُوا مَا دَعْتُوا يَا وَحِشَ قَلْبِي فِي اللَّيْلِ إِذَا افْتَكْرْتُوا (٢٤)
وَمَا اسْتَعِيرَ عَلَى لِسَانِ الْهَيْجَا قَوْلُ عَبَادَةَ:

فَالْهَيْجَا تُغْنِي وَالسَيْفُ قَدْ ظَرِبَ
مَا أَمْلَحَ الْعَسَاكِرَ وَتَرْتِيبَ الصَّفْرَفِ وَالْأَبْطَالَ تَصِيحُ الْوَائِقِ يَا مَلِيحُ (٢٥)

ولو ذكرنا مثلاً لكلِّ لسانِ استعاره القومُ لطالبتِ الألسنة، وحصلَ
الملاكُ والكَلالُ، وقد ذكرنا منها ما يُجزى ويكفي من المِثَالِ.

وقد تكونُ الخرجةُ عجميةً اللفظ، بشرط أن يكونَ لفظها أيضاً في العَجَبِيّ سَفْسَافاً نَفْطِيّاً، ورَمَادِيّاً زُطِّيّاً.

والخرجةُ هي أبنارُ الموشح، وملحُه وسُكْرُه، ومسكُه وعنبرُه، وهي العاقبةُ وينبغي أن تكون حميدةً، والخاتمةُ بل السابقةُ وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقةُ لأنها التي ينبغي أن يسبقَ الخاطرُ إليها، ويعملها مَنْ ينظم الموشح في الأول، وقبلَ أن يتقيدَ بوزنٍ أو قافية، وحين يكون مسيِّباً مسرَّحاً، ومتبَّحِباً منفسِّحاً، فكيفما جاءه اللفظُ والوزنُ خفيفاً على القلب، انيقاً عند السمع، مطبوعاً عند النفس، حلواً عند الذوق، تناوله وتنوله، وعامله وعميله، وبني عليه الموشح، لأنه قد وجدَ الأساسَ، وأمسك الذنبَ ونصبَ عليه الرأسَ.

وفي المتأخرينَ مَنْ يعجزُ عن الخرجة، فيستعيرُ خرجةً غيره، وهو أصوبُ رأياً ممن لا يوفقُ في خرجته بأن يُعْرِبَهَا ويتعاقل ولا يلحنُ، فيتخافتُ بل يتثاقلُ.

(الأوزان) :

والموشحاتُ تنقسم قسمين: الأولُ ما جاء على أوزانِ أشعارِ العرب، والثاني مالا وزن له فيها ولا إمام له بها.

والذي على أوزانِ الأشعارِ ينقسم قسمين: أحدهما مالا يتخللُ أفعاله وأبياته كلمةً تخرجُ به تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك الكلمة عن الوزنِ الشعري، وما كان من الموشحاتِ على هذا النسج فهو المرذوُّ المخذوُّ، وهو بالمخمساتِ أشبهُ منه بالموشحاتِ، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء، ومَنْ أراد أن يتشبهَ بما لا يعرف، ويتشيعَ بما لا يملك، اللهم إلا إن كانت قوافي قُفليةً مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأفعالِ عن المخمساتِ، كقول بعضهم:

ياشقيق الروح من جسدي أهوى بي منك أم لَمَّمُ (٢٦)
فهذا من المديد، وكقول الآخر:

أيها الشاكي اليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع (٢٧)

فهذا من الرمل .

وفي شجعمان الوشاحين والطقانين في صدور الأوزان مَنْ يأخذُ بيتَ
شعر مشهوراً فيجعله خرجةً ، ويبنى عليه موشحةً ، كما فعل ابنُ بقي في
بيت ابن المعتز وهو :

عَلَّمُونِي كَيْفَ أَسْأَلُو وَالْأَيَّ فَأَحْجَبُوا عَنِ مَقَلَّتِي الْمِلَاحَا (٢٨)
فإنَّ ابن بقي جعله خرجةً لموشحه ، وسيأتي ذكره .
وفي الوشاحين من أهل الشُّطارة والدَّعارة مَنْ يأخذُ بيتاً من أبيات
المحدثين فيجعله بألفاظه في بيت من أبيات موشحه ، كما فعل ابنُ بقي في
بيتي كشاجم ، فإنَّ كشاجم قال :

يقولون تُبِّ والكأسُ في كَفِّ أُعِيد

وصوتُ المثاني والمثالثِ عالٍ

فقلتُ لهم لو كنتُ أضمرتُ توبة

وأبصرتُ هذا كله لبدا لي

فقال ابنُ بقي :

قَالُوا وَلَمْ يَقُولُوا صَوَاباً
أَفْنَيْتَ فِي الْمَجُونِ الشُّبَابَا
فَقُلْتَ لَو نَوَيْتُ مَتَابَا

والكأسُ في يمين غزالي والنصوتُ في المثالثِ عالٍ لبدا لي (٢٩)

والقسم الآخر ما تخللت أفعاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة
كانت أو ضمةً أو فتحةً ، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً ، وقريضاً
مخضاً ، فثالث الكلمة قولُ ابن بقي :

صبرتُ والصَّبْرُ شِيمَةُ العَاقِلِ

ولم أقل للمطيل هجراني مُعَذِّبِي كَفَّانِي (٣٠)

فهذا من المنسرح، وأخرجه منه قوله: «مُعَذِّبِي كَفَّانِي»
ومثالُ الحركة هو أن تُجَعَلَ عليه قافيةٌ في وزن، ويتكلف شاعرها أن
يعيد تلك الحركة بعينها وبقافيتها، كقوله:

ياوَيْحَ صَبِّ الِى البرقِ له نَظْرٌ
وفي البكاءِ مع الوُزْقِ له وَظَرٌ (٣١)

فهذا من البسيط، والتزام إعادة القافية في وسط الوزن على الحركة
المخفوضة هو الذي أشرنا إليه.

والقسم الثاني من الموشحات هو مالا مدخل لشيء منه في شيء من
أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير، الجُمُ الغفير، والعدد الذي لا
ينحصر والشارد الذي لا ينضب. وكنت أردت أن أقيم لها عروضاً يكون
دفتراً لحسابها، وميزاناً لأوتادها وأسبابها، فعز ذلك وأعوز، لخروجها عن
الحصر، وانفلاتها من الكف، وما لها عروضٌ إلا التلحين، ولا ضرب لها إلا
الضرب، ولا أوتاد إلا الملاوي ولا أسباب إلا الأوتار، فبهذا العروض
يعرف الموزون من المكسور، والسلام من المرحوف. وأكثرها مبني على
تأليف الأرعن (٣٢)، والغناء بها على غير الأرعن مستعارٌ وعلى سواه
مجاز.

والموشحات تنقسم من جهة أخرى الى قسمين: قسم أقاله وزن
أبياته، حتى كأن أجزاء الأبيات من أجزاء الأقال، كقول الأعمى:

احلى من الأمن يرتاغ من قُرْبِي وَيَفْرَقُ
فى وجهه سنّة يشجى بها العذلُ وَيَشْرَقُ

وَأَبْسَمَدَا	عَلَى مَحَبَّتِيهِ	لِلَّهِ مَا أَقْرَبُ
وَأَسَمَدَا	أَسَى الضَّنْيِ فِيهِ	حَلُو اللَّيْمِ أَشْنَبُ
طَالَ الْمَمْدَى	وَيَاتَجَنُّبِيهِ	أَحْيَبُ بِهِ أَحْيَبُ
تَحْرِقُ	نَاراً عَلَى قَلْبِي	أَمَا تَرَى حُزْنِي
يَارُونَقُ (٣٣)	بِأَمَاءِ يَاطِلُّ	حَسْبِي بِهَا جَنَّةُ

وقسمُ أفعالُه مخالفةٌ لأوزان أبياته مخالفةً تَبَيَّنَ لكلِّ سامعٍ، ويظهر طعمها لك ذائق، كقول بعضهم :

واللومُ فيه أحلى من القُبَلِ	الحُبُّ يَجْنِيكَ لَذَّةَ الْعَدَلِ
جَدَّ الهوى بي وأصله اللَّعِبُ	لكلِّ شَيْءٍ فِي الهوى سَبَبُ
كان الإحسانُ من الحُسْنِ (٣٤)	وَأَنْ لَوْ كَانَ جَدُّ يَعْنِي

فها أنت ترى مباينة الأفعالِ للأوزانِ مباينةً ظاهرةً، ومخالفةً بعضها لبعضٍ مخالفةً واضحةً، وهذا القسمُ لا يجسرُ على عمله إلاَّ الرَّاسخون في العلم من أهل هذه الصناعة، ومن استحقَّ منهم على أهل عصره الإمامة . فأما مَنْ كان طفيلياً على هذه المائدة، فإنه إذا سمِعَ هذا الموشح، ورأى مباينةَ أوزانِ أفعالِه لأوزانِ أبياته ظنَّ أنَّ هذا جائزٌ في كل موشحٍ فعلم مالا يجوزُ عمله، وما لا يمشيه التلحينُ له، وتظهرُ فصيحتُه فيه وقت غنائه، فإن المغني ببعض الآلات يحتاجُ إلى أن يغيِّرَ شدَّةَ الأوتارِ عند خروجه من القفل إلى البيت، وعند خروجه من البيت إلى القفل، وهذا مكان ينبغي أن يلحظ ويحفظ .

والموشحاتُ تنقسمُ من جهةٍ أخرى إلى قسمين، قسم لأبياته وزن يدرکه السمعُ، ويعرفه الذوقُ كما تُعرَفُ أوزان الأشعار، ولا يحتاج فيها إلى وزنها بميزان العروض، وهو أكثرها، وقسمٌ مضطربُ الوزن، مُهلَهْلُه النَّسج، مفكك النَّظْم لا يجسُّ الذوقُ صِحَّتَه من سقمه، ولا دخوله من

خروجه ، كالموشح الذي أوله :

انبت اقتراجي لاقرب الله اللواحي

مَنْ شَاءَ أَنْ يَقُولَ فَإِنِّي لَسْتُ أَسْمَعُ
خَضَعْتُ فِي هَوَاكَ وَمَا كُنْتُ لِأَخْضِعَ
حَسْبِي عَلَى رِضَاكَ شَفِيعٌ لِي مَشْفَعُ

نشوان صاجي بين ارتباع وارتباج (٣٥)

فها أنت ترى نُبُوَ الذوق عن وزن هذا الكلام ، وماله عند الطبع الضعيفِ نظامٌ ، ولا يعقله إلا العالمون من أهل هذا الفن ، والملائكة المقربون من أهل هذه الصناعة ، ومثلُ هذا لا يُقدِّمُ عليه إلا مثل الأعمى ، وإلا فالبصيرُ يحذره ولا ينظره ، وما كان من أهل هذا النمط فما يُعلم صالحه من فاسيده ، وسالمه من مكسوره إلا بميزان التلحين ، فإن منه ما يشهد الذوقُ بزحافه بل بكسره ، فيجبر التلحينُ كسره ، ويشفى سُقمه ، ويرده صحيحاً ما به قلية ، وساكناً لا تضطربُ فيه كلمة .

(نقطة تتعلق بالتلحين):

والموشحات تنقسم من جهةٍ أخرى إلى قسمين: قسمٌ يستقل التلحينُ به ، ولا يفتقرُ إلى ما يعينه عليه ، وهو أكثرها ، وقسمٌ لا يحتمله التلحينُ ، ولا يمشی به إلا بأن يتوكأ على لفظه لا معنى لها تكون دعامة التلحين وعكازاً للمغني ، كقول ابن بقي:

مَنْ طالِبُ ثَارَ قَلْبِي ظَبِيَاتِ الحُدُوجِ فَتَانَاتِ الحَجِيجِ (٣٦)

فإن التلحين لا يستقيم الا بأن يقول «لا لا» بين الجزأين الجيمين من هذا القفل .

(أغراض الموشحات):

ومن سنة القوم في أكثر موشحات المدح أن يَخْتَمَ الموشحُ بالغزل، ويخْرَجُ من المدح اليه كما يخرج اليه منه، وما هو الأكثرُ من عملهم، والأظهرُ من مذهبهم، ومنه قولُ الأعمى:

حليؤُ المجهاني ما ضره لوأجاني كما عناني شغلي به وعثاني (٣٧)
فانه ابتداءً بالغزل، ثم خرج الى المدح، ثم ختم بالغزل.
والموشحاتُ يعمل فيها ما يُعْمَلُ في أنواع الشعر من الغزل والمدح والثناء والهجو والمجون والزهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفر، والرسم في المكفر خاصةً أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف، وقوافي أقاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليُدلَّ على أنه مكفره (٣٨) ومستقيلُ ربِّه عن شاعره، ومستغفره..»

• النص «دار الطراز في عمل الموشحات» تحقيق د. جودت الركابي، ص ٢٥-٣٩ ولم تختصر منه الا ما كان خارجا عن نظرية الموشح، مثل الصفحات الاخيرة، اذ انها مما يتصل بموشحات ابن سناء الملك نفسه، وقد حقق الكتاب استنادا الى مخطوطتين في كل من دار الكتب بالقاهرة وليدن، وطبع في فترة لم تكن قد نشرت فيها اعمال هامة في مضمار الموشحات، وقد كان ظهور «دار الطراز» سنة ١٩٤٩ عاملا من العوامل التي ساعدت على تقدم الدراسات المعنية بفن التوشيح. وهناك مخطوطات اخرى من «دار الطراز» سنتحدث عنها في غير هذا المجال.

(١) لعل هذه الموشحة أشهر ما خلف التطيلي، وترد في العديد من المصادر مثل «دار الطراز» و«جيش التوشيح والمغرب» وعارض هذه الموشحة عدد كبير من شاحي المغرب والمشرق.

(٢) أول موشحة للأعمى التطيلي، وترد بتمامها في «دار الطراز» و«جيش التوشيح»

(٣) في «دار الطراز» و«الوافي بالوفيات» ٤/١ و«عيون الانباء» ص ٢٦٥

(٤) يرد بتمامه في «الدار»

- (٥) يرد بتمامه في «الدار وفي جيش التوشيح» منسوباً للأعمى التطيلي.
- (٦) يرد بتمامه في «الدار» وينسب أحياناً لابن زهر.
- (٧) يرد بتمامه في «الدار»، ولا نعرف لمن هو.
- (٨) اثارت هذه الجملة طائفة من المناقشات، على النحو الذي سبق أن سقناه عند الحديث عن التزئيم وعن ابن غرلة.
- والمعجب ان ابن سناء الملك لا يذكر مثلاً على هذا النوع لان موشحة «العروس» جاءت مزغمة، وكان يستطيع ان يمثل به بغيرها، كما فعل الصفدي في «توشيح التوشيح»
- (٩) مطلع موشحة لابن اللبانه، ترد في «دار الطراز» وفي «جيش التوشيح»
- (١٠) ترد هذه الموشحة في «دار الطراز» والاشارة في المقدمة لـ «عبادة» تجعل النص ينسب تارة لعبادة بن ماء ساء، وتارة اخرى لابن عبادة القزاز.
- (١١) مطلع الموشحة رقم ١٠ في «دار الطراز» (أفردت بالحسن) ويرد في مجموعة ابن بشرى بدون ذكر اسم المؤلف. وينسب في بعض الاحايين لابن بقی
- (١٢) مطلع الموشحة رقم ١١ في «دار الطراز» اوله «كم ذا يؤرقني ذو حدق» وهي - كما ذكر ابن سعيد في «المغرب» ٤١٤/٢ - لابن اللبانه
- (١٣) مطلع الموشحة رقم ١٢ في «دار الطراز» وأولها «كذا يقتاد» ويرد منها قسم في «المغرب» ٤١٥/٢، وهي في «جيش التوشيح»: كذا يعتاد
- (١٤) يرد بتمامه في «دار الطراز»، ولا نعرف لمن هو.
- (١٥) أول الموشحة «بأبي أحوي رشيق» وهو الموشح الرابع عشر في «دار الطراز»
- (١٦) أول الموشحة «كم في قدود البان»، ويرد بتمامه في «دار الطراز» ونسبه المقري في «النفح» و«ازهار» لابن عبادة، ونسبه ابن بشرى في «عدة المجلس» لعبادة المري.
- (١٧) ترد كاملة في «دار الطراز»، ولا نعرف لمن هي.
- (١٨) من موشحة مطلعها «أعيا على العود» وتختلف المصادر في نسبتها. وهي تجسء في «جيش التوشيح» على أنها للأعمى التطيلي، وجاءت خرجة الموشحة

.....
في «المقتطف» منسوبة لابي بقی. (١٩) وردت هذه الموشحة بتمامها في «دار الطراز» وجعلها لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشیح» من موشحات ابن بقی، وجعلها ابن بشرى في «عدة الجلیس» لعبادة الملقى.

(٢٠) أول الموشحة: أعجب الاشیا رعى الامام.
وترد في «دار الطراز» على أنها لابن بقی استنادا لهذه الاشارة في المقدمة.
(٢١) أول الموشحة: «مالي شمول الا شجون»
وهي في «دار الطراز» و«عدة الجلیس» منسوبة لابن بقی.
(٢٢) هذه هي القاعدة العامة، وشذت قلة قليلة فيما يتصل بهذا الشرط، أما متأخرو الموشحين فقلما اهتموا بذلك (انظر، على سبيل المثال، موشحات ابن زمرك).

(٢٣) انظر ما ذكرناه عن ابن عبادة القزاز.
(٢٤) ترد الموشحة في «دار الطراز»، وأولها: «بطنى وجيبي».
(٢٥) أول الموشحة في «دار الطراز»: «رح للراح وبأكر».
(٢٦) الموشحة في «دار الطراز» وفي مجموعة ابن بشرى بدون ذكر مؤلفها.
(٢٧) تحدثنا من قبل عن هذه الموشحة، وأمر نسبتها لابن المعتز. وانظر ما ذكرناه عن ابن زهر.

(٢٨) أول قصيدة ابن المعتز:
عرف الدار فحيها وناحا بعد ما كان صحا واستراحا
(٢٩) أول الموشحة: «أتشكو وأنت تعلم حالي»
وترد بكاملها في «دار الطراز».

(٣٠) في المرجع نفسه، ص ٧٧، وفي «جيش التوشیح».
(٣١) الموشحة لابن بقی، وترد في «دار الطراز».
(٣٢) علق د. احسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج ٢ ص ٢٢٥ على استعمال الأرخن في تلحين الموشحات بقوله: «وأنا أرى أن ابن سناء الملك قد يكون واهما أو مغاليا، لأن الأرخن ليس بالآلة السهلة التي يمكن اقتناؤها، اذا تصورنا مدى شيوع الموشح في أوساط مختلفة مع الزمن، واما أن يكون

تنظيمها على الأرغن هو أوفق ضروب التلحين لها وهذا يمثل دورا تاليا لدور نشأتها اكتشف من بعد».

ونحن مع وجهة النظر هذه لان ابن سناء الملك سيتحدث بعد قليل عن غناء الموشحة ذاكرة ان «المغني ببعض الآلات يحتاج الى أن يغير شد الأوتار عند خروجه من القفل الى البيت، وعند خروجه من البيت الى الأقفال»، وهذا التغيير ميسور بالنسبة لآلة مثل العود ولكنه عسير بالنسبة لآلة أكثر تعقيدا كالأرغن.

(٣٣) يرد النص بتمامه في «دار الطراز» وفي «جيش التوشيح» منسوبة للأعمى التطيلي، ويجيء كذلك في مجموعة ابن بشرى.
(٣٤) يجيء النص بتمامه في «دار الطراز» ويستدل من المقدمة أنه من موشحات الأعمى التطيلي.

(٣٥) النص لابن بقی بحسب ما جاء عند ابن بشرى.
(٣٦) انظر دار الطراز ص ٨٣.

(٣٧) في «دار الطراز» ص ٨٣، وهو آخر النصوص الأندلسية الواردة فيه.
(٣٨) انظر ما سقناه عن الموشحات الدينية والصوفية. وابن سناء الملك اكتفى بأن قدم في «دار الطراز» موشحة له من هذا النوع «المكفر» انظر ص ١٣١.



من «المقتطف من ازاهر الطرف»

لابن سعيد المغربي

هذان طرازان كان الابتداءُ بعمليهما مِنَ المغربِ، ثم ولعَ بهما أهلُ المشرقِ. وسيُذكرُ ما يوسعُ المكانُ من ذلك.

فأما الموشحات فقد ذكر الحجارى في كتاب المسهب في غرائب المغرب (١) أنَّ المخترعَ لها بجزيرة الأندلس مُقدِّمُ بن معافى القبرى، من شعراء الأُمير عبد الله بن الروانى، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب كتاب العقد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكرٌ، وكسدت موشحاتهما، وكان أولُ من برع في هذا الشأنَ بعدهما (ابن) عبادة القزاز شاعرُ المعتصم بن صمادح، صاحب المرية.

وقد ذكر الأعلَمُ البطليوسى (٢) أنه سمع أبا بكر بن زُهر (٣) يقول:
كلُّ الوشاحين عياك على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله:

بدرُ تَمُّ	شمسُ نُحى	غصنُ نقا	مسكُ شَمِّ
ما أتمِّ	ما أوضحا	ما أورقا	ما أنمِّ
لا جَرَمِ	مَنْ لَمَحَا	قد عثقا	قد حُرِّمِ

وزعموا أنه لم يشق غباره وشاخ من معاصريه، الذين كانوا في زمن الطوائف، وجاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون، صاحب طليطلة. قالوا: وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول:

العمودُ قد قرَّتم بأبدع تلحين
وشفت المذائب رياض البساتين

وفي انتهائه حيث يقول :

تخطر ولش (٤) تسلّم عساك المأمون
مرور الكتائب يحيى بن ذي الثون

ثم جاءت الحلبنة التي كانت في مدة المثلثين، فظهرت لهم البدائع،
وفرسا رهان حلبتهم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقي -
(وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله :

كيف السبيلُ إلى صبري وفي المعالم أشجانُ
والركبُ وسطَ الفلا بالخردِ النواعم قد بانوا (٥)

سمعتُ غير واحدٍ من أشياخ هذا الشأنِ بالأندلس (٦) يذكرون أن
جماعةً من الوشاحين اجتمعوا في مجلسٍ باشبيلية، فكان كل واحد منهم قد
صنع موشحةً، وتأنق فيها، فقدموه للانشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة
بقوله :

ضاحكٌ عن جُمانٍ سافرٌ عن بدرٍ
ضاقَ عنه الزمانُ وحواه صدري

خرق ابنُ بقي موشحتهُ، وتبعه الباقون .
وسمعتُ الأعلَمَ البطليوسي يقول أنه سمع ابنَ زهر يقول : ما حسدتُ
وشاحاً على قول إلا ابنِ بقي حين وقع له :

أما ترى أحمدُ في مجده العالی لا يُنحَقُ
أطلعه الغربُ (٧) فأرنا مثله يا مشرقُ

وكان في عصره من الوشاحين المطبوعين الأبيض . وكان في عصرهم أبو بكر ابنُ باجة ، صاحبُ التلاحين المشهورة . ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحةً فيها :

جَرِّرِ الذَّيْلَ أَيَّاماً جَرًّا وصل السكر منك (٨) بالسكر

طرب المدوح ، ولما ختمها بقوله ، وطرق سمعه في التلحين (٩) :

عقد اللؤلؤ راية النصر لأمير (١٠) الغلا أبي بكر

صاح : واطرباه وشق ثيابه (١١) . وقال : ما أحسن ما بدأت به وما ختمت . وحلّف بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه .

وأخبرني أبو الخصيب (١٢) بن زهر أنه لما جرى في مجلس أبي بكر بن زهر ذكر لأبي بكر (١٣) الأبيض الوشاح المتقدم الذكر غص (١٤) منه أحد الحاضرين فقال : كيف تغص من يقول (١٥) :

على رياض الأفاح	مالد لي شرب راخ
إذ انثنى في الصباح	لولا هضم الوشاح
أضحى بسقون	أو في الأصيل
لظمت خدي	ما للشّمون
هبت فان	وللشّمان
ضمته بزدى	غصن اغتدال
يمشي لنا مشربا	ما أباد القلوبا

ويا لمناه الشنيبا	يا لحظه زل ذنوبا
صبّ عليل	بَرْدُ غَلِيلٍ
فيه عن عهدي	لا يستحيل
في كلّ حال	ولا يزال
وهو في الصّدّ (١٦)	يرجو الوصال

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين - أعزهم الله - محمد بن أبي الفضل بن شرف. قال الميّن بن دوريته (١٧) رأيت حاتم بن سعيد يقبل رأسه على هذه البداية :

شمس قارنت بدرأ	كاش ونديم (١٨)
----------------	----------------

وابن هردوس الذي له :

يا ليلة الوصل والسعود	بالله عودي
-----------------------	------------

وابن مؤهل الذي له :

ما العيد في حلة وطاق	وشمّ طيب
وانما العيد في التلاقي	مع الحبيب

وأبو اسحاق الزويلي (١٩). سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه دخل على ابن زهر وقد أسرّ، وعليه زيّ البادية، إذ كان يسكن بحصن استبه، فلم يعرفه، فجلس حيث وجد، وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع له فيها :

كحلّ الدجى يجري	في مقلة الفجر	على الصباح
ومغصمّ النهار	في حلال خضر	من البطاخ

فتحرك ابنُ زُهرٍ، وقال: أنت تقولُ هذا؟ قال: اختبر، قال: ومن تكون؟ فعرّفه، فقال ارتفع، فوالله ما عرفْتُكَ.

وسابق الحليّة التي أدركت هؤلاء (٢٠) أبو بكر بن زُهرٍ، وقد شرقت موشحاته وغرّبت. وسمعت أبا الحسن المذكور يقول لابن زُهر: لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ما كنت تقولُ؟ قال: كنت أقول بما استحسنته من قولي، وأرتضيه من نظمي:

ما للمولّة	من سُكرِه لا يفيقُ	ياله سُكرانُ (٢١)
من غير خمرٍ	ماللكئيب المشوقُ	يكذبُ الأوطانُ (٢٢)
هل تستعاد	أيامنا بالخليج	وليبالينا
إذ يستفاد	من النسيم الأريج	مسكُ دارينا
وإذ يكاد	مُحسِنُ المكانِ البهيج	أن يحيينا
نهرٌ أظلمه	دوخٌ عليه أنيقُ	مورق (٢٣) فينانُ
والماء يجري	وعائمٌ وغريقُ	من جنس الرّيحان

واشتهر معه ابن حنون (٢٤) الذي له:

يُفَوِّقُ سَهْمَ (٢٥) كُلِّ حِينِ
بِمَا شِئْتُ مِنْ يَدِ وَعَيْنِ
وَيَنْشِدُ فِي الْقَضِيَّتَيْنِ (٢٦)

خلقتُ مليح علمت رامى
ونعمل بذى العينين متاع
فلسن نخل ساع من قتال
ما تعمل ادى (٢٧) بالتبان

واشتهر معها في العصر (٢٨) بغرناطة المهر بن الفرس. ومن المشهور أن

ابن زهرٍ لما سمع قوله :

لله ما كان من يوم بهيج
بنهرٍ حصي على تلك المروج
ثم انعطفنا على فم الخليج

نفض مسك الختام عين عسجدى المُدام
ورداءُ الأصيل تطويه كف الظلام

قال : أين كتنا نحن عن هذا الرداء !

وكان معه في بلده مطرفٌ . أخبرني والدي (٢٩) أنه دخل على ابن
الفرس المذكور، فقام له وأكرمه ، فأشار عليه بالألا يفعل ، فقال (٣٠)
كيف لا أقوم لمن يقول :

قلوبٌ تصابت (٣١) بالأحاظ تصيبُ
فقل كيف تبقى بلا وخبٍ قلوب (٣٢)

واشتهر بعد هؤلاء (٣٣) ابن حزمون بمرسية أخبرني ابن الدارس أن
يحيى الخنزرج (٣٤) دخل عليه في مجلس فأنشده موشحةً لنفسه ، فقال له
ابن حزمون : ما الموشحُ بموشحٍ حتى يكون عارياً عن التكلف . قال : على
مثالٍ ماذا ؟ قال : على مثال قولي :

يا هاجري هل إلى الوصال منك سبيل ؟
أو هل يرى عن هواك سالي قلبي العليل ؟ (٣٥)

(وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة . كان والدي (٣٦) يعجب

بقوله :

إِنَّ سَيْلَ الصَّبَاحِ فِي الشَّرْقِ
عَادَ بَحْرًا فِي أَجْمَعِ الأفقِ
فَتَدَاعَتْ نَوَادِبُ السُّورِ
أَتْرَاهَا خَافَتْ مِنَ الفَرْقِ
فَبَكَتْ سَحْرَةَ عَلَى الوَرْقِ (٣٧)

واشتهر في اشبيلية أبو الحسن بن الفضل . قال والدي (٣٨) : سمعت
أبا الحسن بن مالك يقول : يا ابن الفضل لك على الوشاحين بقولك
الفضل :

واحسرتنا لزمان مضى
عشية بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لا بالرضا
وبك على جرات الفضا

أعانيقُ بالوهم تلك الطلول وألم بالفكر تلك الرسوم (٣٩)

وسمعت أبا بكر الصابوني ينشد للأستاذ أبي الحسن الدباج موشحات
له غير ما مرة ، فما سمعته قال : لله درك ، إلا في قوله :

قسماً بالهوى لذي حجير مالميل المشوق من فحجر

جد الصبح ليس يطرد
ما لليلي فيما أظن غد
صح باليل أنك الأبد

أوفقت قوادم النسر أم نجوم السماء لا تسرى (٤٠)

ومن محاسن موشحات ابن الصابوني قوله :

ما حالُ صبِّ ذي ضنا واكتاب
عامله محبوبه باجتنا ب
جفا جفوني النوم لكنني
وذا الوصال اليوم غرتي
فلست باللائم من صدني
أمرضه - يا ويلتاه - الطيب
ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
لم أبكه إلا لفقد الخيان
منه كما شاء وشاء الوصال
بصورة الحق ولا بالخال (٤١)

واشتهر ببر العُدوة ابنُ خلف الجزائري ، صاحب الموشحة المشهورة التي
أولها :

يدُ الاصبح قدحت زناد (٤٢) الأنوار في مجامر الزهر

واشتهر ابن خزر البجائي (٤٣) ، صاحب الموشحة المشهورة :

ثغرُ الزمان الموافق حياك منه بابتسام (٤٤)

وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ، وأحسنُ
ما وقع لهم من ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري التي أولها :

حبيبي ارفع حجابَ النور عن الـمـنـار
يقطر بمسكٍ على كافور في جُلنار (٤٥)

• نشر هذا النص د. عبد الميزان الأهواني ضمن بحث بعنوان « ابن خلدون
وتاريخ فني التوشيح والزجل » طبع في « أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في
القاهرة سنة ١٩٦٢ ص ٤٧٣-٤٨٧ ، أثبت فيه أن ماني « المقدمة » من حديث عن
الموشحات والأزجال نقله ابن خلدون « كله نقلاً حرفياً ، وأودعه في مقدمته دون

تصرف او تغيير» ويضيف :

«حَقاً إن في نص ابن خلدون بعض سطور تزيد على ما بين أيدينا من نسخة المقتطف، ولكن مراجعة هذه الزيادات اليسيرة يقطع بأن بعضها كان في أصل المقتطف، أما البعض الآخر من هذه الزيادات فنرجح أنه أيضاً كان في الكتاب ثم سقط في نسختنا، لأنه يتفق مع سياق نص ابن سعيد» .

هذا ما يقرره د. الأهواي، وإذن فليس لابن خلدون في نهاية المطاف إلا التمهيد والتذييل على ما جاء في «المقتطف» ونحن لا نستبعد — مع ذلك — أن تكون بعض الزيادات من وضع ابن خلدون، مثل الفقرة التي جاءت من شعر التطيلي «كيف السبيل» وقطعة ابن الصابوني التي أولها «ما حال صب» وهذه الزيادات لا تمثل في حقيقتها شيئاً ذا بال، والنص الذي في «المقدمة» عن الموشحات إنما هو نقل عن ابن سعيد.

أما المقرري فإنه يسوق في كتابه — نفع الطيب (ج ٩ ص ٢٢٠ من ط — محيي الدين، ج ٧ ص ٥ عن ط. احسان عباس) و«أزهار الرياض» (ج ٢ ص ٢٠٨) مختصراً لما جاء في مقلمة ابن خلدون، ولا يزيد عليه إلا زيادة لا يعتد بها، تتمثل في ذكر تنمة موشحة لسان الدين بن الخطيب «جادك الغيث» وكان ابن خلدون قد أورد معظمها، ولكن أهمل جانباً منها.

ونقابل هنا بين القطعة الخاصة بالتوشيح في «المقتطف» وفقاً للنص الذي نشره د. الأهواي — وبين مقلمة ابن خلدون (ط. كاترمير) ج ٣ ص ٣٩٠ وما بعدها، ونشير كذلك للنص حسب ما أورده المقرري.

(١) أبو عبدالله محمد بن ابراهيم الحنجاري (المتوفي سنة ٥٦٢هـ)، صنف كتابه المسهب في سنة ٥٣٠هـ لعبدالله بن سعيد، صاحب قلعة بني سعيد من أعمال غرناطة، وأعجب هذا بالكتاب أيما أعجاب، وعكف على تنقيحه، وكان أن تتابعت على الكتاب بعد ذلك جهود أربعة آخرين من أسرة ابن سعيد، آخرهم علي بن سعيد المغربي المتوفي سنة ٦٨٥هـ، وهو الذي ضم جهود من سبقه ونسقها وأخرجها للناس تحت عنوان «المغرب في حلى المغرب». راجع مقدمة «المغرب» للدكتور شوقي ضيف ص ١-٩ .

وكتاب «المغرب» لم يصل إلينا كاملاً، ولا تتضمن النسخة المطبوعة شيئاً من حديث الحنجاري هذا عن الموشحات.

(٢) ابراهيم بن محمد بن ابراهيم، (المتوفي سنة ٦٣٧هـ)، له شروح على كثير من أمهات الكتب مثل «الكامل» للمبرد و«الأمالى» للقالبي، وله كتاب

في «آداب أهل بطليوس» انظر عنه «المغرب» ٣٦٩/١، وراجع «الأعلام» ٦٠/١.

(٣) قدمنا نبذة عن ابن زهر، وعن غيره من الوشاحين المذكورين في النص، ولم نجد ضرورة لتكرير ماسقناه عنهم.

وقد قدم ابن خلدون للنص الذي نقله بالآتي:
«وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهدت مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية استحذت المتأخرون منهم فتأسموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً، وأغصاناً أغصاناً يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة: فيسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينهى عندهم إلى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، وينسبون فيها ويمدحون، كما يفعل في القصائد. وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية، واستظرفه الناس، وحمله الخاصة والكافة، لسهولة تناوله، وقرب طريقته.

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريري، (وهذه—ولا شك قراءة غير دقيقة للنص، وجاءت مثل هذه الأخطاء في كثير من طبعات المقدمة، والاسم في «النفح» جاء على وجه الصحيح: مقدم بن معافى القبري) من شعراء الأمير عبدالله بن محمد الرواني، وأخذ عنه ذلك عبدالله بن عبد ربه (في النفح: وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه) صاحب كتاب المعقد، ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتها فكان أول من برع في هذا الشأن بعدها عبادة القزاز...».

(٤) في المطبوع من المقتطف، وفي «النفح»: ولم تسلم. وفي «المقدمة» ولش تسلم.

(٥) زيادة من «المقدمة» وترد في «النفح».

(٦) في المقدمة والنفح: وذكر غير واحد من المشائخ أن أهل هذا الزمان بالأندلس.

(٧) النفح: المغرب.

(٨) المقدمة: منا. وأسقط المقرئ فقرة «وصل السكر منك بالسكر».

(٩) جملة: «ولما ختمها...» ساقطة من المقدمة والنفح.

(١٠) في «المقتطف»: الأمير العلي (ولعلها غلطة مطبعية).

(١١) غير ابن خلدون من ترتيب العبارات بما لا يدل المعنى.

(١٢) في المقدمة: أبو الخطاب.

-
-
- (٤٠) في المقدمة والنفخ : فتجوم .
 (٤١) في النفخ : ولا بالمثال .
 (٤٢) في النفخ : قد قدحت .
 (٤٣) في المقدمة : ابن خرز البجاوي وله من موشحة .
 (٤٤) في المقدمة : « موافق ... حباك منه » . وبعدها :
 ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبته
 (في الأصل : تسبة) من بعدها وهي قوله :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صبحه عن مكنس
 فهو في نار وخفق مثلاً لعبت ربح الصبا بالقبس
 وقد نسج على متواله فيه صاحبنا الوزير أبو عبدالله بن الخطيب شاعر الأندلس
 والمغرب لعصره ، وقد مر ذكره ، فقال :

جادك الغيث إذا الغيث همى بازمان الوصل بالأندلس
 وذكر ابن خلدون معظم الموشحة ولكنه أسقط المدحي منها ، ونقل المقرئ السطور
 السابقة وأضاف في نهايتها : « إلى هنا انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين ، ولا
 أدري لم لم يكملها ، وتمامها قوله :

الغنى بالله عن كل أحد وإذا ما فتح الخطب عقد» الخ .
 (٤٥) علق الدكتور الأهواني على هذه الفقرة قائلاً : في « المقدمة » زيادة
 أربع فقرات من هذا الموشح هذه الفقرات هي :

كللي ياسحب نيجان الربى بالحلي
 واجملي سوارها منمطف الجدول
 لكن المؤكد أن الفقرات الأخيرة ليست من موشحة « حبيبي ارفع حجاب
 النور» وقد ناقشنا ذلك تفصيلاً في بحث بعنوان « مظفر العيلاني وموشحة كللي
 ياسحب » .

« الندوة » ، ١٤ محرم ١٣٩٨ هـ وفي « نشأة فن التوشيح بالشرق » ص ٣٣٠
 و ص ٣٤٦ . ونص موشحة « حبيبي ارفع حجاب النور » (ولم يسبق نشره) سنقدمه
 للقارئ في كتابنا عن « الموشحات الشرقية » .

توشيح التوشيح لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)

فصل لا بأس بإيراده:

الموشح فن تفرد به أهل المغرب، وامتازوا به على أهل المشرق، وتوسعوا في فنونه، وأكثروا من أنواعه وضروبه. وقيل إن أول من نظم الموشحات بالمغرب الامام أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد. وقال ابن بسام: أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا، واخترع طريقها — فيما بلغني — محمد بن محمود القنبري الضريري، وقيل: ابن عبد ربه. ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي وأكثر منها (١). قال الاستاذ الأديب أبو الحسن علي بن سعد الخير (٢) رحمه الله تعالى، من جملة كلام:

ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الديلمي وأبي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استنبطوا من تلك الأعاريض أقساما مؤلفة على فقر مختلفة، وقواف مؤلفة قلت: يعني بذلك أشعار العرب في أبحر العروض قال: وسَمَّوْها مِلاعِب. واستنبط منها أيضا أهل الأندلس ضربا قسموه على أوزان مؤلفه، والحنان مختلفة، وسموه موشحا، وجعلوا ترصيع الكلام، وتنميق الأقسام توشيحاً، وكانوا أول من سَمَّ هذه الطريق ونهجه، وأوضح رسمه ومنهجه. انتهى.

قلت: ورسم الموشح هو: كلام منظوم، على قدر مخصوص، بقواف مختلفة (٣) قال القاضي السعيد ابن سناء الملك رحمه الله تعالى: وهو ما يأتلف ... الخ.

المركب من سبعة أجزاء مثاله: (٤) من شاني .. عن شاني .. به جفني .. قد استعبر وقد عبر .. عن المضمز .. بما عندي. وقد ينتهي في التركيب الى اثني عشر جزءا .. الخ.

قال (ابن سناء الملك): وفي المتأخرين من يعجز عن الخرجة فيستعير خرجة غيره، وهو أصوب رأيا مما لا يوفق في خرجته بأن يُعربها، ويتعاقل

ولا يلحن، فيتخاف بل يتشاغل.

قلت:

هذه الشروط التي شرطها في الخرجة قلّ من يلتزمها لتعذرها عليه، فهو إما ان يتركها، وإما ان يأتي بها خارجة عن هذه الشروط. وقد رأيت السّراج المحار، وأحمد بن حسن الموصلي، والشيخ صدر الدين بن الوكيل والشهاب العزازي وغيرهم من المعاصرين والمتأخرين قبلهم لم يأت أحد منهم بخرجة، وإن أتى بها كانت غير داخلة.

وستقف في هذه الموشحات التي أوردتها من كلامي، وفي بعضها خرجات إن أنت أنصفتها عرفت أين تقع من شروط ابن سناء الملك رحمه الله تعالى. و(أما) أنا فقد ارتكبت فيها مزلتين، وسلكت فيها زلقين، لأنني غالب ما نظمت على وزن من تقدمني، وأتيت فيه بخرجة غير خرجته، وهذا فهو من أصعب ما يكون، لأن الوشاحين يحصلون الخرجة أولاً ثم ينظمون الموشح على وزنها وقافيتها و(أما) أنا فأحتاج الى أن التزم بذلك الوزن الذي تقدمني وبقوافيه، وأجس مع ذلك بالخرجة الداخلة، وهذان أمران مُشَقَّان الا على من أيده الله بمعونته.

فصل: مَمَّنْ سبق الى التوشيح، وسبق الى الغاية من أهل المقاربة

جماعة، وهم:

عبادة بن ماء الساء، وأبو بكر محمد بن عبادة القزاز، وعبادة بن محمد ابن عبادة الأقرع، ويليهم في الاجادة أبو العباس التطيلي، وأبو بكر بن بَقِي، وأبو بكر الأبيض الشاعر، وابن عبد ربه صاحب كتاب العقد، وأبو بكر بن اللبانة وأبو عبدالله محمد بن رافع راسه، وأبو الحسن علي بن عبدالغني الحضري، وأبو عبدالله محمد بن الحسن البطليوسي الكُميت، وأبو عبدالله محمد بن شرف، وأبو القاسم المنيشي، والوزير أبو بكر يحيى بن الصيرفي وأبو الوليد يونس ابن عيسى المرسي الشاعر الخباز، وأبو بكر السرقسطي الجزار، وابن الفرس والوزير ابو عيسى بن لبون، والوزير المشرف ابو بكر بن رحيم، والوزير ابو عامر ابن ينق والوزير ابو بكر محمد بن زهر الحفيد والوزير الكاتب أحمد بن مالك السرقسطي وابن حمديس، وأبو بكر

بن مملوك القرطبي، وابن جاح الصباغ، وأبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي المعروف بتل الغد، وابن هانيء الأصغر وذو الوزارتين ابن عمارة وابن أبي الرجال، وابن الزقاق، وأبو الحكم مالك بن عبدالرحمن المرحل، وإبراهيم بن سهل الاسرائيلي.

ومن أهل الديار المصرية (٥): القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك وهو حامل راية هذه الصناعة والناس عليه فيها عيال ونصر الله بن قلاقيس الاسكندري والأسد بن ماتي، وابن وزير، وابن منجم، والسراج الوراق، وابن سعيد ابن المغربي ... الخ. (٦)

● النص نقلًا عن «توشيح التوشيح» بتحقيق البير حبيب مطلق، ص ١٩ الى ٣٢ وأسقطنا ما نقله الصفدي عن مقدمة «دار الطراز» اللهم الا ما اقتضى السياق ذكره. (١) انظر نص ابن بسام وعبارته لا تقول ان الرمادي «اكثر من الموشحات» بل اكثر من استعمال «التضمين — في المراكين». (٢) جاء عنه في «المغرب» ج ٢ ص ٣١٧. «اخبرني والدي: انه كان شهير الذكر، جليل القدر، متصدرا لاقراء العربية ببليسية في مدة منصور بن عبدالؤمن» وتوفي باشبيلية سنة ٥٧١هـ. وافق د. شوقي ضيف (هامش المغرب) والزركلي («الاعلام» ٥٣/٥) على أنه توفي سنة ٥٧١ أماد. احسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي ج ٢ ص ٢١٨ فيجعل وفاته سنة ٥٢٥هـ (وانظر عنه «زاد المسافر» ص ١٠٣ و «الذيل والتكملة» ١٨٧/١، «والتوشيح» — ملحوظة للمحقق — ص ١٩٩.

ولابن سعد الخير كتاب اسمه «مشاهير الموشحين بالأندلس» أو «نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس» هو — ولا شك — الذي نقل عنه الصفدي. (٣) ليست هذه الجملة — في واقع الأمر — للصفدي بل لابن سناء الملك. انظر «دار الطراز» ص ٢٥.

(٤) لم يجيء هذا المثال في «دار الطراز» لان ابن سناء الملك الذي لم يجد أمامه فيما يبدو الا نموذجًا تحلله التزيم، ومن ثم أسقطه. راجع ما قلناه عن ابن غرلة، وعن ظاهرة التزيم. (٥) هذه العبارة لم تجيء في «الدار».

(٦) ذكرنا هذه الفقرة لما لها من ارتباط وشيخ مع ما قبلها، من قبيل ايرادها لاسم ابن سعيد المغربي من بين الشعراء المصريين، لأنها تصور الامتداد الطبيعي للموشح، من الأندلس والمغرب نحو المشرق، ابتداءً من مصر انظر دراستنا عن «نشأة فن التوشيح بالمشرق».

أهم المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

ابن اياس: الدر المكنون في السبع فنون. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.
ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.

ابن سناء الملك: فصوص الفصول وعقود العقول. مخطوطات دار الكتب بالقاهرة وخزانة الأزهر والمكتبة الوطنية بباريس.

ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.
الدرويش: العقيدة الدرويشية في السبع فنون الادبية. مخطوطة المكتبة المركزية جامعة الملك عبدالعزيز - بمكة المكرمة.

السلفى: معجم السفر نسخة حققها شير محمد زمان (لم تنشر بعد)
الصفدي: الوافي بالوفيات، ٣٠ مجلداً، مصوره عن مخطوطات الزيتونة واستامبول والمتحف البريطاني.

النواجي: عقود اللآل في الموشحات والأزجال. مخطوطة الاسكوريال
مجهول: الكواكب السبع السيارة. مصورة عن مخطوطة الخزانة الظاهرية بدمشق.

ثانياً: مصادر:

الابشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف. جزآن. القاهرة ١٩٥٢ .
ابن الأبار: الحلة السراء. تحقيق د. حسين مؤنس. القاهرة ١٩٦٣ .
ابن الأبار: التكملة لصلة الصلة. جزآن. القاهرة ١٩٥٥
ابن الأحمر: (اسماعيل بن يوسف): نثر الجمان: (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن). تحقيق. محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦
ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الاطباء. تحقيق د. تزار رضا، بيروت ١٩٦٥

ابن الخطيب: (لسان الدين): جيش التوشيح. تحقيق هلال ناجي، تونس ١٩٦٧

- ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة
الثامنة. تحقيق د. احسان عباس، بيروت ١٩٦٣
- ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبدالله عنان.
القاهرة ٧٣ - ١٩٧٤
- ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب. تحقيق د. أحمد مختار
العبادي القاهرة لا تاريخ.
- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. صدر منه باشراف لجنة من
العلماء القسم الأول في مجلدين، ثم المجلد الأول من القسم الرابع القاهرة
١٩٣٩ - ١٩٤٥.
- القسم المجلد الاول من القسم الثاني تحقيق د. أحمد لطفي عبدالبديع القاهرة
١٩٧٥.
- ابن بشكوال: الصلة. جزءان، القاهرة ١٩٦٦
- ابن خاتمة: ديوان تحقيق د. محمد رضوان الداية. دمشق ١٩٧٢م
- ابن خاقان : قلائد العقيان في محاسن الأعيان. تونس ١٩٦٦
- ابن خلدون: المقدمة ط. كاتر مير ٣ أجزاء باريس ١٨٥٨
- ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦ أجزاء، ط. محيي الدين عبدالحמיד القاهرة
١٩٤٨
- ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق اليباري وحامد
عبدالمجيد وأحمد بدوي. القاهرة ١٩٥٤
- ابن الزقاق: ديوان. تحقيق عفيفة دبراني بيروت ١٩٦٥
- ابن زيدون: ديوان تحقيق علي عبدالعظيم. القاهرة ١٩٥٧
- ابن سعيد (المغربي) المغرب في حل المغرب (قسم الأندلس) جزءان تحقيق
د. شوقي ضيف. القاهرة ١٩٦٤
- ابن سعيد (المغربي) رليات المبرزين وغايات المميزين. تحقيق د. النعمان
عبدالمتعال القاضي القاهرة ١٩٧٣
- ابن سعيد (المغربي): المقتطف من أزهار الطرف. قسم منه نشره د.
عبدالعزيز الأهواني ضمن «أعمال مهرجان ابن

خلدون» القاهرة ١٩٦٢

ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات. تحقيق. جودت الركابي،
دمشق ١٩٤٩.

ابن سهل (الاشبيلي): ديوان. تحقيق د. احسان عباس بيروت ١٩٦٧
ابن شاعر (الكتبي): فوات الوفيات ط. محيي الدين عبد الحميد، جزاء
القاهرة ١٩٥١

ابن عبد ربه: العقد الفريد. تحقيق أحمد أمين - أحمد الزين - ابراهيم
البياري ط ٣ القاهرة.

ابن عربي: ديوان. طبعة حجر. بومباي.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء. تحقيق د. خويه. ليدن ١٩٠٢
ابن المعتز: ديوان. ط. صادر بيروت ٦١، وطبعة دمشق ١٣٧١، والقاهرة
١٨٩١

ابن المعتز: شعر عبدالله بن المعتز صنعة أبي بكر الصولي. تحقيق استامبول
١٩٥٠

الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني ط. دار الكتب.

الأصفهاني (عماد الدين): خريدة القصر وجريدة العصر. تحقيق عمر
الدسوقي وعلي عبدالعظيم (قسم المغرب والأندلس)
القاهرة.

امرؤ القيس: ديوان تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة

الباقلاني: اعجاز القرآن. تحقيق أحمد السيد صقر ط ٣ القاهرة ١٩٧٣
التبريزي: الوافي في العروض والقوافي. تحقيق د. فخر الدين قباوة وعمر
يحيى. بيروت ١٩٧٥

التطيلي: (الأعمى) ديوان تحقيق د. احسان عباس. بيروت ١٩٦٣

الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ٤ أجزاء. القاهرة ١٩٤٧
الحلى (صفي الدين): العاقل الحالي والمرخص الغالي. تحقيق هونرباخ
ويسبادن ١٩٥٥

السفلي: أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر اختارها د.

- احسان عباس بيروت ١٩٦٣
- الصفدي: الوافي بالوفيات. الأجزاء المطبوعة (من ١ - ٩)
- الصفدي: توشيع التوشيع تحقيق. البير مطلق. بيروت ١٩٦٣
- الضبي: بغية الملتمس ط. مجريط ١٨٨٤م
- الغبريني: عنوان الدراية. تحقيق عادل نوهض. بيروت ١٩٦٩
- القفطي: المحمدون من الشعراء. تحقيق محمد معامري. الرياض ١٩٧٠
- المرزباني: الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء. القاهرة ١٣٨٥هـ
- المعري: رسالة الغفران تحقيق د. بنت الشاطيء ط ٥ القاهرة ١٩٦٩
- المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، ٣ أجزاء بتحقيق السقا والابباري وشليبي. القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٤٢
- المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. طبعة محيي الدين (١٠ أجزاء) وطبعة احسان عباس (٨ أجزاء).
- ياقوت (الحموي): ارشاد الأريب الى معرفة الأديب (معجم الأديباء) نشر دار المأمون بالقاهرة.
- مجهول: العذارى المائسات في الأرحال والموشحات. اختيار فيليب قعدان الخازن. جونية ١٩٠٢
- ثالثا: مراجع عربية:
- الأهواني: (د. عبدالعزيز) الزجل في الأندلس. القاهرة ١٩٥٧
- أنيس: (د. ابراهيم) موسيقى الشعر. الطبعة الثانية. القاهرة
- البستاني (بطرس): أدباء العرب في الأندلس وعصر الابتعاث ط ١ بيروت ١٩٦٨
- الجراري (د. عباس): القصيدة (الزجل في المغرب) الرباط ١٩٧٠
- الركابي (د. جودت) في الأدب الأندلسي. القاهرة ١٩٦٠
- الريسوني (محمد المنتصر): الشعر النسوي في الأندلس. بيروت ١٩٧٨
- الزركي (الصادق): الأغاني التونسية تونس ١٩٦٧
- الزركلي: (خير الدين) الأعلام ط ٣
- الشكعة: (د. مصطفى) الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه. بيروت ١٩٧٤

ضيف (د. شوقي): العصر العباسي الأول ط ٣. القاهرة الفن ومذاهبه في
الشعر العربي ط ٤ القاهرة ١٩٦٠

الطننجي (محمد تاويت): ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي.
بيروت ١٩٦٠

الطيب (د. محمد عبدالله): المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ج ١
القاهرة ١٩٥٥

عباس (د. احسان): تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) بيروت
١٩٦٠

عباس (د. احسان): تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)
بيروت ١٩٦٢

عناني (د. محمد زكريا): نشأة فن التوشيح بالمشرق. مستلة من مجلة كلية
الشريعة والدراسات الاسلامية (مكة المكرمة) العدد
الثاني

غومس (اميليو غرسية): الشعر الأندلسي. ترجمة د. حسين مؤنس، ط ٣
القاهرة ١٩٦٩

غومس (اميليو غرسية): مع شعراء الأندلس والمنتبىي ترجمة د. الطاهر مكى
القاهرة ١٩٧٤

كراتشكوفسكى: الشعر العربي في الأندلس القاهرة ١٩٧١
كرامة (بطرس): الدراري السبع (الموشحات الأندلسية) بيروت ١٨٦٤
كيلاني (كامل): نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي. القاهرة ١٩٢٤
الكريم: (د. مصطفى عوض) فن التوشيح. بيروت ١٩٥٩
هدارة (د. محمد مصطفى): اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري.
القاهرة ١٩٦٩

هيكل (د. احمد): الأدب الأندلسي القاهرة ط ٦، ١٩٧١
يافيل: مجموع الأغاني من كلام أهل الأندلس. الجزائر ١٩٠٤
يلس (جلول) والحفناوي امقران: الموشحات والازجال. جزعان، الجزائر
١٩٧٢

رابعاً: مراجع أجنبية:

- Blachère (R.): Le Vizir Poète Ibn Zumruk et son oeuvre. Annales de l'Institut d'Etudes Orientales. II 1936.
- Gomez (Emilio Garcia): Estudio del Dar at - Tiraz - Preceptiva Egipcia de la Muwassaha. Al - Andalus. Vol xxvii (1962) pp. 21 - 104.
- Hartmann (M.) Das Arabische Strophengedicht. Das Muwassah, Weimar, 1897.
- Jargy (S.) la poésie populaire traditionnelle chantée au Proche-Orient, Paris - la Haye, 1970.
- Levi - Provençal: Islam d'Occident. Paris, 1948.
- Menendez Pidal: Poesia arabey poesia evropa- Madrid, 1941.
- Nykl (A.R.): Hispano - Arabic Poetry. Baltimore. 1946.
- Pellat (Ch.): Langues et Literature arabes, Paris 1952.
- Pérès (H.): La poesie andalouse en arabe classique au xle. siecle. Paris 1953.
- La poésie arabe d'Andalousie et ses relations Possibles avec la poesie des Troubadours. Le Cahiers du sud, 1974.
- Stern (S.N.) Hispano - Arabic strophic Poetry, Oxford 1974.
- Les Vers Finaux (Kharjas) en espanol dans les Muwashshah arabes et hebreux, Oxford, 1964.
- Les chansons mozarabes, Palerme 1953.



المحتوى

ص

• تمهيد..... ٥

القسم الاول النشأة والتطور

• نشأة الموشحات الأندلسية، وتطورها وأقسامها ولفتها ١١

القسم الثاني الأغراض

• اغراض الموشحات الاندلسية ٤٩

القسم الثالث وشاحو الاندلس والمغرب

• وشاحو الاندلس ٧١

• طور النشأة ٧٤

• الجيل الثاني ٨١

• فترة النضج والازدهار ٩١

• وشاحو القرن السابع الهجري ١٤٧

• وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين ١٦٥

• بعض وشاحي المغرب في العصور المتأخرة ١٨٩

• موشحون تعذر تحديد العصر الذي عاشوا فيه ٢٠١

• مسك الختام ٢٠٧

■ ملاحق

• نماذج من الموشحات ٢١٧

• نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها ٢٧٣

• اهم المصادر والمراجع ٣٠٩

صدر في هذه السلسلة

- ١ - الحضارة تأليف د. حسين مؤنس
- ٢ - اتجاهات الشعر العربي المعاصر تأليف د. احسان عباس
- ٣ - التفكير العلمي تأليف د. فؤاد زكريا
- ٤ - الولايات المتحدة والمشرق العربي تأليف د. أحمد عبدالرحيم مصطفي
- ٥ - العلم ومشكلات الانسان المعاصر تأليف زهير الكرمي
- ٦ - الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها تأليف د. عزت حجازي
- ٧ - الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية تأليف د. محمد عزيز شكري
- ٨ - تراث الاسلام ١- ترجمة د. زهير السهوري
- ٩ - اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة تأليف د. نايف خرما
- ١٠ - جحا العربي تأليف د محمد رجب النجار
- ١١ - تراث الاسلام ٢- ترجمة د. حسين مؤنس - احسان صدقي العمدة
- ١٢ - تراث الاسلام ٣- ترجمة د. حسين مؤنس - احسان صدقي العمدة
- ١٣ - الملاحه وعلوم البحار عند العرب تأليف د. أنور عبدالعليم
- ١٤ - جمالية الفن العربي تأليف د. عفيف بهنسي
- ١٥ - الانسان الحائر بين العلم والخرافة تأليف د. عبدالغمن صالح
- ١٦ - النقط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية تأليف د. محمود عبدالفضيل
- ١٧ - الكون والتقوب السوداء اعداد رؤوف وصفي
- ١٨ - الكوميديا والتراجيديا ترجمة د. علي محمود
- ١٩ - المخرج في المسرح المعاصر تأليف سعد أردش
- ٢٠ - التفكير المستقيم والتفكير الأعوج ترجمة حسن سعيد الكرمي
- ٢١ - مشكلة انتاج الغذاء في الوطن العربي تأليف د. محمد الفرا
- ٢٢ - البيئه ومشكلاتها تأليف رشيد الحمد - محمد سعيد صباريني
- ٢٣ - الرق تأليف د. عبدالسلام الترماني
- ٢٤ - الابداع في الفن والعلم تأليف د. حسن احمد عيسى
- ٢٥ - المسرح في الوطن العربي تأليف د. علي الراعي
- ٢٦ - مصر وفلسطين تأليف د. عواطف عبدالرحمن

- ٢٧ - العلاج النفسي الحديث
تأليف د. عبدالستار ابراهيم
- ٢٨ - افريقيا في عصر التحول الاجتماعي
ترجمة شوقي جلال
- ٢٩ - العرب والتحدي
تأليف د. محمد عمارة
- ٣٠ - العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة
تأليف د. عزت قرني
- ٣١ - الموشحات الاندلسية
تأليف د. محمد زكريا عناني

من الكتب القادمة

تأليف د. محمد عبدالغني سعودي
تأليف د. محمد فتحي عوض الله

• قضايا افريقية
• الانسان والثروات المعدنية



المؤلف في مسطور ومحمد زكريا عثماني

● ولد بمصر سنة ١٩٣٦ م

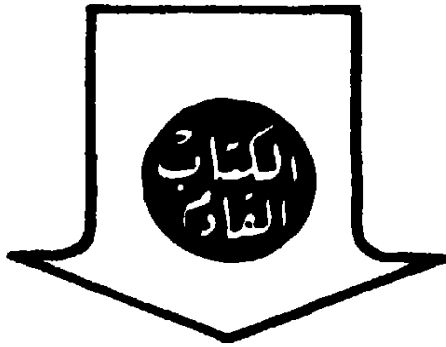
● تخرج في قسم اللغة العربية
بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٦١
بامتياز مع مرتبة الشرف.

● تابع دراسته في جامعات
الولايات المتحدة وفي فرنسا حيث
نال (سنة ١٩٦٨) درجة دكتوراه

التخصص في النقد، ثم دكتوراه
الدولة في الآداب من جامعة
السوربون (١٩٧٣) بمرتبة الشرف
الاولى.

● عمل بالتدريس في بعض
الجامعات والمعاهد العليا بفرنسا
ومصر ويعمل حاليا بجامعة الملك
عبد العزيز (بمكة المكرمة).

● ظهرت له أكثر من خمسين دراسة
في مجالات الأدب والنقد
والتحقيق.



تكنولوجيا السلوك الانساني

ترجمة
د. عبدالقادر يوسف

الكويت	٢٥٠	فلسا	ليبيا	٢٥	قرشا	عمان	٤	ريال
السعودية	٥	ريال	المغرب	٥	دراهم	اليمن الجنوبية	٤٠٠	فلس
العراق	٣٠٠	فلسا	تونس	٥٠٠	مليم	اليمن الشمالية	٤٥	ريال
الاردن	٢٥٠	فلسا	الجزائر	٥	دنانير	البحرين	٤٠٠	فلس
سوريا	٣	ليرات	مصر	٢٥٠	مليما	قطر	٥	ريال
لبنان	٢٥	ليرة	السودان	٢٥٠	مليما	الامارات العربية	٥	درهم

الاشتركات : يكتب بشأنها الى المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،
ص ب ٢٣٩٩٦ - الكويت

٢٥٠
فلساً

مطابع الانباء - الكويت

To: www.al-mostafa.com